إلى الأذقان) معناه فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوقة إليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح إذا روى فرفع رأسه وهذا لأن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة إلى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حمزة وعلي وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي سواء عليهم الإنذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار وروي أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدري فقال كأني لم أقرأها أشهدك أني تائب عن قولي في القدر فقال عمر اللهم إن صدق فتب عليه وإن كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (إنما تنذر من اتبع الذكر) أي إنما ينفع بإنذارك من اتبع القرآن (وخشي الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهي العفو عن ذنوبه (وأجر كريم) أي الجنة (إنا نحن نحيي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشرك إلى الإيمان (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي

بالحجارة فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الإيمان بموانع فجعل الأغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال وقيل إنها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل إنها وصف في الحقيقة وهي ما سيفعله الله عز وجل بهم في النار (فهي) يعني الأيدي (إلى الأذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لأن الغل يجمع اليد إلى العنق (فهم مقمحون) أي رافعو رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الأغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الأغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الإيمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فأغشيناهم) أي فأعميناهم (فهم لا يبصرون) يعني سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعني من يرد الله إضلاله لم ينفعه الإنذار (إنما تنذر من اتبع الذكر) يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشي الرحمن بالغيب) أي خافه في السر والعلن (فبشره بمغفرة) أي لذنوبه (وأجر كريم) يعني الجنة قوله تعالى (إنا نحن نحيي الموتى) أي للبعث (ونكتب ما قدموا) أي من الأعمال من خير وشر (وآثارهم) أي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم إلى المسجد عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الأرض الخالي الذي لا يستره شيء (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بني سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا إذا تحولنا قوله بني سلمة أي يا بني سلمة وقوله دياركم أي الزموا دياركم (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم

فأبعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام ﴿ قوله عز وجل (وكل شيء أحصيناه) أي حفظناه وعددناه وأثبتناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ ﴿ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) أي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة (أصحاب القرية) يعني انطاكية (اذ جاءها المرسلون) يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام؛

(ذكر القصة في ذلك)

قال العلماء بأخبار الانبياء بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الأكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعا بهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتي جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده الى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة

خطاهم الى الجمعة أو الى الجماعة (وكل شيء أحصيناه) عددناه وبيناه (في امام مبين) يعني اللوح المحفوظ لانه أصل الكتب ومقتداها (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) ويقال لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي انطاكية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب (اذ) بانه بدل من أصحاب القرية (جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان

(إذ) بدل من إذ الأولى (أرسلنا إليهم) أي أرسل عيسى بأمرنا (اثنين) صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ابن مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء ورزق كل حي وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام أكمه فدعوا الله فأبصر الغلام فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لي عنك سر إن إلهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا قال وفتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم



جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب أصحاب القرية الرسولين (فعززنا) فقويناهما وعززنا أبو بكر من عزه يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لأن المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض (فقالوا إنا إليكم مرسلون) أي قال الثلاثة لأهل القرية

(قالوا) أي أصحاب القرية (ما أنتم إلا بشر مثلنا) رفع بشر هنا ونصب في قوله ما هذا بشرا لأن الاستثناء الذي بإلا أبطل ما الشبه بليس وهو الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شيء) أي وحيا (إن أنتم إلا تكذبون) ما أنتم إلا كذبة (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) أكد الثاني باللام دون الأول لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار فيحتاج إلى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله (وما علينا إلا البلاغ المبين) أي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قالوا إنا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم (وليمسنكم منا عذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قالوا طائركم) أي سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي (ذكرتم) وعظتم ودعيتم إلى الإسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آئن بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا (قال يا قوم اتبعوا المرسلين

---

بعث عيسى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وإنما أضاف الله تعالى الإرسال إليه لأن عيسى عليه الصلاة والسلام إنما بعثهم بإذن الله عز وجل (فقالوا) يعني الرسل جميعا لأهل أنطاكية (إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء) أي لم يرسل رسولا (إن أنتم إلا تكذبون) أي فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) أي وإن كذبتمونا (وما علينا إلا البلاغ المبين) أي بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا إنا تطيرنا بكم) أي تشاءمنا بكم وذلك لأن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) أي تسكتوا عنا (لنرجمنكم) أي لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) أي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) معناه أئن ذكرتم ووعظتم (بل أنتم قوم مسرفون) أي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فإذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم

اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أى الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) خلقنى (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالى حمزة (أأتخذ) بهمزتين كوفى من (دونه آلهة) يعنى الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) من مكروه ولا ينصرونى فاسمعونى فى الحالين يعقوب (انى اذا) أى اذا اتخذت (لفى ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى لتشهدوا لى به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله اليه وهو فى الجنة



أتسألون على هذا أجرا فلولا قيل على قومه رقة لياقوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) أى لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه واى شئ لى اذا لم اعبد خالقى واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم (أأتخذ من دونه آلهة) أى لا أتخذ من دونه الهة (ان يردن الرحمن بضر) أى بسوء ومكروه (لا تغن عنى) أى لا تدفع عنى (شفاعتهم شيأ) أى لا شفاعة لها تغنى عنى (ولا ينقذون) أى من ذلك المكروه وقيل من العذاب (انى اذا لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر (انى آمنت بربكم فاسمعون) اى فاشهدوا لى بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقى الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه ان الله تعالى غفر له وأكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعنى الملائكة (وما كنا منزلين) أى ما كنا نفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم كان أيسر مما تظنون ۞ ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أى ميتون (ياحسرة على العباد) يعنى ياحسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى ياحسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ۞ ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) ۞ قوله تعالى (ألم يروا) أى ألم يخبروا والخطاب لاهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى من الامم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود (انهم اليهم لا يرجعون) اى لا يعودون الى الدنيا افلا يعتبرون بهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يعنى ان جميع الامم محضرون

ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بمغفرة ربى أو بالذى غفر لى (وجعلنى من المكرمين) بالجنة (وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أى من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناه نافذ فى الجملة وقوله (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لا محالة

لأي بها التنوين في كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب ومعذبون وانما اخبر عن كل بجميع لان ان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر أي وعلامة تدل على أن الله يبعث الموتى احياء الارض الميتة ويجوز أن يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة وبالتشديد مدنى (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقان لا أرض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات فى وصفهما بالافعال ونحوه ولقد أمر على اللئيم يسبنى ● (وأخرجنا منها حبا) أريد به الجنس (فمنه يأكلون) قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشئ الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) فى الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما يتمتعون به (ليأكلوا من ثمره) والضمير لله تعالى أى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلى (وما عملته أيديهم) أى ومما عملته أيديهم من الغرس والسقى والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى أن يبلغ الثمر منتهاه يعنى أن الثمر فى نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بنى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها فى حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق فقيل له فقال أردت كان ذاك وما عملت كوفى غير حفص وهى فى مصاحف اهل الكوفة كذلك وفى مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذى خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الأرض) من النخيل والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكورا واناثا (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها فى الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجى أسود لان أصل ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى) وآية لهم الشمس تجرى (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا

يوم القيامة (وآية لهم) يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على احياء الموتى (الارض الميتة أحييناها) أى بالمطر (وأخرجنا منها) أى من الارض (حبا) يعنى الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أى من الحب (وجعلنا فيها) أى فى الارض (جنات) أى بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره) أى من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته أيديهم) أى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ وما عملت بغير هاء وقيل ما للنفى والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والانهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) أى نعمة الله تعالى (سبحان الذى خلق الازواج كلها) يعنى الاصناف كلها (مما تنبت الارض) أى من الاشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم) أى الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) يعنى مما خلق الله تعالى من الاشياء فى البر والبحر من الدواب ۞ قوله عز وجل (وآية لهم) يعنى تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) أى ننزع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظلمون) أى فاذا هم فى الظلمة وذلك ان الاصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجرى لمستقر لها) أى الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى الى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع الى أول منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهى الى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجرى لا مستقر لها أى لا قرار لها ولا وقوف فهى جارية أبدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفى رواية قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

(ذلك) الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) منصوب بفعل يفسره (قدرناه) وقرأ برفع مكي ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أي قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة وجوه (لا الشمس ينبغي لها) أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار أي آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه أي وكلهم والضمير للشموس والاقمار (في فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) ذرياتهم مدني وشامي (في الفلك المشحون) أي المملوء

العلم أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجري الى وقت لها والى أجل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) أي الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أي الغالب بقدرته على كل شيء مقدور (العليم) أي المحيط علما بكل شيء ۞ قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) أي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص فاذا كان في آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذي أتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر بعد انتهائه الى آخر منازله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر ولا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما فاصل (وكل في فلك يسبحون) أي والشمس والقمر في فلك يسيرون ۞ قوله عز وجل (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) يعني أولادهم (في الفلك المشحون) أي المملوء (وخلقنا لهم من مثله) أي مثل الفلك (ما يركبون) أي من الابل وهي سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية أن الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين في أصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد ۞ ألجم نسرا وأهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأبلغ في التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون من مثله أي من مثل ذلك الفلك ما يركبون أي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) أي لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) أي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) أي الا أن يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا

والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات في بر أو بحر أو الآباء لانهم الاصل والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي أصلابهم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل سفائن البر (وان نشأ نغرقهم) في البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث أو فلا اغاثة (ولا هم ينقذون) لا ينجون (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) أي ولا ينقذون الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أي ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر أو ما تقدم من عذاب وما تعملون من بعد أو من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة

(والنمز) (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لأن قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفي والثانية للتبعيض أى ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة (واذا قيل لهم) لمشركي مكة (أنفقوا مما رزقكم الله) أى تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا  للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) عن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (ان أنتم الا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبي وأصحابه (ما ينظرون) ينتظرون (الا صيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه في الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يختصمون بادغام التاء في الصاد لكنه مع فتح الخاء مكي بنقل حركة التاء المدغمة اليها وبسكون الخاء مدني وبكسر الياء والخاء يحيى فاتبع الياء الخاء في الكسر وبفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية) فلا يستطيعون ان يوصوا في شيء من أمورهم توصية (ولا الى أهلهم يرجعون) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ في الصور) هي النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فاذا هم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أى الكفار (يا ويلنا

يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم يعني وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الآخرة (لعلكم ترحمون) أى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) ﴿ قوله عز وجل (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم) أى مما أعطاكم (الله) نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أنه لله تعالى من أموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) أى أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) أى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى مني بك ويقول قد منعه الله أفأطعمه أنا ومعنى الآية انهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأعطى الدنيا الغني لا استحقاقا وأمر الغني بالانفاق لا لحاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان أنتم الا في ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أنتم الا في خطأ بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعني يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) أى ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أى في الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله وأصله من اللوط وقوله أصغى ليتا الليت صفحة العنق وأصغى يعني أمال عنقه يسمع ﴿ وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدرون على الايصاء بل أعجلوا عن الوصية فماتوا (ولا الى أهلهم يرجعون) يعني لا يقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشيء (ونفخ في الصور) هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذا هم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) أى يخرجون منها أحياء (قالوا يا ويلنا

من بعثنا) من أنشرنا (من مرقدنا) أى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا
القبور قالوا من بعثنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل
فيجيبون به أنفسهم وبعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد
والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (ان كانت) النفخة الأخيرة
(الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر ما يقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) بضمتين كوفى وشامى و بضم وسكون مكى ونافع وأبو عمرو والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل
لا يوصف وهو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار أو ضرب الاوتار أو ضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون
(١٠)
يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (فى ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهى ما سترك عن الشمس (على الارائك) جمع الاريكة وهى السرير فى الحجلة أو الفراش فيها (متكؤن) خبر أو فى ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) يفتعلون من الدعاء أى كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ما شئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون (سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم
(قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا ... أصل
عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا
وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدا ... سوا
القيامة (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز
أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم (وأن اعبدونى) وحدونى و
(هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أى صراط بليغ فى استقامته ولا صراط أقوم منه

---

من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين
فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها
صار عذاب القبر فى جنبها كالنوم فقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)
أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول
المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الا صيحة واحدة) يعنى النفخة الاخيرة (فاذا هم
جميع لدينا محضرون) أى للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) قوله تعالى (ان
أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قال ابن عباس فى افتضاض الابكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة
الله تعالى وقيل فى السماع وقيل شغلوا بما فى الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الاليم (فا...
قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه (هم وأزواجهم فى ظلال) يعنى
القصور (على الارائك) يعنى السرر فى الحجال (متكؤن) أى ذوو اتكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فا...
أى فى الجنة (ولهم ما يدعون) يعنى ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدعون أى أهل الجنة يأتيهم (
قولا من رب رحيم) يعنى يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل
أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم
اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته
عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب
سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقولوا اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا ا...
المجرمون) أى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل
النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول عبارة
عن بعض فى قوله عز وجل (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم) أى ألم آمركم وأوصكم يا بنى آدم (أن لا تعبدوا ا...
يعنى لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة
اعبدونى) أى أطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) أى لا صراط أقوم منه فى قوله تعالى (

ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أي خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) يعني ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية
بطاعة إبليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التي كنتم توعدون) يعني بها في الدنيا (اصلوها)
أي ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) ۞ قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد
أرجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية إن الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل
ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا أن أعضاءهم التي
كانت عونا لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك أن إقرار الجوارح أبلغ من إقرار اللسان فإن قلت
ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت إن اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول
الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل إقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في
رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس
في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما قال فيلقى
العبد ربه فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع
فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني
فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى
يا رب فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك
فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا إذا
قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال
لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي
يسخط الله عليه قوله أي فل يعني يا فلان قوله وأسودك أي أجعلك سيدا قوله وأذرك ترأس أي تتقدم على
القوم بأن تصير رئيسهم وتربع أي تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها
وروي ترتع بتاءين أي تنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقيم الحجة عليها بشهادة
أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم
أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول
فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين
شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا
لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قوله لا أجيز أي لا أقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا أي هلاكا قوله
فعنكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم ۞ قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي أذهبنا أعينهم
الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لأعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم (فاستبقوا
الصراط) أي فبادروا إلى الطريق (فأنى يبصرون) أي كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء
لأضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء
لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا وأرشدوا فأنى
يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في
منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها (فما استطاعوا مضيا) أي لا يقدرون أن يبرحوا (ولا يرجعون)

ولقد أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدني وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامي وأبو عمرو
الباقون جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات في معنى الخلق (كثيرا  أفلم تكونوا تعقلون) استفهام
تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أي نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي إلا شاهدا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط (فأنى يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو
نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير أو حجارة (على مكانتهم) على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أي لمسخناهم
في منازلهم حيث يجترحون المآثم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء أو مضيا أمامهم ولا يرجعون

(ومن نعمره ننكسه) عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشيء أعلاه أسفله الباقون ننكسه (في الخلق) أي نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (أفلا يعقلون) ان من قدر على أن ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدني ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) أي وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعر أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققته (وما ينبغي له) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدي الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت فما هو الا من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق في خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لأن صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على أن وفتح الباء في كذب وخفض الباء في المطلب ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أي المعلم (الا ذكر) وعظ من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته

أي الى ما كانوا اليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي نرده الى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها ونقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه في الخلق (أفلا يعقلون) أي فيعتبرون ويعلمون أن الذي قدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت ﴿ قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يقدر عليه كما جعله لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل به جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت

* كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا نبي الله انما قال الشاعر

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وهذا الحديث مرسل وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالاخبار من لم تزود * أخرجه الترمذي وفي رواية لغير عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت أخي بني قيس طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت فقد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت أخرجاه في الصحيحين وفيهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

اللهم ان العيش عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

قلت ما هذا الا من كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد وان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاآت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون في وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره (وقرآن مبين) أي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب

الانذار فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتنذر مدني وشامي وسهل ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا القلب (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون وهم في حكم الاموات (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أي مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها مالكون) أي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو ما يركب (ومنها يأكلون) أي سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والاوبار وغير ذلك (ومشارب) من ألبانها جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعامه (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أي لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزبهم أمر (لا يستطيعون) أي آلهتهم (نصرهم) نصر العابدين (وهم لهم) أي الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم وهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء وكسر الزاي نافع من حزنه وأحزنه يعني فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب فذلك يرمي بقائله الى ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهي عن حزنه ليس اياه يحزنه بذلك كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل في أبي بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفته ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك

---

المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) أي يا محمد وقرئ بالياء أي القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أي وتجب حجة العذاب (على الكافرين) ﴿ قوله عز وجل (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أي توليناه خلقه بابداعنا من غير اعانة أحد في انشائه كيقول القائل عملت هذا بيدي اذا انفرد به ولم يشاركه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو (أنعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها مالكون) أي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أي لا أضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) أي الابل (ومنها يأكلون) أي الغنم (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أي من ألبانها (أفلا يشكرون) أي رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني الاصنام (لعلهم ينصرون) أي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون في النار (فلا يحزنك قولهم) يعني قول كفار مكة في تكذيبك يا محمد (انا نعلم ما يسرون) أي في ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) أي من عبادة الاصنام

(أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة أي فهو بعد ما كان ماء مهينا أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وأليق وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) في نفيه العظام (ونسي خلقه) من المني فهو أغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أي خلقنا اياه (قال من يحيي العظام وهي رميم) هو اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهي عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها أول مرة أي ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا تخفى عليه أجزاؤه وإن تفرقت في البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) (١٤) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الوري والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب ولذا يقال للقصار دق الثياب عن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب والأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر بقوله (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبدأ وليس به (بلى) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيئا أن يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل أن المكونات تكونه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كأنه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامي وعلي عطفا على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديره فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (الذي بيده ملكوت كل شئ) أي ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شئ (واليه ترجعون)

وقيل ما يعلمون بالسفه من الاذى في قوله تعالى (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) أي من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) أي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى التعجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث وكيف لا يتفكر في بدء خلقه وأنه من نطفة قذرة وبدء الخصومة نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده وقال أترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار وأنزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) أي بدء أمره (قال من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسي أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي خلقها أول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أي من الابتداء والاعادة (عليم) أي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المبدأ والمعاد (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) قال ابن عباس رضي الله عنهما هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والأخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أي هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أي بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيئا) أي احداث شئ وتكوينه (أن يقول له كن) أي يكونه من غير توقف (فيكون) أي فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ) أي هو مالك كل شئ والمتصرف فيه (واليه ترجعون) أي تردون بعد الموت

ترجعون تعقيب قال عليه الصلاة والسلام إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس أمام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها كان إن كان جائعا أشبعه الله وإن كان ظمآن أرواه الله وإن كان عريانا ألبسه الله وإن كان خائفا أمنه الله وإن كان مستوحشا آنسه الله وإن كان فقيرا أغناه الله وإن كان في السجن أخرجه الله وإن كان أسيرا خلصه الله وإن كان ضالا هداه الله وإن كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه يدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة والله أعلم ﴿سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى أو اثنان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) (١٥) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو نفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصي بالإلهام فالتاليات لكلام الله النفوس الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو نفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو نفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك والصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (إن إلهكم لواحد) قيل هو جواب قولهم أجعل الآلهة إلها واحدا (رب السموات والأرض) خبر بعد خبر أو مبتدأ محذوف أي هو رب (وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فإنه أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب المشرق والمغرب فإنه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (إنا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الأدنى (بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على إضمار أعني أو على إعمال المصدر منونا في المفعول بزينة الكواكب غيرهم بإضافة المصدر إلى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب

﴿تفسير سورة والصافات﴾

وهي مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف لفظ أبي داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد الصافات الطير تصف أجنحتها في الهواء (فالزاجرات زجرا) يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الأشياء وقيل فيه إضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (إن إلهكم لواحد) وذلك أن كفار مكة قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء إن إلهكم لواحد وإنما أقسم بهذه الأشياء لتعظيم شرفها وتأكيد أمرها والرد على عبدة الأصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما) يعني أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك ﷺ وقوله (ورب المشارق) قيل أراد والمغارب فاكتفى بأحدهما قال السدي المشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فإن الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فإن قلت قد قال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت أراد المشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد مشارق الكواكب ﷺ قوله تعالى (إنا زينا السماء الدنيا) يعني التي تلي الأرض وهي أدنى السموات إلى الأرض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لأن الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولولا هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينها بأشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل إن الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى

وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصلها بزينة الكواكب لقراءة ابي بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين او الفعل المعلل مقدر
فيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب او معناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من ال
(لا يسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الشياطين يسمعون كوفي غير ابي بكر واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال
اولم يسمع وينبغي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة
او يتسمعوا وقيل اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في جئتك ان تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها
• الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده وا
اجتماعهما منكر والفرق بين (١٦) سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه

السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح ازرق نظر غاية الزينة (ر
شيطان مارد) أي وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لا يسمعون الى الملأ الاعلى)
يعني الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فر
كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من
الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) أي يرمون بها (من كل جانب) أي من آفاق السماء (دحورا)
يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) أي دائم (الا من خطف الخطفة) أي اختلس ال
من كلام الملائكة (فاتبعه) أي لحقه (شهاب ثاقب) أي كوكب مضيء قوي لا يخطئه بل يقتله او يحرق
او يخبله وقيل سمي النجم الذي ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن أن تذهب ال
الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك
الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر
ظنه حصول السلامة ﴿ وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعني سل أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعني
السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير أي هذه الاشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعني
الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم
هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعني آدم من
لاصق لازج يعلق باليد وقيل من طين في (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس
كالتعجب من الآدميين لان التعجب من الناس محمول على انكار الشيء وتعظيمه والتعجب من الله تعالى
على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل
يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث عجب ربكم من
صبوة وفي حديث آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من ال
وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء و

للمعدى بنفسه يفيد
الادراك والمعدى بالى
يفيد الاصغاء مع الادراك
(الى الملأ الاعلى) أي
الملائكة لانهم يسكنون
السموات والانس والجن
هم الملأ الاسفل لانهم سكان
الارض (ويقذفون)
يرمون بالشهب (من كل
جانب) من جميع جوانب
السماء من أي جهة صعدوا
للاستراق (دحورا)
مفعول له أي ويقذفون
للدحور وهو الطرد
أو مدحورين على الحال
أولان القذف والطرد
متقاربان في المعنى فكأنه
قيل يدحرون أو قذفا
(ولهم عذاب واصب) دائم
من الوصوب أي انهم
في الدنيا مرجومون
بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن في (الا من) في محل الرفع
بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي (خطف الخطفة) أي سلب السلبة يعني أخذ شيأ من كلامهم
(فاتبعه) لحقه (شهاب) أي نجم رجم (ثاقب) مضيء (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) أي أقوى خلقا من
الخلق وفي خلقه شدة أو أصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم
اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما وجيء
تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق
به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا
منه ابن استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما تلاه من ذكر انكارهم البعث (بل
من تكذيبهم اياك

(ويسخرون) هم منه أو من تعجبك أو ممن ينكر البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبت حمزة وعلي أي استعظمت بالقدرة عجب روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء فجرد لمعنى الاستعظام في حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يستدعي بعضهم بعضا أن يسخر منها أو يبالغون في السخرية (وقالوا ان هذا) ما هذا (الا سحر مبين) ظاهر (أئذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) أي أنبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أو آباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير في مبعوثون فالمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل أو آباؤنا بسكون الواو مدني وشامي أي أيبعث واحد منا على أن أو للترديد أو الهمزة في الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم علي وهما لغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هي) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هي الا (زجرة واحدة) وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها



وخطاب للنبي رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم (ويسخرون) قال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون) أي واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعني انشقاق القمر (يستسخرون) أي يستهزؤن وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان يسخر (وقالوا ان هذا الا سحر مبين) أي بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون) أي صاغرون (فانما هي زجرة واحدة) أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث (فاذا هم ينظرون) أحياء (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا) أي اجمعوا (الذين ظلموا) أي أشركوا وقيل هو عام في كل ظالم (وأزواجهم) أي أشباههم وأمثالهم فيكل طائفة مع مثلها فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أي قرناؤهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس أي دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أي احبسوهم (انهم مسؤلون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم وروي عنه عن لا اله الا الله وروي عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره (٣) فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شبابه فيما أبلاه أخرجه الترمذي وله عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا يوم القيامة لازما له لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون (ما لكم لا تناصرون) أي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون)

ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) الى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا يا ويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) أي اليوم الذي ندان فيه أي نجازى بأعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذي كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) أي واشباههم وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمعي هديته في الدين هدى وفي الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن أقوالهم وأفعالهم (ما لكم لا تناصرون) أي لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين في الدنيا وقيل هو جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو في موضع النصب على الحال أي ما لكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر



(٣) قوله فيما أفناه الخ كذا في النسخ باثبات ألف ما الاستفهامية وهو قليل

(وأقبل بعضهم على بعض) أى التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أى الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أى انكم تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه (قالوا) أى الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وماكان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله ٭ فقد زعمت هوازن قل مالى ٭ ولو حكى قولها لقال قل مالك (فأغويناكم) فدعوناكم الى الغى (انا كنا غاوين) فاردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أى بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين شامى وكوفى (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده أى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة وكأنما بالاقوات لان أجسادهم محكمة مخلوقة للابد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعمون (فى جنات النعيم) يجوز ان يكون ظرفا وأن يكون حالا وأن يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للسرور وآنس (يطاف عليهم بكأس) بغير همز أبو عمرو وحمزة فى الوقف وغيرهما بالهمز يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا وعن الاخفش كل كأس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر

---

قال ابن عباس متخاصمون وقيل متقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع (يتساءلون) أى يتخاصمون (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى من قبل الدين فتضلوننا وترونا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذى يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين أى عن العزة والقدرة والقول الاول أصح (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وماكان لنا عليكم من سلطان) أى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) أى ضالين (فحق علينا) أى وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعنى كلمة العذاب وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (انا لذائقون) يعنى ان الضال والمضل جميعا فى النار (فأغويناكم) يعنى فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) أى ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) يعنى الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم انما وقعوا فى ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعنى انه انما أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الشرك والتكذيب (الا) أى لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) أى الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) أى بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) يعنى لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين) كل اناء فيه شراب يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر

(بيضاء) صفة للكأس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو ذات لذة (للشاربين لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون على وحمزة أى لا يسكرون أو لا ينزف شرابهم من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فأقبل بعضهم) يعنى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

ومابقيت من اللذات الا
احاديث الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض
يتساءلون عما جرى لهم
وعليهم فى الدنيا الا انه جىء
به ماضيا على ما عرف فى
اخباره (قال قائل منهم انى
كان لى قرين يقول أئنك)
بهمزتين شامى وكوفى
(لمن المصدقين) بيوم الدين
(أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون)
لمجزيون من الدين وهو
الجزاء (قال) ذلك القائل
(هل أنتم مطلعون) الى
النار لاريكم ذلك القرين
قيل ان فى الجنة كوى
ينظر أهلها منها الى أهل
النار أو قال الله تعالى لاهل
الجنة هل أنتم مطلعون
الى النار فتعلموا أين منزلتكم
من منزلة أهل النار
(فاطلع) المسلم (فرآه)
أى قرينه (فى سواء الجحيم)

فى وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذا حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره ولا نموت الا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت فى الدنيا قال الفرينة تقريعا له (ان هذا) أى الامر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل

وكأنما شربت على لذة ❊ ومعنى معين أى من خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعنى ان خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم وتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقىء وغير ذلك ولا يوجد شىء من ذلك فى خمر الجنة (ولا هم عنها ينزفون) أى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أى حابسات الاعين غاضات العيون قصرت أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم (عين) أى حسان الاعين عظامها (كأنهن بيض مكنون) أى مصون مستور وشبههن ببيض النعام لانها تكنه بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض فى صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن بيضات الخدور ❊ قوله عز وجل (فأقبل بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة (انى كان لى قرين) أى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) أى بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل أنتم مطلعون) أى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون أى تنظرون كيف منزلة أخى فى النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) أى المؤمن قال ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) أى فرأى قرينه فى وسط النار وسمى وسط الشىء سواء لاستواء الجوانب منه (قال تالله ان كدت لتردين) أى والله لقد كدت ان تهلكنى وقيل تغوينى ومن أغوى انسانا فقد أرداه وأهلكه (ولولا نعمة ربى) أى رحمته بى وانعامه على بالاسلام (لكنت من المحضرين) أى معك فى النار (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) أى فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا

(لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه (أذلك خير نزلا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أي نعيم الجنة وما فيها من اللذات والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة (إنا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فإنهم لآكلون منها) من الشجرة أي من طلعها

(٢٠)

(فمالئون منها البطون) فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم إن لهم عليها) على أكلها (لشوبا) لخلطا ولمزاجا (من حميم) ماء حار يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم إنهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ماء هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) أي إنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى أن يمتلؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك ظاهر (إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتباعهم إياهم في الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الأولين) يعني الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الذين أنذروا وحذروا أي أهلكوا جميعا (إلا عباد الله المخلصين) أي الا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه إياه حين أيس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أراد به قوله اني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن

نحن

---

الكلام ليزداد والسرور التكرار وقيل هو قول المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) أي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب في ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته ۞ قوله تعالى (أذلك) أي الذي ذكره لأهل الجنة من النعيم (خير نزلا) أي رزقا (أم شجرة الزقوم) التي هي نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر (إنا جعلناها فتنة للظالمين) أي الكافرين وذلك أنهم قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أبو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي في قعر النار وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) أي ثمرها سمي طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين بأعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فإن قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت إنه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وإن لم يشاهدوا فكأنه قيل إن أقبح الأشياء في الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب إذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ۞ ومسنونة زرق كأنياب أغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل إن بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا (فإنهم لآكلون منها) أي من ثمرها (فمالئون منها البطون) وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم إن لهم عليها لشوبا) أي خلطا ومزاجا (من حميم) أي من ماء شديد الحرارة يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوبا لهم (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) وذلك أنهم يردون الى الحميم بعد شراب الحميم (إنهم ألفوا) أي وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) أي من الأمم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (إلا عباد الله المخلصين) أي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أي دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون)

الإجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فني غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الأمم هذه الكلمة وهي (سلام على نوح) يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها (في العالمين) أي ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (إنا كذلك نجزي المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا (إنه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أي الكافرين (وإن من شيعته لإبراهيم) أي ممن شايعه على أصول الدين



أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما إلا نبيان هود وصالح (إذ جاء ربه) إذ تعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجيء بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (إذ) بدل من الأولى (قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا وإنما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون إفكا مفعولا به أي أتريدون إفكا ثم فسر الإفك بقوله آلهة دون الله على أنها إفك في نفسها أو حالا أي أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أي شيء ظنكم (برب العالمين) وأنتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر في النجوم رامقا ببصره إلى السماء متفكرا في نفسه كيف يحتال أو أراهم أنه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بأمارة على أنه يسقم (فقال إني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل وقالوا علم النجوم حق ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام إلا إذا عرض والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام أي سأسقم أو من الموت في عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه أو أراد إني سقيم النفس لكفركم كما يقول أنا مريض القلب من كذا

---

يعني أي دعانا فأجبناه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعني أن الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا عليه في الآخرين) أي أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سلام على نوح في العالمين) أي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين (إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعني الكفار ۞ قوله عز وجل (وإن من شيعته) أي من شيعة نوح (لإبراهيم) يعني أنه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (إذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أي أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعني إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم وزعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لإبراهيم ألا تخرج معنا إلى عيدنا فنظر في النجوم فقال إني سقيم قال ابن عباس أي مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه سأسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة

(فتولوا) فاعرضوا (عنه مدبرين) أى مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) فمال اليهم سرا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) وكان عـ
طعام (مالكم لا تنطقون) والجمع بالواو والنون لأنه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فأقبل عليهم مستخفيا كأ
فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (باليمين) أى ضربا شديدا بالقوة لان اليمين أقوى
الجنبين وأشدهما أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (فأقبلوا اليه) الى ابراهيم (يزفو
يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أزف اذا دخل فى الزفيف ازفافا فكأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فاقبل
رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا
يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فأجابهم بقوله (قال أتعبدون ما تنحتون) بأيـ



(والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فكيف تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أى لأجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فأرادوا به كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين عند الالقاء بخروجه من النار (وقال انى ذاهب الى ربى) الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى سيهدينى فيهما يعقوب

الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجـ
(فتولوا عنه مدبرين) أى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو
تعالى (فراغ) أى مال (الى آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) أى للاصنام استهزاء بها (ألا تأكلون) يـ
الطعام الذى بين أيديكم (مالكم لا تنطقون فراغ) أى مال (عليهم ضربا باليمين) أى ضربهم بيده ا
لانها أقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لأكيـ
أصنامكم (فأقبلوا اليه) أى الى ابراهيم (يزفون) أى يسرعون وذلك انهم أخبروا بصنع ابراهيم بآلهـ
فاسرعوا اليه ليأخذوه (قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) أى بأيديكم من الاصـ
(والله خلقكم وما تعملون) أى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الاصنام وفى الآية دليـ
على ان أعمال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من
طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه
وهو قوله تعالى (فأرادوا به كيدا) أى شرا وهو ان يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) أى المقهورين حيث
الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر الى ربى وأهجر دار الكـ
قاله بعد خروجه من النار (سيهدين) أى الى حيث أمرنى بالمسير اليه وهو أرض الشام فلما قدم الارض
المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) أى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) فـ
غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم ﷺ قوله تعـ
(فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى ابراهـ
والمعنى بلغ ان يتصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشـ
سنة وقيل سبع سنين (قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك) قيل انه لم ير فى منامه انه ذبحه وانما أمر بذ
وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيئا فعلوه واختلف العلماء
المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقـ
قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعـ
الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايا
عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشـ

(رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد (فبشرناه وروى
بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ أوان الحلم لان الصبى لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأى
أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعى) بلغ أن يسـ
مع أبيه فى أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كـ
لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يا بنى) حفص والباقو
بكسر الياء (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) وبفتح الياء فيهما حجازى وأبو عمرو وقيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقـ
وانما قال رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذ

وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق في المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الأودية والجبال والقول الثاني انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي أمر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى في سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد في قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح ومما ذكر أيضا في كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال في سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظي سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود كان أسلم وحسن اسلامه أي ابني ابراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذي أمر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق أبوهم ومن الدليل أيضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح أ اسحق كان أو اسمعيل فقال يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم

## ﴿ذكر الاشارة الى قصة الذبح﴾

قال العلماء بالسير وأخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب في أمر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فأخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر في المنام بذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى في نفسه أي فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمي ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك (فانظر ماذا ترى) أي من الرأي على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في أمر قد تحتم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما

من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر أي على وجه أي ماذا تبصر من رأيك وتبديه

شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته وليثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك في المنام دون اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطئة لهما ثم تأكد بحال النوم بأحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى في الدلالة ورؤيا الانبياء وحي وحق (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي قال الغلام لابيه افعل ما امرت به قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب أخبره بما أمره الله به فقال افعل ما تؤمر (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فلما أسلما) يعني انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجبين) أي صرعه على الارض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطي كيلا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينتقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني وان رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيأ ثم انه حدها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع أن يقطع شيأ قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول أبلغ في القدرة وهو منع الحديد عن المحزة قالوا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبني لوجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر الى الشفرة فأجزع ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل الشيطان في صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطبا من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت ان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا أن يذبحك قال ولم قال ان ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال لهذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيأ مما أراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى عن ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه) أي نودي من الجبل (أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهرت منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما

(قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به وقرئ به (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح روى أن الذبيح قال لابيه يا أبت خذ بناصيتي واجلس بين كتفي حتى لا أوذيك اذا أصابتني الشفرة ولا تذبحني وأنت تنظر في وجهي عسى أن ترحمني واجعل وجهي الى الارض ويروى اذبحني وأنا ساجد واقرأ على أمي السلام وان رأيت ان ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها (فلما أسلما) انقاد الامر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا روي أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب محذوف أي فعلنا منه وناديناه معطوف عليه

(إنا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة (إن هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهي السنة في الأضاحي وروي أنه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروي أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة والأظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبي بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك أن عبد المطلب نذر إن ولد له عشرة أن يذبح آخرهم تقربا وكان عبد الله آخرهم ففداه بمائة من الإبل ولأن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير وعن الأصمعي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وإنما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضي الله عنهم أنه اسحق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح

(٢٥)

الله بن ابراهيم خليل الله وإنما قيل وفديناه وإن كان الفادي ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لأنه الآمر بالذبح لأنه تعالى وهب له الكبش ليفتدي به وههنا اشكال وهو أنه لا يخلو إما أن يكون ما أتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه في حكم الذبح أم لا فإن كان في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وإن لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس اسمعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا إلا أن المحل الذي أضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الأمر عند المخاطب في آخر الحال على أن المبتغى منه في حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمعرفة القبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله وقد سمي فداء في الكتاب لا نسخا (وتركنا عليه في الآخرين) ولا وقف عليه لأن (سلام على ابراهيم) مفعول تركنا (كذلك نجزي المحسنين) ولم يقل إنا كذلك هنا كما في غيره لأنه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف تقديره وبشرناه بوجود اسحق نبيا أي بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لأن كل نبي لا بد وأن يكون من الصالحين (وباركنا عليه وعلى اسحق) أي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم في أولاده وعلى اسحق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبي أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين)

---

فكان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لأنه بذل وسعه وجهده وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو استسلامهما لأمر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (إنا كذلك نجزي المحسنين) يعني جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى إنا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (إن هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فأخذه ابراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن آدم قبل فحق له أن يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لأنه من عند الله تعالى وقيل لعظمه في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدي اسمعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه في الآخرين) أي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده (سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) ۞ قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أي بوجود اسحق وهذا على قول من يقول إن الذبيح هو اسمعيل ومعناه أنه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روي عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ (وباركنا عليه) يعني على ابراهيم في أولاده (وعلى اسحق) أي بكون أكثر الأنبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أي مؤمن (وظالم لنفسه) أي كافر (مبين) أي ظاهر الكفر وفيه تنبيه

على أنه لا يلام من كثرة فضائل الأب فضيلة الابن ۞ قوله عز وجل (ولقد مننا على موسى وهارون) أي أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعني بني إسرائيل (من الكرب العظيم) يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وقيل هو إغراقهم من الغرق (ونصرناهم) يعني موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) أي على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعني التوراة (المستبين) أي المستبين (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) أي الثناء الحسن (سلام على موسى وهرون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين) ۞ قوله عز وجل (وإن الياس لمن المرسلين) روي عن ابن مسعود أنه قال الياس هو إدريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبي من أنبياء بني إسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن إسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

## (ذكر الإشارة الى القصة)

قال محمد بن إسحق وعلماء السير والأخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل إليهم الياس نبيا وكان الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني إسرائيل وإن سبطا منهم حصل في قسمه بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك فإنه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه إذا غاب فاستخلفها وكان لها جار رجل مؤمن له جنينة كان يعيش منها فاغتصبها وقتله فبعث الله سبحانه وتعالى الياس إلى الملك وزوجته وأمره أن يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتلاه وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عنهما لحومهما فلا يتمتعان بها إلا قليلا فجاء الياس فأخبر الملك بما أوحى الله إليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما تدعونا إليه إلا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما أحس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوي إلى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الأمر على الياس وسكن الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فإني قد مللت بني إسرائيل وملوني فأوحى الله تعالى إليه يا الياس ما هذا باليوم الذي أعري منك الأرض وأهلها وإنما صلاحها وقوامها بك وبأشباهك وإن كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال الياس إن لم تمتني فأعطني ثأري من بني إسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد أن أعطيك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة إلا بشفاعتي فإنه لا يذلهم إلا ذلك قال الله عز وجل يا الياس أنا أرحم بخلقي من

---

أمرهما بعمل الخير والمعروف ونهاهما عن المنكر والفاحش أمر وهداهما بهدي أمر الشارع والعاصم وعلى أن أظلم أعقابهما لم تضرهما نسبة ولا نقيصة وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (ولقد مننا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بني إسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أي موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الإسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين وإن الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخي موسى وقيل هو إدريس النبي عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وإن إدريس في موضع الياس

بكاء اشتاقي قال فسبع سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي ولكن أعطيك
ذلك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأي شيء أعيش يارب قال أسخر لك جيشا من الطير
ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فأمسك الله عز وجل عنهم
المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه
يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر
الياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه
حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله
كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه آوى الى بيت امرأة
من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا لابنها فعوفي من الضر
الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر وأسن
واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم
والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يارب دعني أكن أنا الذي أدعو لهم بالفرج مما
هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقال له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل
فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على
باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل
علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوتم الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا
بأوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد أهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس
ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق
ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم
ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم
فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج
الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي
الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني فقذف اليه الياس بكسائه من الجو
الأعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من
بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز
وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته أزبيل
في الجنينة التي اغتصبها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت
لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل وأوحى اليه وأيده
فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع وروى السدي عن يحيى
ابن عبد العزيز عن أبي رواد ان الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام
وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ قال
لقومه الا تتقون أتدعون بعلا) يعني أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه وبذلك سميت مدينتهم بعلبك
قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أي وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم
ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون) أي في النار (الا عباد الله المخلصين) أي من قومه الذين آمنوا به
فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل

(اذ قال لقومه الا تتقون)
الا تخافون الله (أتدعون)
أتعبدون (بعلا) هو علم
لصنم كان من ذهب وكان
طوله عشرين ذراعا وله أربعة
أوجه فتنوا به وعظموه
حتى أخدموه أربعمائة
سادن وجعلوهم أنبياء
وكان موضعه يقال له بك
فركب وصار بعلبك وهو
من بلاد الشام وقيل في
الياس والخضر انهما حيان
وقيل الياس وكل بالفيافي
كما وكل الخضر بالبحار
والحسن يقول قد هلك
الياس والخضر ولا نقول كما
يقول الناس انهما حيان
(وتذرون أحسن
الخالقين) وتتركون عبادة
الله الذي هو أحسن
المقدرين (الله ربكم ورب
آبائكم الاولين) بنصب الكل
عراقي غير أبي بكر وأبي عمرو
على البدل من أحسن
وغيرهم بالرفع على الابتداء
(فكذبوه فانهم لمحضرون)
في النار (الا عباد الله
المخلصين) من قومه (وتركنا
عليه في الآخرين سلام
على الياسين) أي الياس
وقومه المؤمنين كقولهم
الخبيبون يعني أبا خبيب
عبد الله بن الزبير وقومه
آل ياسين شامي ونافع لان
ياسين اسم أبي الياس
فاضيف اليه الآل

(انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (و بالليل) والوقف عليه مطلق (أفلا تعقلون) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشام بالليل وبالنهار أفما فيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) هرب الاباق الهرب الى حيث لا يهتدى

اليه الطالب فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء

محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان يس من أسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل
الياس وأتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) ﴿ قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) أى أهلكنا (الآخرين وانكم) أى يا أهل مكة (لتمرون عليهم) أى على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) أى فى وقت الصباح (و بالليل) أى وبالليل فى أسفاركم (أفلا تعقلون) أى فتعتبرون بهم ﴿ قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) أى من جملة رسل الله تعالى (اذ أبق) أى هرب (الى الفلك المشحون) أى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون هاهنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأة وابنان له فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته لتركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فأخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم تقف السفينة بما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلأن يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) أى فقارع (فكان من المدحضين) أى من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة فى سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت وهو مليم) أى آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا أنه كان من المسبحين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولا انه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون أى لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل (فنبذناه) أى طرحناه انما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أفعال العباد كلها خلق لله تعالى (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل انه لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) يعنى القرع قيل ان كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى ان الذباب

وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحريون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) فابتلعه (وهو مليم) داخل فى الملامة (فلولا انه كان من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبى التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فألقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس

(وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أو يزيدون) فى مرآى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فمتعناهم الى حين) أى منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الاناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء ان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم انهم بناته أو قالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله

القياب لا يجتمع عنده الذباب فكان يونس يستظل تحت تلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن أن يستظل بها وقيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فأرسل الله تعالى اليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه الى مائة ألف) قيل أرسله الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين (أو يزيدون) قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو يزيدون فى تقدير الرائى اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون فعلى هذا فالشك على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا ويعضده ما روى عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم الى حين) أى الى انقضاء آجالهم ۞ قوله عز وجل (فاستفتهم) أى فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أى حاضرون خلقنا اياهم (ألا انهم من افكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى فى زعمهم (وانهم لكاذبون) أى فيما زعموا (أصطفى البنات) أى فى زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (ما لكم كيف تحكمون) أى بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلا تذكرون) أى أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) أى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعنى يا أهل مكة (وما تعبدون) أى من الاصنام (ما أنتم عليه)

... بكسر اللام أي لستم تضلون أحدا الا أصحاب النار الذين سبق ...

(بفاتنين) بمضلين (الا من هو صال الجحيم) يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه من الاصنام ما انتم على عبادة الاوثان بمضلين أحدا الا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أي يدخل النار وقيل ما انتم بمضلين الا من أوجبت عليه الضلال في السابقة وما في ما انتم نافية ومن في موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا حذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هي واللام في الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (وما منا أحد (الا له مقام معلوم) في العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) نصف أقدامنا في الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانا لنحن المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان



الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه (وان كانوا ليقولون) أي مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) أي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهي كلمات لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة وعن الحسن ما غلب نبي في حرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهي المدة التي أمهلوا فيها أو الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصرهم) أي أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو

---

أي على ما تعبدون (بفاتنين) أي بمضلين أحدا (الا من هو صال الجحيم) أي الا من سبق له في علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار ﴿ قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (وما منا الا له مقام معلوم) يعني ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا ملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه ... وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها ومعنى ... السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم أي في القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانا لنحن الصافون) يعني الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف الناس في الصلاة في الارض (وانا لنحن المسبحون) أي المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار ﴿ قوله عز وجل (وان كانوا ليقولون) يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) يعني كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) أي لاخلصنا العبادة لله (فكفروا به) أي فلما أتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم ﴿ قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) أي بالحجة البالغة (وان جندنا) أي حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) أي لهم النصرة في العاقبة (فتول) أي أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعني الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) أي اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) أي ذلك فعند ذلك قالوا

بحو عيد للتهديد أو لما بين أيديهم إذا عاينوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قيل منه (فإذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا لا من ساء وبئس تقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بساحتهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) تسلية على تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصرون وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب



الآخرة (سبحان ربك رب العزة) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد إلا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لأن في تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء، اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وست بصري وست مدني) (بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال (والقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف إنه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه ص أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا

---

هذا العذاب قال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) أي بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ما تقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الأولى ذكر أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وأبصر) أي العذاب إذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أي الغلبة والقدرة وفيه إشارة إلى كمال القدرة وأنه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) أي عن اتخاذ الشركاء والأولاد (وسلام على المرسلين) أي الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لأن أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) أي على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة ص﴾ ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم السورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذي الذكر) قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن إن محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما تقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع

في عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوي العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وقوله (حين مناص) منجا منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم (منذر منهم) رسول من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا أن يكون النبي من البشر (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج روي ان عمر رضي الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا أي أصيران هذا الشيء عجاب أي بليغ في العجب وقيل العجيب ما له مثل والعجاب ما لا مثل له (وانطلق الملأ منهم أن امشوا) وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان بمعنى أي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا) الامر (لشيء يراد) أي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أو أن هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه (ما سمعنا ...

---

الاثم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (في عزة وشقاق) والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية ان الله تعالى أقسم بصاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني من الامم الخالية (فنادوا) أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله عز وجل ولات حين مناص أي ليس حين هذا القول (وعجبوا) يعني كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) ﴿ قوله عز وجل (أجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى أبي طالب فأتوا الى أبي طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانما أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل اليه أبو طالب فدعاه فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخي هؤلاء ... يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا لشيء عجاب) أي عجب (وانطلق الملأ منهم) أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب (أن امشوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا لشيء يراد) أي لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضي الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يملك علينا

(ما سمعنا بهذا) بالتوحيد (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا (ان هذا) ما هذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم في شك من ذكري) من القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) بل هم لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ أي انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة (فليرتقوا في الاسباب) فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم أو الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدأ (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الاجند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذو الاوتاد) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد في يديه ورجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الأيكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) أراد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن المكذب وهم الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق

(ما سمعنا بهذا) أي بالذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه (ان هذا الا اختلاق) أي كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) أي القرآن (من بيننا) أي يقول أهل مكة ليس هو بأكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى (بل هم في شك من ذكري) أي وحيي وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) أي في ملكه (الوهاب) الذي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أي ليس لهم ذلك (فليرتقوا في الاسباب) يعني ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء ليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وقيل أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ما هنالك) أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك (مهزوم) أي مغلوب (من الاحزاب) يعني ان قريشا من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ذو البنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت الاجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الاحزاب) أي الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركي قريش حزب من أولئك الاحزاب (ان كل الا كذب الرسل

( ٥ – (خازن) – رابع )

أشد العقاب وابلغه ثم قال (فحق عقاب) اى فوجب لذلك ان احلهم حق عقابى عذابى وهؤلاء ...
وما ينتظر أهل مكة ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب (الا صيحة واحدة) أى النفخة الاولى وهى الفزع الاكبر (مالها من
فواق) وبالضم حمزة وعلى أى مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب أى اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن
ابن عباس رضى الله عنهما مالها من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد
انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) حظنا من الجنة لانه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على
سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب وأصل القط القسط من الشئ لانه قطعة
من قطعه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) فيك
وصن نفسك ان تزل فيما
كلفت من مصابرتهم وتحمل
أذاهم (واذكر عبدنا
داود) وكرامته على
الله كيف زل تلك الزلة
اليسيرة فلقى من عتاب الله
مالقى (ذا الايد) ذا القوة
فى الدين وما يدل على ان
الايد القوة فى الدين قوله
(انه أواب) أى رجاع الى
مرضاة الله تعالى وهو
تعليل لذى الايد روى انه كان
يصوم يوما ويفطر يوما
وهو أشد الصوم ويقوم
نصف الليل (انا سخرنا)
ذللنا (الجبال معه) قيل
كان تسخيرها انها تسير
معه اذا أراد سيرها الى حيث
يريد (يسبحن) فى معنى
مسبحات على الحال واختار
يسبحن على مسبحات ليدل
على حدوث التسبيح من
الجبال شيأ بعد شئ وحالا
بعد حال (بالعشى والاشراق) أى فى طرفى النهار والعشى وقت العصر الى الليل والاشراق
وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضئ وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن
ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس
رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد
من الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو
التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود
والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح

فحق عقاب) يعنى ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء
الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفى الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أى ينتظر (هؤلاء)
يعنى كفار مكة (الا صيحة واحدة مالها من فواق) أى رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التى هى ميعاد عذابهم
اذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) أى حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقيل نصيبنا من
العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى حصرت
كل شئ قيل لما نزلت فى الحاقة فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا
فى الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا أى حسابنا يقال للكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز
قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) أى على ما يقول الكفار من التكذيب
(واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس ذا القوة فى العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر
يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة فى
الملك (انه أواب) أى رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل
مسبح بلغة الحبشة (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) أى بتسبيحه اذا سبح (بالعشى والاشراق) أى غدوة
وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوى
باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى قوله بالعشى والاشراق قال كنت أمر بهذه الآية لا أدرى ما هى حتى
حدثتنى أم هانئ بنت أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى
الضحى فقال يا أم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذى أخرجاه فى الصحيحين من حديث أم هانئ فى
صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته
تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا يا أم هانئ فلما فرغ من
غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال
ما حدثنا أحد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم صلى الضحى غير أم هانئ فانها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم
دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير انه يتم الركوع والسجود
﴿قوله تعالى والطير﴾ أى وسخرنا له الطير (محشورة) أى مجموعة اليه تسبح معه (كل له أواب) أى رجاع

البارحة مطيعة له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) أى قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس أن رجلا من بنى اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبنى بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فأوحى الله الى داود فى منامه أن يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الى أن أقتلك فقال تقتلنى بغير بينة فقال داود نعم والله لا نفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعنى النبوة والاصابة فى الامور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعنى بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال على بن أبى طالب هو أن البينة على المدعى واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبى بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد اذا أراد الشروع فى كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله عز وجل (وهل أتاك) أى وقد أتاك يا محمد (نبأ الخصم) أى خبر الخصم فاستمع له نقصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذ تسوروا المحراب) أى صعدوا وعلوا المحراب أى البيت الذى كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفى الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام ❊ واختلف العلماء بأخبار الانبياء فى سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها وأما ما قاله المفسرون فهو أن داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك أنه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتنى بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة فى بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت

(وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد لان من تكلم فى الامر الذى له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر فى الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد

(اذ) بدل من الاول (دخلوا على داود ففزع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدا محذوف أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل

طما

غلبة فتقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هى تشايع بنت تشايع امرأة أوريا ابن حنانا وزوجها فى غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعث أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن أبعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه قال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة فى الدنيا وازدياد من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر أجزاء يوما للنساء ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود فى نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود فى نفسه أنه ان ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الابواب وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ ... حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام ما زال يجتهد فى العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة وكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال أخبرونى بأى شئ أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه ليت شعرى كيف أكون لو خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأوحى الله تعالى الى الملكين أن يعتزلاه ليعلم أنه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة الى أن ظن أنه قد غلب نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه فأرسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبنى اسرائيل لأعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل انه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) أى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه فقال لهما من أدخلكما على (قالوا لا تخف خصمان) أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر فى حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) أى أرشدنا الى طريق الحق والصواب فقال

أى إنّ التأمل اذا أداه الى الشعور بالعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (ان هذا أخى) هو بدل من هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو اخوة الصداقة والالفة أو اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) ولى حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويرا للمسئلة وفرضا لها لا يمتنع ان يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين الا أربعة ولا ربعها (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى (وعزنى) وغلبنى

(٢٧)

يقال عزه يعزه (فى الخطاب) فى الخصومة أى انه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل ان مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك الى

نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعدما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد ان آخذها وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ما هم) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) أى علم وأيقن وانما استعير له لان الظن الغالب يدانى العلم (أنما فتناه) ابتليناه

لهما داود تكلما فقال أحدهما (ان هذا أخى) أى على دينى وطريقتى لا من جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) أى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغى (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس أى أعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه أفصح منى فى الكلام وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع أوريا زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاوريا امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أى بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقوله (وان كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) أى يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحدا (وقليل ما هم) أى هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أى أيقن وعلم (أنما فتناه) أى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود أنه انما عنى به وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم قطع على بنى اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبينه وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود

﴿فصل﴾ فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم أن من خصه الله
بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه
أن ينسب اليه ما لو نسب الى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب الى
أعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن على بن أبى طالب
عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على
الانبياء وقال القاضى عياض لا يجوز أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا
ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه
قصة داود وظن داود انما فتناه وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا
ينبغى أن يعول عليه من أمر داود قال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل
حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام
غيره ان الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة
يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا
فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم فان قلت
ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا
له ذلك قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وهم
فيطالبون بأكمل الاخلاق والاوصاف وأسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على
ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين فان قلت فعلى هذا القول ما
الامتحان فى الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة
والسلام ما زاد على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك
وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى أن تكون امرأة أوريا له فاتفق أن أوريا هلك فى الحرب
بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان
الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه
فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى
حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى
الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود
أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنبه
الذى استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل
كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه
بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه
نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم ۞ قوله عز وجل (فاستغفر ربه) أى طلب
الغفران (وخر راكعا) أى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل
وخر ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

﴿فصل﴾ اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله
أنها ليست من عزائم سجود التلاوة وقال لانها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هى من عزائم
سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة

(فاستغفر ربه) ذنبه (وخر راكعا) اى سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على ان الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة اذا نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة

سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس أسجد في ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن أمر أن يقتدي بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان في يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشزنتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود قوله تشزن الناس يعني تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور إلهي خليت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي سبحان خالق النور إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر سبحان خالق النور إلهي الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور إلهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهي أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه سبحان خالق النور إلهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت شاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور إلهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي سبحان خالق النور إلهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور إلهي فررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فأجيب في غير ما طلب ولم يجب في ذكر خطيئته بشيء فنحب حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب إن داود أتاه نداء إني قد غفرت لك قال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك قال وما كان منك إلي قال عرضتك للقتل قال بل عرضتني للجنة فأنت في حل فأوحى الله تعالى إليه يا داود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالعنت ألا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته فرجع فناداه فأجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله أليس

قد شفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فبكيت و[illegible] مرة فرعيه ويرده فرعيه فنام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فأتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له رضيت عبدي فيقول يارب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا عوض من عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي قال يارب الآن قد عرفت انك غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (وأناب) أي رجع (فغفرنا له ذلك) أي الذنب (وان له عندنا) أي بعد المغفرة (لزلفى) أي لقربة ومكانة (وحسن مآب) أي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسبح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا أن يستغفر للخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته وقيل انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) أي تدبر أمر الناس بأمرنا فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل (ولا تتبع الهوى) أي لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف أمر الله تعالى

---

(وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وقيل انه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع (فغفرنا له ذلك) أي زلته (وان له عندنا لزلفى) لقربى (وحسن مآب) مرجع وهو الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) أي استخلفناك على الملك في الارض أو جعلناك خليفة عمن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أي بحكم الله اذ كنت خليفته أو بالعدل (ولا تتبع الهوى) أي هوى النفس في قضائك

(فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بنسيانهم يوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة ومصلحة عامة بل كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ويجوز ان يكون ذوي باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أي ما خلقنا هما وما بينهما للعبث واللهو ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا ودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سبقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة في خلق العالم (فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار) ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعني القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبروا وقرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه

(41)

(فيضلك عن سبيل الله) أي عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضاء ﴿ قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه وما خلقناهما عبثا لا لشيء (ذلك ظن الذين كفروا) يعني أهل مكة هم الذين ظنوا انا خلقناهم لغير شيء وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين) يعني الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعني الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء في الآخرة (كتاب أنزلناه اليك) أي هذا كتاب يعني القرآن أنزلناه اليك (مبارك) أي كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) أي ليتدبروا ويتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في أوامره ونواهيه (وليتذكر) أي وليتعظ (أولوا الالباب) أي ذوو العقول والبصائر ﴿ قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فاقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها مائة فرس فالذي في أيدي الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى أبدله الله تعالى خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من سره أن يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من

(٦ - (خازن) - رابع)

وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التاءين مزيد (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ بالقرآن أولو العقول (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أي سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (انه أواب) معلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أي كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشي) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجان وانما هو في العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروي ان سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه واصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعدما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله وبقي مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره

النار أي قياما الجياد أي الخيار السراع في الجري واحدها جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (اني أحببت حب الخير) أي آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سماها به لانه معقود في نو[اصيها] الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه (عن ذكر ربي) يعني العصر (حتى توارت) أي استترت الشمس (بالحجاب) أي بما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها علي) أي ردوا الخيل علي (فطفق مسحا بالسوق) جمع ساق (والاعناق) أي جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الـ[صلاة] بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه أنه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال معنى ردوها علي يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام فخر الدين التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن أن نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما أنه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أني لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر بردها اليه وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان في دفع العدو الثاني أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط [السياسة] يبلغ الى أنه يباشر الامور بنفسه الثالث أنه كان أعلم باحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فـ[كان] يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق [عليه لفظ] القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه [الوجوه] فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول أن ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله أن الامر كما ذكرنا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ﴿ قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه [...] بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس اليه [سبيل ...] البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه [...] الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا [...] الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت [illegible] حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت اني أذكر أبي وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا أعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا صورة والدي في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسلي عني بعض ما أجد في

يعني آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال أبو علي أحببت بمعنى من أصاب البعير وهو روك حب الخير أي المال مفعول له مضاف الى المفعول (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جري ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام (ردوها علي) أي [...] الشمس على لاصلي العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) فجعل يمسح مسحا أي يمسح السيف بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعني يقطعها لانها منعته عن [...] تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها أو شكرا لرد الشمس وكانت الخيل مأكولة في شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه [...] سليمان

سليمان للشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها
بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت إذا خرج
سليمان من دارها تغدو إليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع في ملكه وتروح في كل
عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقاً وكان
لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل حاضراً كان سليمان أو غائباً فأتاه فقال يا نبي
الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه
من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم
فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل
نبي بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى إلى سليمان فقال ما كان أحكمك في صغرك وأورعك
في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى في صغرك ثم
انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملئ غضباً فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت
من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتني
جعلت تثني علي خيراً في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري
فقال آصف إن غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال في دارك
قال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد عرفت أنك ما قلت الذي قلت إلا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان إلى داره
فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهرة فأتي بها وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار
ولا ينسجها إلا الأبكار ولا يغسلها إلا الأبكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض
وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللاً إلى
الله تعالى وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره
وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى
يتطهر وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان
اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً فقال خاتمي أمينة فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى
جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس وخرج سليمان فأتى أمينة وقد تغيرت
حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود قالت كذبت قد جاء
سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على
الدار من دور بني إسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا
المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق
ويعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوي الأخرى فيأكلها فمكث على ذلك
أربعين صباحاً عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم إن آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حكم عدو الله
الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت قالوا نعم
قال أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة الناس وعلانيتهم
فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشده ما يدع امرأة منا في دمها ولا
يغتسل من الجنابة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قال الحسن ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على
نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم إن آصف خرج على بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أشد مما في العامة
فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض

الصيادين وقد عمل لسليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتين فباع سليمان احداهما بأرغفة وبقر الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليهما كان أحدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين ان يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه في البحر * وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام أن جرادة كانت أبر نسائه عنده وكان يأمنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخي بينه وبين فلان خصومة فأحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فأعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فأيقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فأقام آصف في ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وفي رواية لأطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي أن يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم تنفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ ألقي الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه بذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل أناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لي) أي سأل ربه المغفرة (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) أي لا يكون لأحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري (انك أنت الوهاب) فان قلت قول سليمان لا ينبغي لأحد من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص

---

(وألقينا على كرسيه) سرير ملكه (جسدا ثم أناب) رجع الى الله قيل فتن سليمان بعدما ملك عشرين الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم تنفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفا من مضرة الشياطين فألقي ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته في ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام في تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون (لأحد من بعدي) أي دوني وبفتح الياء مدني وأبو عمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولم يكن معجزة حتى يخرق العادات (انك أنت الوهاب)

فسخرنا له الريح) الرياح أبو جعفر (تجري) حال من الريح (بأمره) بأمر سليمان (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وهو حال من ضمير تجري (حيث) ظرف تجري (أصاب) قصد وأراد والعرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أي سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية (وغواص) أي ويغوصون له في البحر لإخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل في حكم البدل (مقرنين في الأصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد ويسمى به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعط منه ما شئت من المنة وهي العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان إذا أعطى أجر وإن منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أي هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره أو هذا التسخير



عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق أو أمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم إن والخبر له والعامل في عند الخبر (واذكر عبدنا أيوب) هو بدل من عبدنا أو عطف بيان (إذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أني مسني) بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة نصب يزيد بتثقيل نصب بنصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (اركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض وهي أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاد مثلهم (رحمة منا وذكرى لأولي الألباب) مفعول لهما أي الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه من الصبر رغبهم في الصبر على البلاء

---

فسأل شيئا يختص به كما روي في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئا ﴿ قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) أي لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) أي حيث أراد (والشياطين) أي وسخرنا له الشياطين (كل بناء) أي يبنون له ما يشاء (وغواص) يعني يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) أي وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين في الأصفاد) أي مشدودين في القيود سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد (هذا عطاؤنا) أي قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) أي أحسن إلى من شئت (أو أمسك) أي عمن شئت (بغير حساب) أي لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فإنه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا في أمر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم بحل عنه أو أمسك أي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه في الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب) أي بمشقة (وعذاب) أي ضر وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب (اركض) يعني أنه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أي اضرب (برجلك) يعني الأرض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الأرض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه وذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أي إنما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لأولي الألباب) يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر

) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل

(فسحر ناله الريح) الرياح غير ذرب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من

(حيث) ظرف تجرى (الى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بأنها فاعل مفتحة

الشياطين (وكل بناء) بدل ة لهم الابواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها الا ان الاول أجود أو هى بدل من

من استخرج اللؤلؤ من البحر الجنات تقدير مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة

(مقرنين فى الاصفاد) وكار كثير وشراب) أى وشراب كثير فحذفه اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) أى قصرن طرفهن

به العلماء لانه ارتباط للمشيرات أسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت كان اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد

ر المال والبسطة (عطاؤنا قرأ مكى وأبو عمرو (ليوم الحساب) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) من انقطاع

غيره (بغير حساب) متعلق به الاشارة (هذا) خبر والمبتدأ محذوف أى الامر هذا



أو هذا كما ذكر (وان للطاغين

فسأل الشيطان عنض به كما روى (يذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون

قال ان عفريتا من الجن تفلت كذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح أبوابها

سارية من سوارى المسجد حتى يقال لها انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها فاكهة كثيرة وشراب

لأحد من بعدى فرددته خاسئا) أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل

(حيث أصاب) أى حيث أراد أين ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين

(وغواص) يعنى يستخرج جوهره المتقون (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) أى دائم ماله من نفاد وانقطاع

أى يستخرج له آخرين وهم مع اده مثله فى مكانه ﷺ قوله تعالى (هذا) أى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين

قرنهم فى الاصفاد (هذا عطاؤنا) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) أى

شئت (بغير حساب) أى لا حرج أى القراءتين (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا الحميم وهو الماء الحار

ولا عليه نبعة الاسلام فالزمه ربه يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد

من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى

هذا الحميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى أصناف

أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم

الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتموها ثم قيل

انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لا مرحبا بهم) أى الاتباع

(انهم صالوا النار) أى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) أى قال الاتباع للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم)

أى لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أنتم قدمتموه لنا) يعنى

يقول الاتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم

إيانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا)

لشر مآب) مرجع (جهنم

بدل منه (يصلونها) يدخلونها

(فبئس المهاد) شبه ما تحتهم

من النار بالمهاد الذى

يفترشه النائم (هذا

فليذوقوه حميم وغساق)

أى هذا حميم وغساق

فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم

خبره وغساق عطف على

الخبر فليذوقوه اعتراض

أو العذاب هذا فليذوقوه

ثم ابتدأ فقال هو حميم

وغساق بالتشديد حمزة

وعلى وحفص والغساق

بالتشديد والتخفيف

ما يغسق من صديد أهل

النار يقال غسقت العين

اذا سال دمعها وقيل

الحميم يحرق بحره والغساق

يحرق ببرده (وآخر) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى أى ومذوقات أخر من

شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد

اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع

بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على

أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو

عليهم (انهم صالوا النار) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم

ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى الدعاء الذى دعوتم به

علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقوله (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم أى انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار)

النار (قالوا) أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا

فزده عذابا ضعفا) أي مضاعفا (في النار) ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله
(وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالنا لانرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا نعدهم) في الدنيا (من الاشرار) من الارذال الذين لاخير فيهم ولاجدوى (اتخذناهم سخريا) بلفظ الاخبار عراقي غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم في الاستسخار منهم سخريا مدني وحمزة وعلي وخلف والمفضل (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أي مالنا لانراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم (ان ذلك) الذي حكيناعنهم (لحق) لصدق كائن لامحالة لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم ومايجري بينهم من السؤال والجواب بمايجري بين المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يامحمد لمشركي مكة (انما أنا منذر) ما أنا الا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (ومامن اله الا الله) وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا اله الا الله (الواحد) بلاند ولاشريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما بينهما) له الملك والربوبية في العالم كله (العزيز) الذي لايغلب اذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لاشريك له (نبأ عظيم) لايعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون (ما كان لي) حفص (من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته ان ماينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم مالم يعلموا وهو لاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله تعالى (ان يوحى الي الا انما أنا نذير مبين) أي لانما

---

أي شرعه وسنتنا (فزده عذابا ضعفا في النار) أي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن عباس حيات وأفاعي (وقالوا) يعني كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم في النار (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم) أي في الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم أشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار) يعني أن الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الابصار أي أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لانعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) أي الذي ذكر (لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أي في النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لامرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة

قوله عز وجل (قل) أي يامحمد لمشركي مكة (انما أنا منذر) أي مخوف (ومامن اله الا الله الواحد) يعني الذي لاشريك له في ملكه (القهار) أي الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بمايدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض ومابينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة (أنتم عنه معرضون) أي لاتتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وان ماجئت به لم أعلمه الا بوحي من الله تعالى (ما كان لي من علم بالملأ الاعلى) يعني الملائكة (اذ يختصمون) يعني في شان آدم حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز أن يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لاتليق ولاتمكن قلت لاشك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة (ان يوحى الي) أي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الي (الا انما أنا نذير مبين) يعني الا انني أنذركم وأبين لكم ماتأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني ربي في أحسن صورة قال أحسبه قال في المنام فقال يامحمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت مافي السموات ومافي الارض قال يامحمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يامحمد اذا صليت فقل اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام

نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

﴿فصل في الكلام على معنى هذا الحديث﴾ وللعلماء في هذا الحديث وفي أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان ٭ أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بان الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٭ المذهب الثاني هو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال في المنام ورواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد الا أنهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من طرق كلها ضعاف وفي ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على ان ذلك كان في المنام وأما تأويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون الباري تبارك وتعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصورة مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله أتاني ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين ٭ أحدهما أتاني في أحسن صورة كأنه زاده جلالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته له وانما التغيير وقع بعد ذلك لشدة الوحي وثقله ٭ الوجه الثاني ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه في أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات الله تعالى انه جميل ومعناه أنه مجمل في أفعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وتعاليه عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٭ وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يديه بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الارض باعلام الله تعالى اياه واعلم أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في أي الخصال أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه واعاسماه مخاصمة لانه ورد مورد

أنا نذير مبين ومعناه ما يوحى الي الا لاني نذير فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر الا بهذا الامر وحده وليس لي غير ذلك ويكسر انما بريد على الحكاية أي الا هذا القول وهو ان أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعي شيأ آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضي الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملأ الاعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم

(إذ قال ربك) بدل من إذ يختصمون أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة إنى خالق بشرا من طين) وقال إنى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فإذا سويته) أى إذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته وأضافه إليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (إلا إبليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بإبائه الأمر (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدى) أى بلا واسطة امتثالا لأمرى وإعظاما لخطابى وقد مر أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (أستكبرت) استفهام إنكار (أم كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) يعنى لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو دونى لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان والإيضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التى أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا (فإنك رجيم) مرجوم أى مطرود تكبر إبليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه أن الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره إجلالا لخطابه وتعظيما لأمره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وإن عليك لعنتى) بفتح الياء مدنى أى إبعادى من كل الخير (إلى يوم الدين) أى يوم الجزاء ولا يظن أن لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع لأن معناه أن عليه اللعنة فى الدنيا وحدها فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أولما كان عليه اللعنة فى أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه فى غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرنى) فأمهلنى (إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذى هو وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) أى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (إلا عبادك منهم المخلصين)

سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم قوله عز وجل (إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فإذا سويته) أى أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) أضاف الروح إلى نفسه إضافة تملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولأن الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الإنسان سريان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر) أى تعظم (وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أى توليت خلقه (أستكبرت) أى تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنت من العالين) أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب إبليس بقوله (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح أن أسجد له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ إبليس فى القياس لأن مآل النار إلى الرماد الذى لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالإنسان والشجرة المثمرة ومعلوم أن الإنسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب أن النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فإن نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من الأول النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فإنك رجيم) أى مطرود (وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين) فإن قلت إذا كان الرجيم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق أن يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ ويحصل الفرق ويزول التكرار فإن قلت كلمة إلى لانتهاء الغاية وقوله إلى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجىء يوم الدين قلت معناه أن اللعنة باقية عليه فى الدنيا فإذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكأنها انقطعت عنه (قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الأولى (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم

(المخلصين) بكسر اللام مكي وبصري وشامي (قال فالحق) بالرفع كوفي غير علي على الابتداء أي الحق مني أو
بالنصب على انه مقسم به كقوله الله لأفعلن كذا يعني حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملأن (والحق أقول) اعتراض بين المقسم
به والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذي في قوله ان الله هو الحق أو الحق الذي هو
نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذريه آدم (أجمعين) أي
لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا (قل ما أسئلكم عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحي (وما أنا من
المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا بما ليس عندي حتى انتحل النبوة
وأتقول القرآن (ان هو) ما القرآن (الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحي الى فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم للمتكلف
ثلاث علامات ينازع من
فوقه ويتعاطى ما لا ينال
ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن
نبأه) نبأ القرآن وما فيه
من الوعد والوعيد وذكر
البعث والنشور (بعد
حين) بعد الموت أو يوم
بدر أو يوم القيامة ختم
السورة بالذكر كما افتتحها
بالذكر والله الموفق

*(سورة الزمر مكية وهي
خمس وسبعون آية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(تنزيل الكتاب) أي
القرآن مبتدأ خبره (من
الله) أي نزل من عند الله
أو خبر مبتدأ محذوف
والجار صلة التنزيل أو غير
صلة بل هو خبر بعد خبر أو
خبر مبتدأ محذوف تقديره
هذا تنزيل الكتاب هذا
من الله (العزيز) في سلطانه
(الحكيم) في تدبيره (انا
أنزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثاني لبيان ما في الكتاب (فاعبد الله مخلصا) حال (له الدين)
أي ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا
(ألا لله الدين الخالص) أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة
الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره
والذين عبدوا الاصنام يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصدر أي تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فيما
هم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لا يهدي

---

المخاصمين قال فالحق والحق أقول) أي أنا أقول الحق وقيل الاول قسم يعني فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه
(لأملأن جهنم منك) أي بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم أجمعين) يعني من بني آدم (قل ما أسألكم
عليه) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (وما أنا من المتكلفين) أي المتقولين القرآن من تلقاء
نفسي وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها
الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخاري (ان هو) يعني القرآن
(الا ذكر) أي موعظة (للعالمين) أي للخلق أجمعين (ولتعلمن) يعني أنتم يا أهل مكة (نبأه) أي خبر
صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر أمره وعلا
ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار
كتابه

*(تفسير سورة الزمر)*

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وقيل
قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات
من قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله لا تشعرون وهي اثنتان وقيل خمس وسبعون آية
وألف ومائة واثنان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أي لا من
غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي لم ننزله باطلا لغير شيء (فاعبد الله مخلصا له الدين) أي الطاعة (ألا لله
الدين الخالص) أي شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من
الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي أمر به لان رأس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع
الاوامر واجتناب النواهي (والذين اتخذوا من دونه) أي من دون الله (أولياء) يعني الاصنام (ما نعبدهم)
أي قالوا ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعني قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق
السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى
وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين (ان الله لا يهدي) أي يرشد

من هو كاذب كفار) أى لايهدى من هو فى علمه أنه يختار الكفر يعنى لايوفقه للهدى ولايعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبه
قولهم فى بعض من اتخذوا من دونه أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) أى
لوجاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاؤن (سبحانه) تنزيها له عن أن يكون له أحد مما نسبوا اليه من
الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى أنه واحد مستبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والاولاد قهار
غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر
وتسخير النيرين وجريهما لاجل  مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وبخلق الانعام على أنه واحد

لايشاركه قهار لايغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى أن كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار أو أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) أى يوم القيامة (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خلقكم من نفس واحدة)

لديه (من هو كاذب) أى من قال ان الآلهة تشفع له (كفار) أى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) أى لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) أى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) أى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد (القهار) أى الغالب الكامل القدرة ﴿ قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعنى يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر فما نقص من الليل زاد فى النهار وما نقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته فى خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم أتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) يعنى الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان أصول هذه الاصناف خلقت فى الجنة ثم أنزلت الى الارض (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الانسان ثم أتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون الامهات قال فى بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) أى الذى خلق هذه الاشياء ربكم (له الملك) أى لا لغيره (لا اله الا هو) أى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فأنى تصرفون) أى عن طريق الحق بعد هذا البيان ﴿ قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) يعنى انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر اليه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لانه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أنه غنى عن جميع العالمين

أى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أى حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الانعام) أى جعل عن الحسن أو خلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها ولانها لاتعيش والنبات لايقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز كما بين فى سورة والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم الى تمام الخلق (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين أنه غنى عنهم بقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم وأنتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالايمان

(ولا يرضى لعباده الكفر) لأن الكفر ليس برضا الله تعالى وإن كان بإرادته (وإن تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أي يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والإشباع مكي وعلي يرضه بضم الهاء بدون الإشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم بسكونها (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثم إلى ربكم مرجعكم) إلى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها (إنه عليم بذات الصدور) بخفيات القلوب (وإذا مس الإنسان) هو أبو جهل أو كل كافر (ضر) بلاء وشدة والمس في الأعراض مجاز (دعا ربه منيبا إليه) راجعا إلى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثم إذا خوله) أعطاه (نعمة منه) من الله عز وجل (نسي ما كان يدعو إليه من قبل) أي نسي ربه الذي كان يتضرع إليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والأنثى أو نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه (وجعل لله أندادا) أمثالا (ليضل) ليضل مكي وأبو عمرو ويعقوب (عن سبيله) أي الإسلام (قل) يا محمد (تمتع) أمر تهديد (بكفرك قليلا) أي في الدنيا (إنك من أصحاب النار) من أهلها (أمن) قرئ بالتخفيف مكي ونافع وحمزة على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هو قانت) كغيره أي أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير في قانت (يحذر الآخرة) أي عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أي الجنة ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره في عمله ثم الرجاء إذا جاوز حده يكون أمنا والخوف إذا جاوز حده يكون إياسا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده (قل هل يستوي الذين

---

العالمين فلو كفروا وأصروا عليه فإن الله تعالى غني عنهم ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعني أنه تعالى وإن كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفر إلا أنه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله تعالى وإن كان بإرادته لأن الرضا عبارة عن مدح الشيء والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه إلا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الإرادة والرضا (وإن تشكروا) أي تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تقدم بيانه (ثم إلى ربكم مرجعكم) أي في الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي في الدنيا (إنه عليم بذات الصدور) أي بما في القلوب قوله تعالى (وإذا مس الإنسان ضر) أي بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) أي راجعا (إليه) مستغيثا به (ثم إذا خوله) أي أعطاه (نعمة منه نسي) أي ترك (ما كان يدعو إليه من قبل) والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه (وجعل لله أندادا) يعني الأصنام (ليضل عن سبيله) أي ليرد عن دين الله تعالى (قل) أي لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) أي في الدنيا إلى انقضاء أجلك (إنك من أصحاب النار) قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في أبي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر (أمن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذي جعل لله أندادا خير أمن هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك إنك من أصحاب النار ويا من هو قانت إنك من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في أبي بكر وعمر وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (آناء الليل) أي ساعات الليل أوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) أي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل منه وذلك لأن الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولأن ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر إلى الأشياء وإذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالأحوال الخارجية رجع إلى المطلوب الأصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لأن الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر (يحذر) أي يخاف (الآخرة ويرجو رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهي أنه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر إليه تعالى وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب إلى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى ما يرجوه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذي (قل هل يستوي الذين

يعلمون والذين لا يعلمون) أي يستوون ويعلمون به كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلم ثم لا يعملون فيهم ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أي كما لا يستوي العالم والجاهل لا يستوي المطيع والعاصي (إنما يتذكر أولو الألباب) جمع لب أي إنما يتعظ بوعظ الله أولو العقول (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي أطاعوا الله في الدنيا في مقابلة إحسانهم الأعمال الحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة لا يوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية



ومعنى (وأرض الله واسعة) أي لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفر على الإحسان قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا إلى بلاد أخرى واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم (إنما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الأجر أي موفرا (قل إني أمرت أن أعبد الله) بأن أعبد الله (مخلصا له الدين) أي أمرت بإخلاص الدين (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك

يعلمون) أي ما عند الله من الثواب والعقاب (والذين لا يعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لأن العمل من باب المجاهدة والعلم من باب المكاشفة وهو النهاية فإذا حصلا للإنسان دل ذلك على كماله وفضله (إنما يتذكر أولو الألباب) قوله تعالى (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) أي بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في هذه الدنيا (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء بل صبروا وهاجروا (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فإنه يحثى لهم حثيا ويروى أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل قوله سبحانه (قل) يا محمد (إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي مخلصا له التوحيد أي لا أشرك به شيئا (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أي من هذه الأمة فقيل أمره أولا بالإخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح لأن شرائع الله تعالى لا تستفاد إلا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر لينبه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله هذه الآيات ومعنى الآية التعريض بالعاصي لأنه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته إذا كان خائفا حذرا من المعصية فغيره أولى بذلك (قل الله أعبد مخلصا له ديني) فإن قلت ما معنى التكرار في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وفي قوله قل الله أعبد مخلصا له ديني قلت هذا ليس بتكرار لأن الأول الإخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالإتيان بالعبادة والإخلاص والثاني أنه إخبار بأنه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لأن قوله أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه ثم أتبعه بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل إن الخاسرين الذين خسروا

لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقا فالأول أمر بالعبادة مع الإخلاص والثاني بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين فصح عطف أحدهما على الآخر (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لمن دعاك إلى الرجوع إلى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له ألا تنظر إلى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قل الله أعبد مخلصا له ديني) وهذه الآية إخبار بأنه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والأولى إخبار بأنه مأمور بالعبادة والإخلاص فالكلام أولا واقع في نفس الفعل وإثباته وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام أن خسرت فنزلت (قل إن الخاسرين) أي الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) بإهلاكها في (وأهليهم

(وأهليهم) أي وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لأنهم أضلوهم فصاروا إلى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لأنهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهي ظلل الآخرين أي النار محيطة بهم (ذلك) الذي وصف من العذاب أي ذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل الاشتمال من الطاغوت أي عبادتها (وأنابوا) رجعوا (إلى الله لهم البشرى) هي البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الذين اجتنبوا وأنابوا وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساوئ فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) أي المنتفعون بعقولهم (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أي وجب أفأنت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من في النار موضع الضمير أي تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة ومعناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه فأنت تنقذه أي لا يقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق في علمه أنه من أهل النار

---

وأهليهم) يعني أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا وأهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والأهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله (ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) أي أطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أي فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فإن قلت الظلة ما فوق الإنسان فكيف سمى ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الأول أنه من باب إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثاني أن الذي تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته في النار لأنها دركات الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الإيذاء والحرارة سميت باسمها لأجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أي المؤمنين لأنهم إذا سمعوا حال الكفار في الآخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (يا عباد فاتقون) أي فخافون ۞ قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعني الأوثان (أن يعبدوها وأنابوا إلى الله) أي رجعوا إلى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) أي في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر وأما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادي الذين يستمعون القول) يعني القرآن (فيتبعون أحسنه) أي أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو أن الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الأمرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لأنه كله حسن وقال ابن عباس رضي الله عنهما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسي (أولئك الذين هداهم الله) أي إلى عبادته وتوحيده (وأولئك هم أولو الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق في علم الله تعالى أنه في النار وقيل كلمة العذاب قوله لأملأن جهنم وقيل هؤلاء في النار ولا أبالي (أفأنت تنقذ من في النار) أي لا تقدر عليه قال ابن

(لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعنى للكفار ظلل من النار
وللمتقين غرف (مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت منازلها (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان لهم
غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى
الصخرة ثم تقسمه الله (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد وينابيع

عباس رضى الله عنهما يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى
منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد)
أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب
الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها
غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أى الباقى فى الافق أى
فى ناحية المشرق أو المغرب ۞ قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء
(ينابيع فى الارض) أى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض كالعروق فى الجسد قال الشعبى
وكل ماء فى الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أى مثل أصفر وأخضر
وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه
أى بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا (ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب
۞ قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره) أى وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على
قلبه (فهو على نور من ربه) أى على يقين وبيان وهداية روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود
قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله
كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة
الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر
الله) القسوة جمود وصلابة تحصل فى القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول
النور والهداية قلت انهم كلما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس
اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها ذكر الله لا يزيدها الا قسوة
وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه الا يزيد
الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله
على قوم الا نزع منهم الرحمة (أولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى
عنه وفى أبى بن خلف وقيل فى على وحمزة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أبى
جهل ۞ قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما
من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى أما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو
من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى أسلوبه وأما الوجه الثانى وهو
كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على
أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا

نصب على الحال أو على
الظرف وفى الارض صفة
لينابيع (ثم يخرج به) بالماء
(زرعا مختلفا ألوانه) هيئاته
من خضرة وحمرة وصفرة
وبياض أو أصنافه من بر
وشعير وسمسم وغير ذلك
(ثم يهيج) يجف (فتراه
مصفرا) بعد نضارته وحسنه
(ثم يجعله حطاما) فتاتا
متكسرا فالحطام ما تفتت
وتكسر من النبت وغيره
(ان فى ذلك) فى انزال
الماء واخراج الزرع (لذكرى
لاولى الالباب) لتذكيرا
وتنبيها على انه لا بد من
صانع حكيم وان ذلك كائن
عن تقدير وتدبير لا عن
اهمال وتعطيل (أفمن
شرح الله صدره) أى وسع
صدره (للاسلام) فاهتدى
وسئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الشرح فقال
اذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح فقيل هل
لذلك من علامة قال نعم
الانابة الى دار الخلود
والتجافى عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل
نزول الموت (فهو على
نور من ربه) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه متشابها
فحذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أى من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أى اذا ذكر الله عندهم أو
آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم (أولئك فى ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) فى ايقاع اسم
الله مبتدأ أو بناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه

متشابها) أي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا (مثاني) أي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار والأحكام (تقشعر) أي تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أي لذكر الله تعالى قيل إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء وروي عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السائرون في بيداء جلال الله إذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا وإذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذي نعتهم الله به أن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر إنا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن رمى بنفسه فهو صادق فإن قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا في جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا في الرجاء قلت إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد في أول وهلة وإذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل إن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لأن الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب وإذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد وإذا حصل الرجاء اطمأن إليه القلب ولان الجلد (ذلك) أي القرآن الذي هو أحسن الحديث (هدى الله يهدي به من يشاء) أي هو الذي يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) أي يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فما له من هاد) أي يهديه قوله عز وجل (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب) أي شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فأول شيء تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا في النار مغلولة يداه إلى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على

(متشابها) يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك (مثاني) نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لأن القصص المكررة وغيرها لا تكون إلا متشابهة وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل وإنما جاز وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام (٥٧) ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (تقشعر) تضطرب وتتحرك (منه جلود الذين يخشون ربهم) يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفي الحديث إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أي إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدي بإلى لتضمنه معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لأن رحمته سبقت غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالبال إلا كونه رؤوفا رحيما وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لأن محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) إشارة إلى الكتاب وهو (هدى الله يهدي به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (ومن يضلل الله) يخلق الضلالة فيه (فما له من هاد) إلى الحق (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه

(وقيل للظالمين) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش
(فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون اذ فوجئوا من
(فأذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر
من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) ليتعظوا (قرآنا عربيا
حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا أو نصب على المد

(غير ذي عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للاشعار بان لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة وسالما مكى وأبو عمرو أى خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذى لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره مثل الكافر ومعبوده بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته
ومن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى
(وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو وتسألنى تفسير ميت وميت فدونك قد فسرت ان
فمن كان ذا روح فذلك ميت ۞ وما الميت الا من الى القبر يحمل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبران الموت
يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أى انك واياهم فى عداد الموتى لأن ما هو كائن
فكأن قد كان (ثم انكم) أى انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم

وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل للظالمين) أى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) أى وبال ما (كنتم تكسبون) أى فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فأذاقهم الله الخزى) أى العذاب والهوان (فى الحياة) الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ۞ قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (قرآنا عربيا) أى فصيحا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذي عوج) أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) أى الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الآية على التقوى فى هذه الآية قلت سبب تقديم التذكر أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشئ واحتاط بمعناه اتقاه واحترز منه ۞ قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سلما لرجل) أى خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى أنه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فأى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد الها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار أى لا يستويان فى الحال والصفة ۞ قوله تعالى (الحمد لله) أى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الأحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل أكثرهم لا يعلمون) أى أن المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له ۞ قوله تعالى (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) أى سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم أنفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم فى عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم

القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال
نعم فقال ان الامر اذا لشديد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا
برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
قلنا كيف نختصم ودينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها
فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد فما هذه
الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه
الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه
خصومتنا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من
عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته
وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من
أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم
هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه
أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ﴿ قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له
ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق اذ جاءه) أي بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (أليس في جهنم مثوى) أي
منزلة ومقام (للكافرين) ﴿ قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) أي والذي صدق به قال ابن
عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم أيضا بلغه الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع
وقيل الذي جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به
(أولئك هم المتقون) أي الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أي من الجزاء والكرامة (ذلك
جزاء المحسنين) أي في أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) أي يستره عليهم بالمغفرة
(ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) أي يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزيهم بمساويها ﴿ قوله
عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الانبياء عليهم الصلاة
والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك

تختصمون) فتحتج أنت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا
سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون قال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما
قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة وذلك في الدماء والمظالم التي بينهم والوجه هو الاول ألا ترى الى
قوله (فمن أظلم ممن كذب على الله) وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله
افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم (اذ جاءه)
فاجأه بالتكذيب لما سمع
به من غير وقفة لاعمال
روية أو اهتمام بتمييز بين
حق وباطل كما يفعل أهل
النصفة فيما يسمعون (أليس
في جهنم مثوى للكافرين)
أي لهؤلاء الذين كذبوا
على الله وكذبوا بالصدق
واللام في الكافرين اشارة
اليهم (والذي جاء بالصدق
وصدق به) هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء
بالحق وآمن به وأراد به
اياه ومن تبعه كما أراد بموسى
اياه وقومه في قوله ولقد آتينا
موسى الكتاب لعلهم
يهتدون فلذا قال تعالى
(أولئك هم المتقون)
وقال الزجاج روي عن علي
رضي الله عنه انه قال
والذي جاء بالصدق محمد
رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي صدق به أبو بكر
الصديق رضي الله عنه
وروي ان الذي جاء بالصدق
محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير
يستدعي اضمار الذي وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله
عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير
تفضيل كقولك الاشج أعدل بني مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفي فأفيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها
(عبده) أي محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلي أي الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه)
أي بالاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها

لعيبك إياها (ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) منتقم من أعدائه وفيه
وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بأنهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بأن الله تعالى خلق السموات
والارض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله) بفتح الياء سوى
حمزة (بضر) مرض أو فقر أو غير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عنى (أو أرادنى برحمة) صحة أو غنى أو نحوهما (هل هن
ممسكات رحمته) كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصرى وفرض المسئلة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه مضرة الاوثان
وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر أو برحمة هل
يقدرون على خلاف ذلك فلما أفحمهم قال الله تعالى (قل حسبى الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبى صلى الله عليه
وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من

انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل
أو جنون (ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز) أى منيع فى ملكه
(ذى انتقام) أى منتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان
هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة
الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيهما من أنواع الموجودات علم
بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على
جلب خير أو دفع ضر وهو قوله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان أرادنى الله
بضر) أى بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة) أى بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات
رحمته) فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل
حسبى الله) أى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) أى عليه يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا
على مكانتكم) أى اجتهدوا فى أنواع مكركم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقريع (انى عامل) أى فيما أمرت به
من اقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى أنا أو أنتم (ويحل عليه عذاب مقيم) أى دائم
وهو تهديد وتخويف (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى ليهتدى به كافة الخلق
(فمن اهتدى فلنفسه) أى نرجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى يرجع و
عليه (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال ۞
(الله يتوفى الانفس) أى الارواح (حين موتها) أى فيقبضها عند فنائها وكلها بانقضاء أجلها وهو موت
الاجساد (والتى لم تمت فى منامها) والنفس التى يتوفاها عند النوم وهى التى يكون بها العقل والتمييز ولكل
انسان نفسان نفس هى التى تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى
هى التى يكون بها التمييز وهى التى تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التى قضى عليها
الموت) أى فلا يردها الى جسدها (ويرسل الاخرى) أى يرد النفس التى لم يقض عليها الموت الى جسدها (الى

دونه لانهن اناث وهن
اللات والعزى ومناة وفيه
تهكم بهم وبمعبودهم (قل
ياقوم اعملوا على مكانتكم)
على حالكم التى أنتم عليها
وجهتكم من العداوة
التى تمكنتم منها والمكانة
بمعنى المكان فاستعيرت
عن العين للمعنى كما يستعار
هنا وحيث للزمان وهما
للمكان (انى عامل) أى على
مكانتى وحذف للاختصار
ولما فيه من زيادة الوعيد
والايذان بان حالته تزداد
كل يوم قوة لان الله تعالى
ناصره ومعينه ألا ترى الى
قوله (فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه ويحل
عليه عذاب مقيم) كيف
توعدهم بكونه منصورا
عليهم غالبا عليهم فى الدنيا
والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه
وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة للعذاب كمقيم أى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم أبو بكر
(انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على
(بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم
بوكيل) بحفيظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجمل كما هى وتوفيها اماتتها وهو أن
ماهى به حية حساسة دراكة (والتى لم تمت فى منامها) ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين
حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التى قضى) حكم
وعلى (عليها الموت) الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى

﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى وقت ضربه لموته وقيل تتوفى الأنفس أي يستوفيها ويقبضها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة وتتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في المنام هي نفس التمييز لا نفس الحياة لأن بزوال الأولى يزول معها النفس والنائم يتنفس ولكل إنسان نفسان أحدهما نفس الحياة وهي التي تفارق عند الموت والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارق إذا نام ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن علي رضي الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الإرسال فيلقنها الشيطان فهي كاذبة وعن سعيد بن جبير أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها وروي أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم إلى السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له في السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه ﴿إن في ذلك﴾ إن في توفي الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل ﴿لآيات﴾ على قدرة الله وعلمه ﴿لقوم يتفكرون﴾ يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون ﴿أم اتخذوا﴾ بل اتخذ قريش والهمزة للإنكار ﴿من دون الله﴾ من دون إذنه ﴿شفعاء﴾ حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ﴿قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون﴾ معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا قط ولا عقل لهم ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه وانتصب جميعا على الحال ﴿له ملك السموات والأرض﴾ تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها ﴿ثم إليه ترجعون﴾ متصل بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة ولا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ مدار المعنى على قوله وحده أي إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم ﴿اشمأزت﴾ أي نفرت وانقبضت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه﴾ يعني آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر ﴿إذا هم يستبشرون﴾ لافتتانهم بها وإذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه والعامل في إذا ذكر هو العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾ أي يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ السر والعلانية

---

﴿أجل مسمى﴾ أي إلى أن يأتي وقت موتها وقيل إن للإنسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن أبي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عادت الروح إلى الجسد بأسرع من لحظة وقيل إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح بإذن الله تعالى ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ أي في البعث وذلك أن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل إن في ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم تغلط في إمساك ما نمسك من الأرواح وإرسال ما نرسل منها ۞ قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ يعني الأصنام ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أولو كانوا﴾ يعني الآلهة ﴿لا يملكون شيئا﴾ أي من الشفاعة ﴿ولا يعقلون﴾ أي أنكم تعبدونهم وإن كانوا بهذه الصفة ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ أي لا يشفع أحد إلا بإذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لأنه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي لا ملك لأحد فيهما سواه ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي في الآخرة ۞ قوله تعالى ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت﴾ أي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ قيل إذا اشمأز القلب من عظيم غمه وغيظه انقبض الروح إلى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ يعني الأصنام ﴿إذا هم يستبشرون﴾ أي يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل ۞ قوله عز وجل ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة﴾ وصف نفسه

(أنت تحكم) تقضي (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعي عندها الا أجيب سواها وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد ان قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيآت وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أي سيآت أعمالهم التي كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) أي أعطيناه تفضلا يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) مني أني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي وانما ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من (٦٢)

النعم وقسما منها وقيل ما في انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أي ان الذي أوتيته على علم (بل هي فتنة) انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعني فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها فتنة والسبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بأمر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان في جعله سببا في الالتجاء (قد قالها) هذه المقالة وهي قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أي قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع

بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أي من أمر الدين (م) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شئ كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ﴿ قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيآت والمعنى كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا وروي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أي مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى (وحاق) أي نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) أي شدة (دعانا ثم اذا خولناه) أي أعطيناه (نعمة منا قال انما أوتيته على علم) أي من الله تعالى علم اني له أهل وقيل على خير علمه الله عندي (بل هي فتنة) يعني تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني انها استدراج من الله (قد قالها الذين من قبلهم) يعني قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندي (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

أي فما أغنى الكفر من العذاب شيئاً (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) أي فائتين لأن مرجعهم إلى الله تعالى (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أي يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أي يقتر ويقبض على من يشاء (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون ۞ قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية أن أناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر إلى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل شركهم إيماناً وزناهم إحصاناً ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضاً قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاماً يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا فأنزل الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فأسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآيات في عياش ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده ثم بعث بها إلى عياش ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا جميعاً وهاجروا ۞ وعن ابن عمر أيضاً قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا إذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيئاً من ذلك خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له وقوله أسرفوا على أنفسهم أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله أي لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله من الكبائر (إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) فإن قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون إغراء بالمعاصي وإطلاقاً في الإقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منها التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا خلاص له من العذاب فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله إن الله يغفر الذنوب جميعاً أي إذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى فإن شاء غفر له وعفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقاً ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم

﴿فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية﴾ روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ۞ عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب

(فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أي من مشركي قومك (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل (قل يا عبادي الذين) وبسكون الياء بصري وحمزة وعلي (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها (لا تقنطوا) لا تيأسوا وبكسر النون علي وبصري (من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) بالعفو عنها إلا الشرك وفي قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية (إنه هو الغفور) بستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب

جميعا ولا يبالي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فأتى راهبا فسأله فقال هل لي من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فنأى بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى الى هذه أن تقربي وأوحى الله الى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخاري ولمسلم قال فدل على راهب فأتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى هذه أن تقربي والى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الارض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي قوله عنان العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها ۞ قوله عز وجل (وأنيبوا الى ربكم) أي ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة (وأسلموا له) أي أخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أي لا تمنعون منه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن كله حسن ومعنى الآية على ما قاله الحسن الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فانه أنزل في القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الحسن لتؤثروا وتأخذوا به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) يعني غافلين عنه (أن تقول نفس) لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوفا أن تصيروا الى حال أن تقول نفس (يا حسرتا) أي يا ندمي ويا حزني والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات (على ما فرطت في جنب الله) أي على في طاعة الله وقيل في أمر الله وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على الجانب الذي يؤدي الى رضا الله تعالى (وان كنت لمن الساخرين) أي المستهزئين بدين الله

(وأنيبوا الى ربكم) توبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أي يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم (أن تقول) لئلا تقول (نفس) انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير (يا حسرتا) الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه (على ما فرطت) قصرت وما مصدرية مثلها في بما رحبت (في جنب الله) أمر الله أو في طاعة الله أو في ذاته وفي حرف عبد الله في ذكر الله والجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل أي لأجله ... ورسوله
وقال الزجاج معناه فرطت في طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال

يمكنه ان يتبع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتي (أو تقول لو أن الله هداني) أى أعطاني الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا للاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل أن عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحقاقه العذاب وتضييعه الحق بعد ما تمكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه فانه يقول بلى قد جاءتك آياتي وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فانما جاء (٦٥) التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى

ورسوله والمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أو تقول لو أن الله هداني) أى أرشدني الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) أى الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أى عيانا (لو أن لي كرة) أى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) أى الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بان الاعتذار والتعلل باطل وهو قوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتي) يعني القرآن (فكذبت بها) أى قلت ليست من الله (واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أى زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) أى عن الايمان ۞ قوله تعالى (وينجي الله الذين اتقوا) أى الشرك (بمفازتهم) أى الطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أى ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) أى لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء) أى مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة (وهو على كل شيء وكيل) أى ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد * ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أى جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة (أولئك هم الخاسرون) ۞ قوله عز وجل

جواب لبلى تقديري لان المعنى لو أن الله هداني ماهديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفي الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة في محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أليس في جهنم مثوى) منزل



(للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجي الله) وينجي روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أى لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بمنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص (الله خالق كل شيء) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شيء وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أى هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها والكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أى ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق كل شيء فهو مهيمن عليه فلا

يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين فيها وما يجرون عليها أو بما يليه على أن كل شئ في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفر
وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد ا
والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله
وهو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد
وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون
(قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمروني أعبد) تأمروني مكي تأمرونني على الاصل شامي تأمروني مدني وانتصب أفغير الله بأعبد
وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك
من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذي عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على
التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحي اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى
المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى ان
رسله لا يشركون لان الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها

(٦٦)

(قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه
بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل (ولقد أوحي اليك
والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أي الذي عملته قبل الشرك وهذا
الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك
تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أي
تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ۞ ثم أخبر عن
فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)
(ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
ان الله يضع السماء على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والانهار على أصبع
وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا
قدره وفي رواية والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى
عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية (ق) عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن
بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون

وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم (وما قدروا الله حق قدره) وما عظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في
نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على
كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله
والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أي والارض
كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف يقال أعطني قبضة من كذا تريد
القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع
عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحد كما تقول الجزور أكلة لقمان أي لا تفي الا
من أكلاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطي الذي هو ضد
النشر كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع
بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما
أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

الجبارون أين المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون
أين المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل
شيء منه حتى اني أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم
القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك
أين ملوك الارض قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليد شمال لان الشمال
محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف
فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة
وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عليه قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا من الفزع
وهي النفخة الاولى (الا من شاء الله) تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله
يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) مرة أخرى وهي النفخة الثانية (فاذا هم قيام) أي من
قبورهم (ينظرون) أي ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال
أبو هريرة أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل
وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ۞ قوله تعالى
(وأشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في
نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع
الكتاب) أي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبتدأ الى المنتهى
(وجيء بالنبيين) يعني ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل
بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة (وقضي بينهم بالحق) أي العدل (وهم
لا يظلمون) أي لا يزاد في سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أي ثواب ما عملت
(وهو أعلم بما يفعلون) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد ۞ قوله تعالى
(وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعني سوقا عنيفا (زمرا) أفواجا بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل
جماعات متفرقة واحدتها زمرة (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال
لهم خزنتها) يعني توبيخا وتقريعا (ألم يأتكم رسل منكم) أي من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات

---

(ونفخ في الصور فصعق) مات (من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) أي جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم
حملة العرش أو رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثم نفخ فيه أخرى) هي في محل الرفع لان المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه
نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان (فاذا هم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم في الجهات
نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على أن النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على أنها
ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ في الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (٦٧) (وأشرقت الارض) أضاءت (بنور
ربها) أي بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز ان يخلق الله نورا فينور به ارض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (ووضع الكتاب) أي صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل
هم الابرار في كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان (وقضي بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفي الظلم كما
افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله
وهم لا يظلمون أي ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد في شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما
يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال أي أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى اذا جاؤها
فتحت) بالتخفيف فيهما كوفي (أبوابها) وهي سبعة (وقال لهم خزنتها) أي حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (ألم
يأتكم رسل منكم) من بني آدم (يتلون عليكم آيات

ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين) أي ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين
فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أي مقدرين الخلود
(فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعله اسم معرف بلام الجنس أو مضاف اليه
والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد
سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان في الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب
الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كأنه قال
حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أي كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا
أي لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين
الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها (وقالوا الحمد لله الذي
أنجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم العقبى (وأورثنا الارض) أرض الجنة وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها
يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرث واتساعه فيه (نتبوأ) حال (من الجنة حيث نشاء) أي يكون لكل واحد منهم جنة لا

ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أي وجبت (على الكافرين) وهي
قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين) ﴿قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين
بالسوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير
اذا سيق الى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين أو المراد
بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها)
فان قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه أحدها انها زائدة
الثاني أنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فادخل الواو ليبان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذف
الواو في الآية الاولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان أهل
الجنة اذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار اذا رأوها مغلقة كان
ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان أبواب الجنة ثمانية وفتحت هناك لان أبواب جهنم
سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فاين
قلت فيه وجوه أحدها انه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن
ذكره الثاني ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين
دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أي أبشروا بالسلامة من كل
الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة
والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم
طبتم (فادخلوها خالدين) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا
عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى
فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده) أي بالجنة (وأورثنا الارض) أي أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال
الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) أي ننزل (من الجنة) أي في الجنة (حيث نشاء) فان
قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة
وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه
وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل

مقبوضة بيده على الحاجة فيتبوأ أي فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) في الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) أي محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية أي ابتداء حفوفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير في حافين (بحمد ربهم) أي يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد إذ زال التكليف (وقضي بينهم) بين الأنبياء والأمم أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقوله أهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر والحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ (حم) وما بعده بالإمالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدني وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم (تنزيل الكتاب) أي هذا تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أي المنيع سلطانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أي ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذي الطول) ذي الفضل على العارفين أو ذي الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله والتوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فإن قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون في تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو في تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف وإدخال الواو في وقابل التوب لنكتة وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروي أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه

---

(فنعم أجر العاملين) أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف يزول في ذلك اليوم (وقضي بينهم بالحق) أي بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقوله أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وختم بالحمد في آخر الأمر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فيه فنبه بذلك على تحميده في بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر﴾

وهي مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد بن إبراهيم كن آل حم تسمى العرائس

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضي الله عنهما حم اسم الله الأعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسم الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء أي قضي ما هو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أي الغالب القادر وقيل الذي لا مثل له (العليم) أي بكل المعلومات (غافر الذنب) أي ساتر الذنب (وقابل التوب) أي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لم يقل لا إله إلا الله (ذي الطول) أي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم وأصل

(لا إله إلا هو) صفتان ايضا الذى الطول ... فأما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل
بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق (ولا يغررك تقلبهم فى البلاد) بالتجار
واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فاعلم جهاد فى سبيل الله
والكاتب للرب عتمالين
عاتين فان عاقبتهم أمرهم
الى العذاب ثم بين كيف
ذلك فاعلم ان الامم الذين
كذبت قبلهم أهلكت
فقال (كذبت قبلهم قوم
نوح) نوحا (والاحزاب)
أى الذين تحزبوا على الرسل
وناصبوهم وهم عاد وثمود
وقوم لوط وغيرهم (من
بعدهم) من بعد قوم نوح
(وهمت كل أمة) من هذه
الامم التى هى قوم نوح
والاحزاب (برسولهم
ليأخذوه) ليتمكنوا منه
فيقتلوه والاخيذ الاسير
(وجادلوا بالباطل) بالكفر
(ليدحضوا به الحق)
ليبطلوا به الايمان (فأخذتهم)
مظهر مكى وحفص يعنى
انهم قصدوا أخذه فجعلت
جزاءهم على ارادة أخذ
الرسل ان أخذتهم فعاقبتهم
(فكيف كان عقاب)
وبالياء يعقوب أى فانكم
تمرون على بلادهم
فتعاينون أثر ذلك وهذا
تقرير فيه معنى التعجيب
(وكذلك حقت كلمت
ربك على الذين كفروا)
كلمات ربك مدنى وشامى
(انهم أصحاب النار) فى محل الرفع بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم
من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة أو فى محل
لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان
انهم من أصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش)

الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لا إله إلا هو) أى هو الموصوف بصفات
لا يوصف بها غيره (اليه المصير) أى مصير العباد اليه فى الآخرة ﴿ قوله تعالى (ما يجادل) أى ما
يخاصم (فى آيات الله) أى فى دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال أبو
... ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان
الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان جدالا فى القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن
جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا
كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما نزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما
علمتم منه فقولوا وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف
فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب (فلا يغررك تقلبهم) أى تصرفهم (فى البلاد) للتجارة
وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من
بعدهم) يعنى الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال
ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) أى خاصموا (بالباطل ليدحضوا) أى
ليبطلوا (به الحق) الذى جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) أى أنزلت بهم من الهلاك ما
هموا به بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابى اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أى
وجبت (كلمت ربك) أى كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت (على الذين كفروا) أى من
قومك (انهم) أى بأنهم (أصحاب النار) ﴿ قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة
فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم
أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الأوعال وجاء فى الحديث ان لكل
ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة
أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد
... الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل
قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم فى تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم وتسبيحهم
سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب
الملائكة والروح وقيل ان أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم
وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التى تليها والتى تليها أشد من
التى تليها وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله
من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود وأما صفة العرش
فانه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال ان

(ومن حوله) يعني حاملين العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لأصحاب النار وفساده ظاهر وروي ان حملة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم مهللين ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يسبحون) خبر المبتدا وهو الذين (بحمد ربهم) أي مع حمده اذ الباء تدل على أن تسبيحهم بالحمد له (ويؤمنون به) وفائدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان ذلك فضل الايمان وفيه روعي التناسب في قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه دليل على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شيء الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس والاماكن (ربنا) أي يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى اذ الاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بان أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) أي الذين علمت منهم التوبة فلتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) أي طريق الهدى الذي دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من في موضع نصب عطف على هم في وادخلهم أو في وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم (وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم)

ومن قوائم العرش والقائمة الثانية تخفق الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض ﴿ قوله (ومن حوله) يعني الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر والخلق كلهم اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل ﴿ قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) أي يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في أحد بشيء يكرهه أن يستغفر له (ربنا) أي ويقولون ربنا (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أي دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي وأين أمي وأين ولدي وأين زوجتي

أى الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك (وقهم السيئات) أى
السيآت وهو عذاب النار (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك) أى رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون)
أى يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أ
من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الز
والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون
وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من
مقتكم لبعض كقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب
بمضمر دل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر
أكبر من مقتكم أنفسكم فلا يعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون

(٧٢)

الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثانى ... الزمانين وهذا لانهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا الى الايمان فى الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين ...) أى اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وصح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح أن يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة الاولى فى الدنيا والاحياءة الثانية البعث ويدل عليه قوله أى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه فى القبر للسؤال والثانى للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على ... فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار أى الى نوع من الخروج سريع ... لنتخلص (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ... ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أى ذلكم الذى انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلى) شأنه ... قضاؤه

... الاعمال فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله فى الجنة
دخل السرور ولذته (وقهم السيئات) أى عقوبات السيئات بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التى تو ...
العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) أى من تقه فى الدنيا (فقد رحمته) أى فى القيامة (وذلك هو الفوز)
أى النعيم الذى لا ينقطع فى جوار مليك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله ۞ قوله تعالى (ان الذين
كفروا ينادون) أى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا
العذاب فيقال لهم (لمقت الله) أى اياكم فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون) أى اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضى
الله عنهما كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله تعالى فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لابد منها ثم أحياهم
للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى القبر للسؤال ثم أميتوا فى القبر
ثم احيوا للبعث فى الآخرة وذلك أنهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهى أربعة الموتة الاولى ثم الحياة
فى القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فأما الحياة الاولى التى هى من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست
من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهى الموتة الاولى فى الدنيا
والموتة الثانية فى القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعنى
البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) أى من
النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا
من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل
جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم) معناه
أن لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود فى النار بانكم اذا دعى الله وحده كفرتم به أى اذا قيل لا اله
الا الله أنكرتم ذلك (وان يشرك به) أى غيره (تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى

(الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لا حكم إلا لله من هذا وقال قتادة لما خرج ... علي رضي الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أي يقولون لا حكم إلا لله فقال علي رضي الله عنه كلمة حق أريد بها باطل (هو الذي يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكي وبصري (رزقا) مطرا لأنه سبب الرزق (وما يتذكر إلا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذي يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف ومعنى رفيع الدرجات



أي الذي لا أعلى منه (الكبير) أي الذي لا أكبر منه قوله عز وجل (هو الذي يريكم آياته) أي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق (وما يتذكر) أي يتعظ بهذه الآيات (إلا من ينيب) أي يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) قوله تعالى (رفيع الدرجات) أي رافع درجات الأنبياء والأولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع أي إنه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء إليه (ذو العرش) أي خالقه ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم الأجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى (يلقي الروح) يعني ينزل الوحي سماه روحا لأن به تحيا الأرواح كما تحيا الأبدان بالأرواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعني الأنبياء (لينذر يوم التلاق) يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من أعمالهم وأحوالهم فإن قلت إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا (لمن الملك اليوم) أي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أي الذي قهر الخلق بالموت وقيل إذا حضر الأولون والآخرون في يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق في يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه في الدنيا والآية المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعني يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته (لا ظلم اليوم) أي إن الخلق آمنون في ذلك اليوم من الظلم لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد (إن الله سريع الحساب) أي إنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد قوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة) يعني يوم القيامة سميت آزفة لقربها وكل ما هو آت فهو قريب (إذ القلوب لدى الحناجر) وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف

رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات عباده في الدنيا بالمنزلة أو رافع منازلهم في الجنة وذو العرش مالك عرشه الذي فوق السموات خلقه مطافا للملائكة إظهارا لعظمته مع استغنائه في ملكه والروح جبريل عليه السلام أو الوحي الذي تحيا به القلوب (من أمره) من أجل أمره أو بأمره (على من يشاء من عباده) أي الله أو الملقى عليه وهو النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون التلاقي مكي ويعقوب (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من



أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم) أي يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أي الذي قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن أي لمن ثبت الملك في هذا اليوم وقيل ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى بما كسبت عملت في الدنيا من خير وشر وأن الظلم مأمون منه لأنه ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأنه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وأنذرهم يوم الآزفة) أي القيامة سميت بها لأزوفها أي لقربها ويبدل من يوم الآزفة (إذ القلوب لدى الحناجر) أي التراقي يعني ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا

( كاظمين) ممسكين بحناجرهم من كظم القربة إذا شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع السلامة لانه ...
بالكاظم الذي هو من أفعال العقلاء (ما للظالمين) الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولا شفيع يطاع) أي يشفع وهو مجاز عن ...
الطاعة حقيقة لا تكون الا لمن فوقك والمراد نفي الشفاعة والطاعة كما في قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * يريد به نفي الضب وانجحاره ...
احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة (يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة
كالعافية والمراد استراق النظر الى ما لا يحل (وما تخفى الصدور) وما تسره من أمانة وخيانة وقيل هو أن ينظر الى أجنبية بشهوة مسارقة ...
بقلبه في جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم آياته ...
يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد ...
أحواله (والله يقضي بالحق) أي والذي هذه صفاته لا يحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء) وآلهتهم لا يقضون بشيء ...
تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرير ل...



خائنة الاعين وما تخفى الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فأجري مجراه مكم شامي (وآثارا في الارض) أي حصونا وقصورا (فأخذهم الله
بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شيء يقيهم من عذاب الله ... جوابه
(ذلك بانهم) أي الاخذ بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي) قادر على كل شيء (شديد العقاب)
عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب)
السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أي أعيدوا عليهم القتل
كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا في ضلال) ضياع يعني انهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ...
بإظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بانه قد وقع
عليهم عيظا ... فأمنه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا (وقال فرعون ذروني
أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته دخلت الشبهة على
واعتقدوا انك عجزت من معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان
وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس بانه هو الذي يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل ...

حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين)
أي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى ضاق القلب عنه (ما للظالمين من حميم) أي من قريب ...
(ولا شفيع) أي يشفع لهم (يطاع) أي فيهم (يعلم خائنة الاعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ...
وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه (وما تخفى الصدور) أي يعلم مضمرات القلوب (والله يقضي بالحق)
يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعني الاصنام (لا يقضون بشيء) لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على ...
(ان الله هو السميع) أي لاقوال الخلق (البصير) بأفعالهم (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض) أي المعنى ان العاقل من اعتبر ...
فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم
من الله من واق) أي يدفع عنهم العذاب (ذلك) أي ذلك العذاب الذي نزل بهم (بانهم كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان
مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعني فرعون
وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن
الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا
نساءهم) أي استبقوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد
الكافرين) أي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا في ضلال) أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق
بهم ما يريده الله تعالى (وقال فرعون) أي لملئه (ذروني أقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان
في قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل
لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزتم ...

وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع (انى أخاف) ان لم أقتله (ان يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (أوأن يظهر) موسى (فى الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل والفساد فى الارض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال انى أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وأن ومعناه انى أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفى قوله وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة



والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وعنه بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم أى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حباب أو خربيل أو حزبيل والظاهر الاول (أتقتلون رجلا أن يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة فى ارتكابها الا كلمة الحق وهى قوله (ربى الله) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعنى أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذى يعدكم مع أنه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف ليكونوا أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفى اصابة الكل فكأنه قال لهم أقل ما يكون فى صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله لا يهدى من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) فى ادعائه وهذا أيضا من باب المجاملة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه أو لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات وقيل أوهم أنه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون

بجوابه فقتلوه (وليدع ربه) أى وليدع موسى ربه الذى يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا (انى أخاف أن يبدل دينكم) يعنى يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذى أنتم عليه (أوأن يظهر فى الارض الفساد) يعنى بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعنى لما توعده فرعون بالقتل (انى عذت بربى وربكم) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت فى دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أى متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) ﴿ قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بنى اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل [٣] عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أتقتلون رجلا أن يقول) أى لان يقول (ربى الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد ﴿ وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أى لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه (وان يك صادقا) أى فكذبتموه (يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل معناه يصبكم الذى يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج أقل ما فى صدقه أن يصيبكم بعض الذى يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (ان الله لا يهدى) أى الى دينه (من هو مسرف كذاب) أى على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله

[٣] قوله حزبيل كذا بالاصل المطبوع وفى نسخة خط بايدينا حزقيل وفى النسفى ما ترى مصحح

(يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) عالين وهو حال من كم في لكم (في الارض) أي أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله أي عذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أي ما أشير عليكم برأي الا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأي (الا سبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئا ولا أستر عنكم خلاف ما أظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أي مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) لم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار فاقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف أي مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثاني بانه عطف بيان لمثل الاول (وما الله يريد ظلما للعباد) أي وما يريد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعني ان تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه باعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلما لك معناه لا أريد أن أظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) أي يوم القيامة التنادي مكي ويعقوب في الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل ينادي مناد الا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا الا ان فلانا شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى النار (ما لكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فما له من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلتم في شك مما جاءكم به) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين

عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ۞ قوله عز وجل (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) أي غالبين في الارض أي أرض مصر (فمن ينصرنا) أي يمنعنا (من بأس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من حلوله بكم (قال فرعون ما أريكم) أي من الرأي والنصيحة (الا ما أرى) أي لنفسي (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أي ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون وخوفهم وخوفه أن يحل به ما حل بالامم قبله بقوله (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) أي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) يعني يوم القيامة سمي يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادي فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة وينادي فيه بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادي حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) أي منصرفين عن موقف الحساب الى النار (ما لكم من الله من عاصم) أي يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فما له من هاد) أي يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعني يوسف بن يعقوب (من قبل) أي من قبل موسى (بالبينات) يعني قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فما زلتم في شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم تواتبوا

(حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أي أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أي مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (في آيات الله) في دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم كبر مقتا) أي عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز أن يرفع الذين على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (ياهامان ابن لي صرحا) أي قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى



على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشيء اذا ظهر (لعلي) وبفتح الياء حجازي وشامي وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وابانة أنه يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أي طرقها وأبوابها وما يؤدي اليها وكل ما أداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فأطلع) بالنصب حفص على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وغيره بالرفع عطفا على أبلغ (الى اله موسى) والمعنى فأنظر اليه (واني لأظنه) أي موسى (كاذبا) في قوله له اله غيري (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفي ويعقوب أي غيره صدا أو هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا في تباب) خسران وهلاك (وقال الذي آمن ياقوم اتبعون) اتبعوني في الحالين مكي ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي أجمل أولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) تمتع يسير فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين أنها هي الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هي دار القرار) ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكي وبصري ويزيد وأبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار بقوله

---

غيرته لم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعني مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي أقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم ان لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) أي في شركه وعصيانه (مرتاب) أي في دينه (الذين يجادلون في آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أي بغير حجة وبرهان (أتاهم) من الله (كبر) أي ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) ﴿ قوله عز وجل (وقال فرعون) يعني لوزيره (ياهامان ابن لي صرحا) أي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظر وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص (لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات) أي طرقها وأبوابها من سماء الى سماء (فأطلع الى اله موسى واني لأظنه) يعني موسى (كاذبا) أي فيما يدعي ويقول ان له ربا غيري (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضي الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أي وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون الا في تباب) أي وما كيده في ابطال آيات موسى الا في خسار وهلاك قوله تعالى (وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الهدى (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) أي متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هي دار القرار) أي التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير

(ويا قوم مالي) وبفتح الياء حجازي وأبو عمرو (أدعوكم الى النجاة) أي الجنة (وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله) هو بدل من تدعونني الأول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به ما ليس لي به علم) أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وأنه من آل فرعون وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني لأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لا جرم) عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعل أي حق ووجب بطلان دعوته (أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) معناه أن ما تدعونني اليه ليس الى معبود قط أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو داعيا ولا يدعي الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازي عليه بالجزاء في قوله كما تدين تدان (وأن مردنا الى الله) وأن رجوعنا اليه (وأن المسرفين) وأن المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض) وأسلم (أمري) وبفتح الياء مدني وأبو عمرو (الى الله) لأنهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) بأعمالهم ومآلهم (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من ألف في طلبه فمنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدإ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الأسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أي في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا في الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدني وحمزة وعلي ويعقوب وحفص وغيرهم ادخلوا أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) أي عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعني الرؤساء (انا كنا لكم تبعا)

تفسير (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار) معناه أنا أدعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة من النار وأنتم تدعونني الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم) أي لا أعلم أن الذي تدعونني اليه هو ما ليس لله كيف يعقل جعله شريكا لله الحق ولما ذكر أنهم يدعونه الى الكفر والشرك بين أنه يدعوهم الى الايمان بقوله (وأنا أدعوكم الى العزيز) أي في انتقامه ممن كفر (الغفار) أي لذنوب أهل التوحيد (لا جرم) يعني حقا (ان ما تدعونني اليه) يعني الصنم (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) يعني ليست له استجابة دعوة لأحد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليس له دعوة الى عبادته في الدنيا ولا في الآخرة لأن الأصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) أي مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه (وأن المسرفين) يعني المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمري الى الله) أي أرد أمري الى الله وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أي ما أرادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) أي نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعني الغرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ﴿ ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون) أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذي كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا ﴿ قوله تعالى (واذ يتحاجون) واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعني أهل النار (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا

[illegible]



[illegible]

قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما فى صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغيه) يعني مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان فى صدورهم الا كبرا على محمد صلى الله عليه وسلم وطمعا أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعني الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) أي من فتنة الدجال (انه هو السميع) أي لاقوالهم (البصير) أي بأفعالهم ﴿ قوله عز وجل (لخلق السموات والارض) أي مع عظمها (أكبر من خلق الناس) أي من اعادتهم بعد الموت والمعنى أنهم مقرون أن الله تعالى خلق السموات والارض وذلك أعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على التوحيد وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس أي أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال

﴿فصل فى ذكر الدجال﴾ (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور العين اليمنى ... داود والترمذي عنه وقال قام النبي صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه وما من نبي الا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وان الله ليس بأعور (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد أنذر أمته الاعور الكذاب الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور ... وفى رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم الا هلكت ومن أشد فتنته أنه يأتي الاعرابي فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم أني ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كأحسن ما تكون ضروعا وأعظمه أسنمة ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك أخاك وأباك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ... خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت وأخذ بلحمتي الباب فقال مهيم أسماء فقلت يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حي فأنا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس وفى رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار هذا الحديث أخرجه البغوي بسنده والذي جاء فى صحيح مسلم ... الله ما لبثه فى الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفى رواية أبي داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج

ملك ورياسة وارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا وبدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) ببالغي موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا يتأملون

الذي يرى الناس انه نار فماء بارد والذي يرى الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى إنه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه أعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني أنذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ما سألته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع الدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو قال لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بارض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فاقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لالتبست بمعجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذي في عينه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة وقوله قلت يا رسول الله انهم يقولون أن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يديه مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم ﴿ قوله عز وجل (وما يستوي الاعمى والبصير) أي الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أي

لغلبة الغفلة عليهم (وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) زائدة

(قليلا ماتذكرون) تتعظون بتاء ين كوفي وبياء وتا غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف اى تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها (وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (استجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن و
(ان الذين يستكبرون عن عبادتى) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى
وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى أعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكى وأبو
(داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازى

لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان يعنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد المجازى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج أى ساكن لاريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لايوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لايشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لايتكرر ذكر الناس لان
فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذى خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة أى ذلكم الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شئ والوحدانية (فانى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق أفك كما أفكوا (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فأحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة منه وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذيذات

لايشترون (قليلا ماتذكرون ان الساعة) يعنى القيامة (لآتية لاريب فيها) أى لاشك فى مجيئها (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) أى لايصدقون بالبعث بعد الموت ﴿ قوله تعالى (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى دون غيرى أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذى وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذى وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعونى أستجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص فى الدعاء وأن لايدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وأن لايكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما أن يعجلها له واما أن يؤخرها له يدل عليه ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له به فى الدنيا واما أن يدخر له فى الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يارسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربى فما استجاب لى أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) أى عن توحيدى وقيل عن دعائى (سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين ذليلين ﴿ قوله عز وجل (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) أى لتحصل لكم فيه مكنة التصرف فى مهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم) أى ذلكم المتفرد بالافعال الخاصة التى لايشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شئ لا اله الا هو) أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وأنه لاشريك له فى ذلك (فانى تؤفكون) أى فكيف تصرفون عن الحق (كذلك) أى كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا) أى فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا فى حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) أى سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) أى خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من ال

(ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الأوثان نزل (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) هي القرآن وقيل العقل والوحي (وأمرت أن أسلم) أستقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذي خلقكم) أي أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لأن المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكي وحمزة وعلي وحماد ويحيى والأعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل بلوغ الأشد أو من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما في ذلك من العبر والحجج (هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) أي فإنما يكونه سريعا من غير كلفة (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع فجاز أن يكون في ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم) إذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال وهذا لأن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الأغلال والخبر في أعناقهم والمعنى إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم (يسحبون في الحميم) يجرون في الماء الحار (ثم في النار يسجرون) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم (ثم قيل لهم) أي تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعني الأصنام التي تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة وطلبتهم الآلهة لم يتصادفوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) أي العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم

---

قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي) وهذا يفيد الحصر أي لا حي إلا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذي يمتنع أن يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة إلا هو والحي هو المدرك الفعال لما يريد وهذه إشارة إلى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله (لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أي فادعوه واحمدوه وقال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعي إلى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك ۞ قوله (هو الذي خلقكم من تراب) يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل أن كل إنسان خلق من تراب لأنه خلق من النطفة وهي من الأغذية والأغذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعني أن مراتب الإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة إلى أن يبلغ كمال الأشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) أي جميعا (أجلا مسمى) أي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني أجل الحياة إلى الموت (ولعلكم تعقلون) أي ما في هذه الأحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) أي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من الأفعال الدالة على قدرته كأنه قال من الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه ۞ قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله) يعني القرآن (أنى يصرفون) أي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) أي يجرون بتلك السلاسل (في الحميم ثم في النار يسجرون) أي توقد بهم النار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله) يعني الأصنام (قالوا ضلوا عنا) أي فقدناهم فلا نراهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) قيل إنهم أنكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيئا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعو من قبل شيئا (كذلك يضل الله الكافرين) أي كما أضل هؤلاء (ذلكم) أي العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون) أي تبطرون وتأشرون (في الأرض بغير الحق وبما كنتم

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظنكم أن الله (٩٠)

لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) وذلك الظن هو الذى أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذى ظننتم بربكم صفته وأرداكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرداكم الخبر (فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين أو ان يسألوا العتبى وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا أى لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها (وقيضنا لهم) أى قدرنا لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان والمقايضة المعارضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا

ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز اليوم على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (وقالوا) يعنى الكفار الذين يجرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) معناه ان القادر الذى خلقكم أول مرة فى الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وقيل الكلام عند قوله الذى أنطق كل شئ ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) أى تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد عليكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما فى أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا أخفينا فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفى هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم) أى ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أرداكم) أى أهلككم قال ابن عباس طرحكم فى النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى مسكن (وان يستعتبوا) أى يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه وأجيب الى ما سأل (فما هم من المعتبين) أى للمرضيين (وقيضنا لهم) أى بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء) أى نظراء من الشياطين حتى أضلوهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم) أى من أمر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة (وما خلفهم) أى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) أى وجب (فى أمم) أى مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) ﴿ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى مشركى قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) يعنى محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا

بصورة ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا واقامة ليتطولوا واتحت ذكرهم (ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (لهم فيها دار الخلد) أي النار في نفسها دار الخلد كما تقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها (جزاء) أي جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ مكي وشامي وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو (اللذين أضلانا) أي الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى

ولنجزينهم أسوأ) يعني بأسوأ (الذي كانوا يعملون) أي في الدنيا وهو الشرك (ذلك) أي الذي ذكر من العذاب (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) أي دار الاقامة لا انتقال لهم منها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) أي في النار (ربنا) أي يقولون يا ربنا (أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) أي في النار (ليكونا من الاسفلين) أي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا ﴿ قوله عز وجل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة أن يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في أمر الدين والتوحيد فتكون في الاعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضي الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا في العمل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث (أن لا تخافوا) أي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) أي على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم) أي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أولياؤكم أي انصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (في الحيوة الدنيا و) نحن أولياؤكم (في الآخرة) لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أي في الجنة (ما تشتهي أنفسكم) أي من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) أي تتمنونه (نزلا) أي رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا أعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة ﴿ قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أي الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة أن لا اله

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين) في النار جزاء اضلالهم ايانا (ان الذين قالوا ربنا الله) أي نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب أي لم ينافقوا وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار

بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن أي لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا وقال محمد بن علي الترمذي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الابدان أن لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان (نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدعون) تتمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله)

الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) [illegible]
المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن) يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان
أشبهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى تردعليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك
اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدا [illegible]
عدوه (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال
يلقاها) أى وما يلقى هذه الخلة التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) الا أهل الصبر (وما يلقاها



الا ذو حظ عظيم) الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتى هى أحسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقال ادفع بالتى هى أحسن وقيل لا مزيدة للتأكيد والمعنى لا يستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون المعنى المدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغى يعنى [illegible]
وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما [illegible]
من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن
آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) فى تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) [illegible]
مقدر ونور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم [illegible]
الضمير فى خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى أو الاناث تقول الاقلام بريتها [illegible]

الا الله وقيل هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما أجاب اليه (وعمل صالحا) [illegible]
وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق
من الطرق فهو داخل فى هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب * الاولى دعوة الانبياء عليهم
السلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء * [illegible]
الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله
وعلماء باحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين
الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته (وعمل
صالحا) قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح
وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال فى [الثالثة لمن]
شاء * عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد أخرجه أبو داود والترمذى [وقال]
هذا حديث حسن (وقال اننى من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه [الاعتقاد]
فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به ۞ قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعنى الصبر و[الغضب]
والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى احسن) قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب و[بالحلم]
عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) أى صديق قريب قيل نزلت
فى أبى سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى [صلى]
الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهى
[دفع] السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) أى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك [الانتقام]
(وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى ما يلقاها الا من [وجبت له]
الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه أى [يبعثه]
الى ما لا ينبغى ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) أى
من شره (انه هو السميع) أى لاستعاذتك (العليم) باحوالك ۞ قوله تعالى (ومن آياته) أى ومن دلائل
قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) أى
انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى
خلقهن) أى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون)

يعني أن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وأمروا بالسجود لله الذي خلق هذه الأشياء كلها (فإن استكبروا) أي عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أي لا يفترون ولا يملون

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لأصحاب الشافعي أحدهما أنه عند قوله تعالى إن كنتم إياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرازي عن أبي حنيفة وأحمد لأن ذكر السجدة قبله والثاني وهو الأصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرازي أنه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة لأن عنده يتم الكلام (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير) ﴿قوله تعالى﴾ (إن الذين يلحدون) أي يميلون عن الحق (في آياتنا) أي في أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت في أبي جهل (أفمن يلقى في النار) هو أبو جهل (خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) أمر تهديد ووعيد (إنه بما تعملون بصير) أي أنه عالم بأعمالكم فيجازيكم عليها (إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعني القرآن وفي جواب إن وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره إن الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ في وصف الذكر فقال تعالى (وإنه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل إليه سبيلا وهو قوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل إنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه وقيل لا يأتيه الباطل فيما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أي في جميع أفعاله (حميد) أي إلى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم إياه فقال عز وجل (ما يقال لك) أي من الأذى والتكذيب (إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) يعني أنه قد قيل للأنبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (إن ربك لذو مغفرة) أي لمن

---

ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصا إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فإن من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فإن استكبروا فالذين عند ربك) أي الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون والمعنى فإن استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فإن الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا لا يسأمون وعند الشافعي رحمه الله عند تعبدون والأول أحوط (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة (إن الذين يلحدون في آياتنا) يميلون عن الحق في أدلتنا بالطعن يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير لحال الأرض إذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية في التهديد ومبالغة في الوعيد (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (إن الذين كفروا بالذكر) بالقرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم وخبر إن محذوف أي يعذبون أو هالكون أو أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وإنه لكتاب عزيز) أي منيع محمي بحماية الله (لا يأتيه الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) أي بوجه من الوجوه (تنزيل من حكيم حميد) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار قومك (إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة (إن ربك لذو مغفرة) ورحمة لأنبيائه

(وذو عقاب أليم) لاشداتهم ويجوز أن يكون مايقول لك انه الامثل ماقال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو
أليم (ولو جعلناه) أى الذكر (قرآنا أعجميا) أى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل فى جوابهم لو كان
بغة العجم (لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت بلسان العرب حتى نفهمها لتعنتا (أأعجمى وعربى) بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة
للانكار يعنى لانكروا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمى
لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب والعجمى منسوب الى أمة العجم فصيحا كان أو غير فصيح والمعنى ان آيات الله
على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه اشارة على أنه لو أنزل بلسان العجم لكان قرآنا
دليلا لابى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أى القرآن (للذين آمنوا
ارشادا الى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من الشك
اذ الشك مرض (والذين
لا يؤمنون فى آذانهم وقر)
فى موضع الجر لكونه
معطوفا على للذين آمنوا
أى هو للذين آمنوا هدى
وشفاء وهو للذين
لا يؤمنون فى آذانهم
وقر أى صمم الا أن فيه
عطفا على عاملين وهو
جائز عند الاخفش أو الرفع
وتقديره والذين لا يؤمنون
هو فى آذانهم وقر على
حذف المبتدأ أو فى
آذانهم منه وقر (وهو)
أى القرآن (عليهم عمى)
ظلمة وشبهة (أولئك
ينادون من مكان بعيد)
يعنى أنهم لعدم قبولهم
وانتفاعهم كأنهم ينادون
الى الايمان بالقرآن
من حيث لا يسمعون
لبعد المسافة وقيل ينادون فى القيامة من مكان بعيد بأقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم هو كتاب
هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لاهلكهم اهلاك
استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا (وانهم) وان
(لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام للعبيد)
فيعذب غير المسيء (اليه يرد علم الساعة) أى علم قيامها يرد اليه أى يجب على المسؤل أن يقول الله يعلم ذلك (وما تخرج من ثمرات) مدنى
وشامى وحفص وغيرهم بغير ألف (من أكمامها) أوعيتها قبل أن تنشق جمع كم (وما تحمل من أنثى) حملها (ولا تضع الا بعلمه) أى ما يحدث شيء
من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة

تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) أى لمن أصر على التكذيب ﴿قوله عز وجل﴾ (ولو جعلناه) أى هذا
الذى تقرؤه على الناس (قرآنا أعجميا) أى بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) أى هلا بينت آياته بالعربية
حتى نفهمها (أأعجمى وعربى) أى أكتاب أعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل
الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل فى معنى الآية انا لو أنزلنا
القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمى الى القوم العرب ولصح قولهم أن يقولوا
قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وأما لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه
فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل
على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار
فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمنى فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعنى
القرآن (للذين آمنوا هدى) أى من الضلالة (وشفاء) أى لما فى القلوب من مرض الشرك وقيل
شفاء من الاوجاع والاسقام (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) أى صموا عن سماع
القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى كأن من دعى من مكان بعيد
لم يسمع كذلك هؤلاء فى قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه) أى فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى
فى تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضى بينهم) أى لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفى شك
منه مريب) أى من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) أى يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن أساء
فعليها) أى ضرر اساءته أو كفره يعود على نفسه أيضا (وما ربك بظلام للعبيد) يعنى فيعذب غير المسيء
﴿قوله عز وجل﴾ (اليه يرد علم الساعة) يعنى اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله
ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك (وما تخرج من ثمرة من أكمامها) أى من أوعيتها وقال ابن عباس
الكفرى قبل أن ينشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى
الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شيء
كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك
الكهان والمنجمون قلت أما أصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى وا

بين الحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائي) أضافهم إلى نفسه على زعمهم وبيانه في قوله أين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) أعلمناك وقيل أسمعناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال اما الاسماع فلا يستلزم العلم بالشيء فتحقق بما علم به الآن يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه (ما منا من شهيد) أي ما منا أحد اليوم يشهد بان لك شريكا وما منا الا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا الينا من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) في الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى

(٩٥)

انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني (وما أظن الساعة قائمة) أي ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربي) أي كما يقول المسلمون (ان لي عنده) عند الله (للحسنى) أي الجنة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفتر عنهم (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسي المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فذو دعاء عريض) كثير أي أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول في قوم والثاني في قوم أو قنوط في البر وذو دعاء عريض في البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قل أرأيتم) أخبروني (ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم أنه من عند الله (من أضل) منكم الا انه وضع قوله (عن هو في شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفي أنفسهم) فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) أي القرآن أو الاسلام

---

فكان من علمه الذي يرد اليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو علم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم) أي ينادي الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائي) أي الذين تدعون أنها آلهة (قالوا) يعني المشركين (آذناك) أي أعلمناك (ما منا من شهيد) أي يشهد أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أي يعبدون في الدنيا (وظنوا ما لهم من محيص) أي مهرب ۞ قوله تعالى (لا يسأم الانسان) أي لا يمل الكافر (من دعاء الخير) يعني لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) أي الشدة والفقر (فيؤس) أي من روح الله تعالى (قنوط) أي من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) أي آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) أي من بعد شدة وبلاء أصابه (ليقولن هذا لي) أي أستحقه بعملي (وما أظن الساعة قائمة) أي ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربي) يقول هذا الكافر أي فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربي (ان لي عنده للحسنى) أي الجنة والمعنى كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أي الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) أي كثير (قل) أي قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ان كان من عند الله) يعني هذا القرآن (ثم كفرتم به) أي جحدتموه (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) أي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا في الآفاق) قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية (وفي أنفسهم) أي بالبلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفي أنفسهم هو فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعني دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار

(أولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على أنه فاعل والمفعول محذوف وقوله (أنه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره أولم يكف ربك على كل شيء شهيد أي أولم تكفهم شهادة ربك على كل شيء ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي أ... ويشاهدونه فيتبينون عنده ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد (ألا انهم في مرية) شك (من لقاء ربهم ألا ... بكل شيء محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء

﴿سورة شورى مكية وهي ثلاث وخمسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفة كهيعص باخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية واحدة (كذلك يوحي اليك) أي مثل ذلك الوحي أو مثل ... اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعني ان ما تضمنت هذه السورة من المعاني قد أوحى الله اليك مثله في غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعني الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من نبي صاحب كتاب الا أوحي اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكي ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب في فعله وقوله (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (وهو العلي) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالياء نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن يتفطرن بصري وأبو بكر ومعناه يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم الا عليه ملك قائم أو راكع أو ساجد

والانهار والنبات وفي أنفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعني ... على هذه الاشياء الا الله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) يعني يشهد أن القرآن من ... تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا ... (ألا انهم في مرية من لقاء ربهم) أي في شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شيء محيط) أي ... المعلومات التي لا نهاية لها أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة حم عسق﴾

وتسمى سورة الشورى وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس الا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا أسألكم عليه أجرا وقيل فيها من المدني ذلك الذي يبشر الله عباده الى قوله تعالى ... الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون آية و... وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولان ... عدت آيتين وعدت أخواتها التي لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا في ... وأخواتها أنها حروف التهجي واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا ... معناها حم الامر أي قضي وبقي عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س ... قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح ... في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم ... سنون كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المو... والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود و... من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد أوحي اليه حم عسق فلذلك قال (كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحي اليك أخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه والمعنى كأنه قيل من يوحي فقال الله العزيز الحكيم وصف نفسه بسعة ملكه فقال تعالى (له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أي من فوق الارضين وقيل تتفطر كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى و...

(والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون لمن في الأرض) أي للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون للذين آمنوا شفقا عليهم من سطواته أو يوحدون الله و ينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من الطاعة متيقنين بها راغبين في نعمهم لسخط الله تعالى و يستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعذاب (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء فيجازيهم عليها



(وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولا مفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك) ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التي قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لأن هذا المعنى كرره الله في كتبه أو هو مفعول به لأوحينا (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أي أوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين (لتنذر أم القرى) أي مكة لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدي لتنذر أم القرى الى المفعول الأول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني (فريق في الجنة وفريق في السعير) أي منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أي مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (ما لهم من ولي) شافع (ولا نصير) دافع (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي) الفاء لجواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو الذي يجب أن يتولى وحده لا ولي سواه (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فحكمه) أي حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو اثابة المحقين فيه من

---

من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بأمر ربهم (ويستغفرون لمن في الأرض) أي من المؤمنين دون الكفار لأن الكافر لا يستحق أن تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل أن يكون لجميع من في الأرض أما في حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم و يحتمل أن يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الأرض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) يعني أنه تعالى يعطي المغفرة لمن سألوها ويضم اليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة ﴿ قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) أي رقيب على أحوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما أنت نذير (وكذلك) أي ومثل ما ذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعني مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعني قرى الأرض كلها (وتنذر يوم الجمع) أي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين (لا ريب فيه) أي لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الأرحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الأرحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ﴿ قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي في دين الاسلام (والظالمون) أي الكافرون (ما لهم من ولي) أي يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) أي يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) يعني الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولي) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) يعني أن من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بأن يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي (وما اختلفتم فيه من شيء) أي من أمر الدين (فحكمه الى الله) أي يقضي فيه ويحكم

المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربي عليه توكلت) في رد كيد أعداء الدين (واليه أنيب) أرجع في دفع كيد
وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فاطر
والارض) ارتفاعه على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف (جعل لكم من أنفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزوا
الانعام أزواجا) أي وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فيه) في هذا
أن جعل الناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع
للبث والتكثير والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل (ليس كمثله شيء) قال
كلمة التشبيه كررت للتأكيد (٩٨) نفي التماثل وتقديره ليس مثله شيء وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شيء كقوله

فان آمنوا بمثل ما آمنتم به
وهذا لان المراد نفي المثلية
واذا لم نجعل الكاف أو المثل
زيادة كان اثبات المثل
وقيل المراد ليس كذاته
شيء لانهم يقولون مثلك
لا يبخل يريدون به نفي
البخل عن ذاته ويقصدون
المبالغة في ذلك بسلوك
طريق الكناية لانهم اذا
نفوه عمن يسد مسده فقد
نفوه عنه فاذا علم أنه
من باب الكناية لم يقع فرق
بين قوله ليس كالله شيء
وبين قوله ليس كمثله شيء الا
ما تعطيه الكناية من فائدتها
وكأنهما عبارتان معتقبتان
على معنى واحد وهو نفي
المماثلة عن ذاته ونحوه بل
يداه مبسوطتان معناه بل
هو جواد من غير تصور
يد ولا بسط لانها وقعت
عبارة عن الجود حتى انهم
استعملوها فيمن لا يد له
فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وهو السميع) لجميع المسموعات بلا أذن (البصير) لجميع
المرئيات بلا حدقة وكأنه ذكرهما لئلا يتوهم أنه لا صفة له كما لا مثل له (له مقاليد السموات والارض) مر في الزمر (يبسط الرزق
ويقدر) أي يضيق (انه بكل شيء عليم شرع) بين وأظهر (لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى) أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من
رسله بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما
يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع
والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا في الدين

يوم القيامة فاصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) أي الذي يحكم بين
هو الله (ربي عليه توكلت) أي في جميع أموري (واليه أنيب) أي واليه أرجع في كل المهمات (فاطر السموات
والارض جعل لكم من أنفسكم) أي من جنسكم (أزواجا) أي حلائل وانما قال من أنفسكم لانه
خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) أي أصنافا ذكورا واناثا (يذرؤكم) أي يخلقكم وقيل
(فيه) أي في الرحم وقيل في البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم
واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا أنه غلب
الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به أي يكثركم بالتزويج (ليس كمثله
شيء) المثل صلة أي ليس كهو شيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء قال ابن عباس ليس له نظير فان
قيل هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق
قلت المثل الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شيء معناه ليس له نظير
كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس له سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله
الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق
(وهو السميع) أي لسائر المسموعات (البصير) أي لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض)
مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض يعني النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر) يعني أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شيء عليم) أي من
البسط والتضييق ❁ قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أي بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين
تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ما وصى به نوحا) يعني انه أول الانبياء أصحاب الشرائع
قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا (والذي أوحينا اليك) أي من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع
المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله
تعالى (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله
واليوم الآخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التي هي

ولا تتفرقوا فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم إليه) من إقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبي) يجتلب ويجمع (إليه) إلى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدي إليه من ينيب) يقبل على طاعته (وما تفرقوا) أي أهل الكتاب بعد أنبيائهم (إلا من بعد ما جاءهم العلم) إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام (بغيًا بينهم) حسدًا وطلبًا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) وهي أن الساعة موعدهم (لقضي بينهم) لأهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان (مريب) مدخل في الريبة وقيل وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة

وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل (فلذلك) فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبًا (فادع) إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القويمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة إليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) بأي كتاب صح أن الله تعالى أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقًا (وأمرت لأعدل بينكم) في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلي (الله ربنا وربكم) أي كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولي دين ويجوز أن يكون معناه إنا لا نؤاخذ بأعمالكم وأنتم لا تؤاخذون بأعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (وإليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم (والذين يحاجون في الله) يخاصمون في دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وإن كانت شبهة لزعمهم أنها حجة (عند ربهم

---

الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الأمهات والبنات والأخوات فإنه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيًا إلا وصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أي من التوحيد ورفض الأوثان (الله يجتبي إليه من يشاء) أي يصطفي لدينه من يشاء من عباده (ويهدي إليه من ينيب) أي يقبل على طاعته (وما تفرقوا) يعني أهل الأديان المختلفة وقال ابن عباس يعني أهل الكتاب (إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي بأن الفرقة ضلالة (بغيًا بينهم) أي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيًا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عنهم (إلى أجل مسمى) يعني إلى يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين من آمن وكفر يعني لأنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد أنبيائهم وقيل من الأمم الخالية (لفي شك منه) أي من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به (مريب) يعني مرتابين شاكين فيه (فلذلك) أي فإلى ذلك (فادع) أي إلى ما وصى الله تعالى به الأنبياء من التوحيد وقيل لأجل ما حدث به من الاختلاف في الدين الكثير فادع أنت إلى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به (ولا تتبع أهواءهم) أي المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لأن المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لأعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام وقيل لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء وقيل لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم وتحاكمتم إلي (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني أن الإله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وإن اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لا حجة) أي لا خصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال إذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أي في المعاد لفصل القضاء (وإليه المصير) ۞ قوله عز وجل (والذين يحاجون في الله) أي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) أي من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (حجتهم داحضة) أي خصومتهم باطلة (عند ربهم

وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة ...
(والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله فى كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله فى زمن نوح عليه السلام (ومايدر
لعل الساعة قريب) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لاتدرى والمراد مجىء الساعة والساعة فى تأويل البعث ووجه مناسبة اقتر
مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح ق
بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون
خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون أنها الحق) الكائن لامحالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) المماراة الملاحة لان كل وا
يمرى ماعند صاحبه (لفى ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب
والسنة على وقوعها
والعقول تشهد على انه
لابد من دار جزاء (الله
لطيف بعباده) فى ايصال
المنافع وصرف البلاء من
وجه يلطف ادراكه أوهو
بر بليغ البربهم وقد توصل
بره الى جميعهم وقيل هو
من لطف بالغوامض علمه
وعظم عن الجرائم حلمه أو
من ينشر المناقب ويستر
المثالب أو يعفو عمن يهفو
أو يعطى العبد الكفاية
ويكلفه الطاعة دون الطاقة
وعن الجنيد لطف باوليائه
فعرفوه ولو لطف باعدائه
ماجحدوه (يرزق من
يشاء) أى يوسع رزق من
يشاء اذا علم مصلحته فيه
فى الحديث ان من عبادى
المؤمنين من لايصلح
ايمانه الا الغنى ولو أفقرته
لافسده ذلك وان من
عبادى المؤمنين من
لايصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع
الذى لايغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمى مايعمله العامل ممايبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نزد له فى حرثه) بالتوفيق فى عمله أو التضعيف
فى احسانه أو بان ينال به الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث الدنيا) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته منها) أى
لان من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له لاما يريده ويبتغيه (وماله فى الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط فى الآخرة ولم
يذكر فى عامل الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب (أم لهم شركاء)
أم هى المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هى المعادلة لالف الاستفهام وفى الكلام اضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم شركاء
(شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أى لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بأن ...

وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب بالحق) أى الكتاب المشتمل على
أنواع الدلائل والاحكام (والميزان) أى العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال
ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (ومايدريك لعل الساعة قريب) أى
وقت اتيانها قريب وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا
له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) أى ظنا منهم انها غير آتية (والذين
آمنوا مشفقون) أى خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) أى انها آتية لاشك فيها (ألا ان الذين
يمارون) أى يخاصمون (فى الساعة) وقيل يشكون فيها (لفى ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف
بعباده) أى كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم
يهلكوا جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعنى ان الاحسان والبر والانعام فى حق
العباد وهو اعطاء مالابد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله أن
وقيل لطفه فى الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفعه اليكم
واحدة (وهو القوى) أى القادر على كل مايشاء (العزيز) أى الذى لايغالب ولايدافع (من كان يريد
الآخرة) أى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له فى حرثه) أى بالتضعيف الواحد
الى عشرة الى مايشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات
اليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعنى يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة (نؤته منها) أى ماقدر
له منها (وماله فى الآخرة من نصيب) يعنى لانه لم يعمل لها ۞ عن أبى بن كعب رضى الله عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل
للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب ذكره فى جامع الاصول ولم يعزه الى أحد من الكتب الستة وأ
البغوى باسناده ۞ قوله تعالى (أم لهم) يعنى كفار مكة (شركاء) يعنى الاصنام وقيل الشياطين (شرعوا
لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعنى ان تلك الشرائع
باسرها على خلاف دين الله تعالى الذى أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل
لانهم لايعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعنى ان الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى ...

(تقضى بينهم) أى الفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وان الظالمين) يعنى المشركين (لهم عذاب أليم) أى فى الآخرة (ترى الظالمين) يعنى يوم القيامة (مشفقين) أى وجلين خائفين (مما كسبوا) أى من الشرك والاعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) أى جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) لان هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن فى الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة (لهم مايشاؤن عند ربهم) أى من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) أى الذى ذكر من نعيم الجنة (الذى يبشر الله) به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ﴿قوله عز وجل (قل لا أسئلكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (أجرا) أى جزاء (الا المودة فى القربى) (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله الا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا فى قوله الا المودة فى القربى يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته واختلفوا فى قرابته فقيل على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا فى جاهلية ولا فى الاسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور خذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى فقال له حصين من أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحى لا يجوز لقوله فى قصة نوح عليه السلام وغيره من الأنبياء وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين قلت لا نزاع فى أنه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقى الجواب عن قوله الا المودة فى القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا أطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين أمر واجب واذا كان كذلك فى حق جميع المسلمين كان فى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى المودة فى القربى ليست أجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا أجر البتة والوجه الثانى أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة فى القربى أى لكن أذكركم المودة فى قرابتى الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة

يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين او لعجلت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب فى الآخرة وان أخر عنهم فى دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين فى الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) كأن روضة

(١٠١)

جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (لهم مايشاؤن عند ربهم) عند نصب بالظرف لا بيشاؤن (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) أى الكبير (الذى يبشر الله) يبشر مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى به عباده الذين آمنوا فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله أهذا الذى بعث الله رسولا ولما قال المشركون أيبتغى محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قل لا أسئلكم عليه) على التبليغ (أجرا الا المودة فى القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا ويجوز أن يكون منقطعا أى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتى أو لا أسألكم عليه أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى أو المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا أن تودونى لقرابتى فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على اذ لم يكن بطن من بطون قريش

الا بن رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أى الا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقترف حسنة) يكتسب طاعة عن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ومودته والظاهر العموم فى أى حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على انها تناول المودة تناولا أوليا (نزد له فيها حسنا) أى نضاعفها كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة أو الى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور

(١٠٢)

تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) أى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو فى الخط كما سقطت فى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة فى مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأظهر الاسلام (انه عليم بذات الصدور) أى عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ويقال قبلته عنه أى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التفصى على طريقه وقال على رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى

وآواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى أن يلحقه باخوانه من النبيين فأنزل الله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله فصارت هذه الآية منسوخة بقوله قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى والى هذا ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضى لان مودة النبى صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروى عن ابن عباس فى معنى الآية قول آخر قال الا أن تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح ﴿وقوله﴾ (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب طاعة (نزد له فيها حسنا) أى بالتضعيف (ان الله غفور) للذنوب (شكور) أى للقليل من الاعمال حتى يضاعفها (أم يقولون) أى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه أيقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم أن ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو أقبح أنواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية (ويمح الله الباطل) أخبر الله تعالى أن ما يقولونه باطل يمحوه الله عز وجل (ويحق الحق بكلماته) أى يثبت الاسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل عليه السلام فأخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياءه وأهل طاعته

﴿فصل فى ذكر التوبة وحكمها﴾ قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع عن المعصية والثانى أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد أحد الثلاث لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والاقبال على الطاعات وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه را

إذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب
بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى
الاحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله (ويعفو عن السيآت) وهو ما دون الشرك يعفو لمن
يشاء بلا توبة (ويعلم
ما تفعلون) بالتاء كوفي
غير أبي بكر أي من التوبة
والمعصية ولا وقف عليه
للعطف عليه واتصال المعنى
(ويستجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله) أي اذا دعوه
استجاب دعاءهم وأعطاهم
ما طلبوا وزادهم على
مطلوبهم واستجاب وأجاب
بمعنى والسين في مثله
لتوكيد الفعل كقولك
تعظم واستعظم والتقدير
ويجيب الله الذين آمنوا
وقيل معناه ويستجيب
الذين فحذف اللام من
عليهم لأن يقبل توبتهم اذا
تابوا ويعفو عن سيآتهم
ويستجيب لهم اذا دعوه
ويزيدهم على ما سألوه
وعن ابراهيم بن أدهم انه
قيل له ما بالنا ندعوه فلا
نجاب قال لأنه دعاكم فلم
تجيبوه (والكافرون لهم
عذاب شديد) في الآخرة
(ولو بسط الله الرزق لعباده
أي لو أغناهم جميعا (لبغوا
في الارض) من البغي وهو
الظلم أي لبغى هذا على ذاك
وذاك على هذا لأن الغنى
مبطرة مأشرة وكفى بحال
قارون عبرة أو من البغي وهو التكبر أي لتكبروا في الارض (ولكن ينزل) بالتخفيف مكي وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير
يقدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط اذا
ما اقتضت الحكمة جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغي ومن يبغي بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغي مع

شرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ما شاء الله
قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته
عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية المهلكة والمفازة
(ق) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من
أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا
بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس
منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم
قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح * عن صفوان بن عسال المرادي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع
الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقبل توبة
العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * وقوله عز وجل (ويعفو عن السيآت) أي يمحوها
اذا تابوا (ويعلم ما تفعلون) يعني من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات)
يعني يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذا دعوه
وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) أي سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال ابن
عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد)
* قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى
أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فأنزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده أي وسع الله
الرزق لعباده (لبغوا) أي لطغوا وعتوا (في الارض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد
مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى
طبعه وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع
القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لأن النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان
الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل
بقدر ما يشاء) يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم
بأحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روي
عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من أهان لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل أداء
ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا
ان دعاني أجبته وان سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي

المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك انى أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم انى عليم خبير أخرجه البغوي

وحل (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أي يئس الناس منه وذلك أدعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بالنعمة بعد الشدة أتم (وينشر رحمته) أي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولي) أي لاهل طاعته (الحميد) أي المحمود على ما يوصل الى الخلق من أقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث) أي أوجد (فيهما) أي في السموات والارض (من دابة) فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خلق في السموات من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعني يوم القيامة قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب (ويعفو عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وروى الثعلبي عن أبي سخيلة قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مصيبة أي من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة (وما أنتم بمعجزين) أي بفائتين (في الارض) هربا يعني لا تعجزونني حيثما

ومع البسط أكثروا البغي (وهو الذي ينزل الغيث) بالتشديد مدني وشامي وعاصم (من بعد ما قنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه ورحمته في كل شئ (وهو الولي) الذي يتولى باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) أي علامات قدرته خلق السموات والارض) مع عظمهما (وما بث) فرق وما يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف اليه (فيهما) أي في السموات والارض (من دابة) الدواب تكون في الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان متلبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو في فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشي الاناسي على الارض أو يكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسي (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم مكروه (فبما كسبت أيديكم) أي بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدني وشامي على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسياق وهو (ويعفو عن كثير) أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم أن ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين في الارض) أي بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولي) متول بالرحمة (ولا نصير) دافع للعذاب عنكم اذا حل بكم

القبيح و عنه هو اسم

لكم من دون الله من ولى) متول بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهي السفينة الجوارى فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وأبو عمرو فى الوصل (فى البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدنى (فيظللن رواكد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمه (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) فلا يجازى عليها وانما أدخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى عطف على الاستئناف (ما لهم من محيص) مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله) (١٠٥) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كبائر الاثم) أى الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم على وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) أى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ



واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم البغى) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم أى يقتصرون فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز فى ذلك حد الله فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء أو لانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى كانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها وفى تسمية الثانية سيئة اشارة الى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة

لكم من دون الله من ولى ولا نصير) ﴿ قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعنى السفن وهى السيارة (فى البحر كالاعلام) أى كالقصور وكل شئ مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) أى التى تجرى بها السفن (فيظللن) يعنى السفن الجوارى (رواكد) أى ثوابت (على ظهره) أى على ظهر البحر لا تجرى (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء (أو يوبقهن) يعنى يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) أى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) أى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شئ) أى من زينة الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا) أى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) أى من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان فى متاع الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعنى ما عظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يعنى يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعنى أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلوة) يعنى المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعنى يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغى) يعنى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية وقال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل فى الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة وقيل

(فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم (انه لا يحب الظالمين)
الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث ينادي مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا (ولمن
انتصر بعد ظلمه) أي أخذ حقه بعدما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب
ولا للعاتب والعائب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدؤنهم بالظلم (ويبغون في الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون
(بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) أي
ان ذلك الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور) أي من الامور التي ندب اليها أو مما ينبغي أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه وحذف الراجع
أي منه لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد الصبر على المكاره من



الاقباء فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده) فما له من أحد يلي هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضي للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار (من طرف خفي) ضعيف بمسارقة كما ترى
المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) والصحة
يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع في الدنيا أو يقال أي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين في عذاب
مقيم) دائم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى النجاة (استجيبوا
لربكم) أجيبوه الى ما دعاكم اليه (من قبل أن يأتي يوم) أي يوم القيامة (لا مرد له من الله) من يتصل بلا مرد أي لا يرده
به أو بيأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده (ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) أي ليس لكم مخلص من
العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان أعرضوا) عن الايمان فما أرسلناك
عليهم حفيظا) رقيبا (ان عليك الا البلاغ) ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (

لان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزد واذا
شتمه فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل ان الله
لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أي عمن ظلمه (وأصلح)
أي بالعفو بينه وبين الظالم (فأجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر
فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولمن
انتصر بعد ظلمه) أي بعد ظلم الظالم اياه (فأولئك) يعني المنتصرين (ما عليهم من سبيل) أي بعقوبة
ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي يبدؤن بالظلم (ويبغون في الارض بغير الحق) أي
يعملون فيها بالمعاصي (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر) أي لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظالمه (ان ذلك)
أي الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) يعني تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التي أمر الله عز وجل
وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده)
ما له من أحد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه أو يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم
القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعني انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أي
على النار (خاشعين من الذل) أي خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفي) يعني يسارقون النظر الى
النار خوفا منها وذلة في أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي أي ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم
لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعني
صاروا الى النار (وأهليهم يوم القيامة) يعني وخسروا أهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة (ألا ان الظالمين
في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) أي طريق الى
الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أي أجيبوا داعي الله يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة
وقيل هو يوم الموت (ما لكم من ملجأ يومئذ) أي ما لكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (وما لكم من
نكير) أي منكر يغير ما بكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدرون ان تنكروا من أعمالكم شيأ (فان أعرضوا)
أي عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي تحفظ أعمالهم (ان عليك الا البلاغ) أي ليس عليك الا
البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعني

نعمة وسعة وأمنا وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في وان تصبهم باعتبار المعنى (بما قدمت أيديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها وقيل أريد به كفران النعمة وقيل أريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أي يقرنهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التي لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث أولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان



التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شيء (قدير) قادر على كل شيء (وما كان لبشر) وما صح لاحد من البشر (أن يكلمه الله الا وحيا) أي الهاما كما روي نفث في روعي أو رؤيا في المنام كقوله عليه السلام رؤيا الانبياء وحي وهو كأمر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد (أو من وراء حجاب) أي يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا (أو يرسل رسولا) أي يرسل ملكا (فيوحي) أي الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بان يوحي أو بان يسمع من وراء حجاب أو بان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (باذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحي (انه علي) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب في أقواله وأفعاله فلا يعارض (وكذلك) أي كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحي اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدري) الجملة حال من الكاف في اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان)

---

والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) أي قحط (بما قدمت أيديهم) أي من الاعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه ﴿ قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض) يعني له التصرف فيهما بما يريد (يخلق ما يشاء) أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا) أي فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) أي فلا يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أي يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) أي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالآية عامة في جميع الناس (انه عليم) أي بما يخلق (قدير) أي على ما يريد ان يخلق ﴿ قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أي يوحي اليه في المنام أو بالالهام كما رأى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما ألهمت أم موسى أن تقذفه في البحر (أو من وراء حجاب) أي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) يعني من الملائكة اما جبريل أو غيره (فيوحي باذنه ما يشاء) يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا وتأتي بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى في سورة النجم (انه علي) أي عن صفات المخلوقين (حكيم) أي في جميع أفعاله ﴿ قوله عز وجل (وكذلك) أي وكما أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدري) أي قبل الوحي (ما الكتاب) يعني القرآن (ولا الايمان)

أي شرائعه أو ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم ان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول أ...
الطريق اليه العقل و منها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي (ولـ...
جعلناه) أي الكتاب (نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل
(الذي له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية﴾  ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتا...
وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جواب القسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للمتدبرين أو الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج اليه الامة في أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه (وانه في أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وسمي أم الكتاب لانه الاصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف علي وحمزة (لعلي) خبران أي في أعلى طبقات البلاغة أو رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم)
ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب ... من
الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على ...
انزال الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بموجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على ...
معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه أي أعرضت
عنه كذا قاله الفراء (أن كنتم) لان كنتم مدني وحمزة وهو من باب الشرط الذي يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق ...
الاخبار ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك (قوما مسرفين) مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة (وكم أرسلنا)

---

اختلف العلماء في هذه الآية مع اتفاقهم على أن الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق عن ابن خزيمة الايمان في هذا الموضع وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحي اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي) أي لتدعو (الى صراط مستقيم) يعني الى دين الاسلام (صراط الله) يعني دين الله الذي شرعه لعباده (الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور) يعني أمور الخلائق في الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الزخرف وهي مكية وهي تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون ٧ كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب وهو القرآن الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) أي صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعني معانيه وأحكامه (وانه) يعني القرآن (في أم الكتاب) أي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله عز وجل القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق في الكتاب عنده ثم قرأ وانه في أم الكتاب (لدينا) عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى في اللوح المحفوظ (لعلي حكيم) أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلي أي رفيع شريف وقيل علي على جميع الكتب حكيم أي محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان ﴿قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو استفهام بمعنى الانكار أي لا نفعل ذلك وقيل معناه تعالى (أن كنتم) أي لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين أي معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوي الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنترككم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا ...

من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) أي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة ❁ قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أي ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعني انهم أقروا بان الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ثم مع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذي جعل لكم الارض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا (لعلكم تهتدون) يعني الى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم (فأنشرنا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) أي من قبوركم أحياء (والذي خلق الازواج كلها) أي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) يعني في البر والبحر (لتستووا على ظهوره) أي على ظهور الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) يعني بتسخير المركب في البر والبحر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) أي ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين وقيل ضابطين (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي لمنصرفون في المعاد (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف ما يحزنه في أهل أو مال عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله

---

من نبي في الاولين) أي كثيرا من الرسل أرسلنا الى من تقدمك (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) هي حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فأهلكنا أشد منهم بطشا) تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا) كوفي وغيره مهادا أي موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فأنشرنا) فأحيينا عدول من الغيبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يريد ميتا (كذلك تخرجون) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلي ولا وقف على العليم لان الذي صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذي لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في انكار البعث (والذي خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) أي تركبونه يقال ركبوا الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بألسنتكم (سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشيء اذا أطاقه وحقيقته أقرنه وجده قرينه لان الصعب لا يكون قرينة الضعيف (وانا الى ربنا لمنقلبون) لراجعون في المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وحكي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخر

لـ هذه الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال انى مقرن ...
للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لامحالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله
ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة
بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ لوالده جزأ أبو بكر وحماد (ان الانسان لكفور مبين) لجحود النعمة ظاهر جحوده لان
نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا
من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم الاعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا
أى شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا



وهو كظيم) يعنى أنهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه
غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ فى الحلية أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المرأة الا وتأتى بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى أو جعلوا من ينشأ فى الحلية يعنى البنات لله عز وجل
ينشأ حمزة وعلى وحفص أى يربى فقد جمعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا
اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى سموهم وقالوا انهم اناث عبد الرحمن مكى ومدنى وشامى أى عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك
ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا
بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسألون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في
ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث
قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم أى لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم

صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أى شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال
رب اغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ق﴾ قوله تعالى
(وجعلوا له من عباده جزأ) يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا
حكموا وأثبتوا (ان الانسان لكفور مبين) أى لجحود لنعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات)
استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أى أخلصكم (بالبنين واذا بشر أحدهم
بما ضرب للرحمن مثلا) أى بالجنس الذى جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى
أنهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه وهو
قوله تعالى (ظل وجهه) أى صار وجهه (مسودا وهو كظيم) أى من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب
ولدت له انثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

مالابى حمزة لا يأتينا ❊ يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ❊ ليس لنا من أمرنا ما شينا
وانما نأخذ ما أعطينا ❊ حكمة رب ذى اقتدار فينا

﴿ق﴾ قوله عز وجل (أومن ينشأ) يعنى أومن يتربى (فى الحلية) يعنى الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن
من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصانها من
وجه آخر وهو قوله (وهو فى الخصام) أى المخاصمة (غير مبين) ...
قال قتادة فلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) أى وحكموا وأثبتوا
(الملائكة الذين هم عباد) وقرئ عند (الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلقهم حين خلقوا وهذا
استفهام انكار أى لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) أى على الملائكة أنهم بنات الله (ويسألون)
عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم أنها بنات الله قالوا سمعنا من
آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها فى الآخرة (وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك

واعتقادهم بقوله (ما لهم بذلك) القول (من علم ان هم الا يخرصون) أي يكذبون ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أو لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار وإذ لم يفعل ذلك فقد رضي بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله ما لهم بذلك من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لا جدا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق في الأصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان أنتم الا في ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لأنهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا أن الله لا يعاقبهم على شيء فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين في ذلك فرد الله تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث (بل قالوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهي من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) الظرف صلة لمهتدون أو هما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير) نبي (الا قال مترفوها) أي متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم (قال) شامي وحفص أي النذير قل غيرهما أي قيل للنذير قل (أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى (فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوا على اصرارهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه) أي واذكر اذ قال (انني براء) أي بريء وهو مصدر يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذي فطرني) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني (فانه سيهدين) يثبتني على الهداية (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجي لابراهيم (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أي القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من القريتين عظيم) أي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا



الله تعالى ردا عليهم (ما لهم بذلك من علم) أي فيما يقولون (ان هم الا يخرصون) يعني ما هم الا كاذبون في قولهم ان الله رضي بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أي يأخذون بما فيه (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أي على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) يعني انهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر أن غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها) أي أغنياؤها ورؤساؤها (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) أي بهم (قل أولو جئتكم بأهدى) أي بدين هو أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فأبوا أن يقبلوا (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ۞ قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء) أي بريء (مما تعبدون الا الذي فطرني) معناه انا أتبرأ مما تعبدون الا من الله الذي خلقني (فانه سيهدين) أي يرشدني الى دينه (وجعلها) أي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله (كلمة باقية في عقبه) أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعني كفار مكة (وآباءهم) في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعني القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أي يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة أوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعني القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) ۞ قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب

بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من عند الله عليا (أهم يقسمون رحمت ربك) أى النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (في الحيوة الدنيا) أى لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أى جعلنا البعض أقوياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخدما (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله (ورحمت ربك) أى النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب (خير مما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس امة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) أى جعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أى زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهى المصاعد الى العلالى عليها يظهرون على المعارج يظهرون أى يعلونها (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الا أى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرأ ... وحمزة على ان اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة أى وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أى ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقى الشرك

عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا فى هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن حبيب بن عمير الثقفى قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمت ربك) معناه أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا) أى أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض حكمنا فى أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا فى تخصيص عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك ... ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعنى لو تساوى الناس فى الاحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضى ذلك الى خراب العالم وفساد الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء بأموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل ... (ورحمت ربك) يعنى الجنة (خير) يعنى للمؤمنين (مما يجمعون) أى يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآبدين ۞ قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا رأوا الكفار فى سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار أكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعنى مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يعنى يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم أبوابا) أى من فضة (وسررا) أى وجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكئون وزخرفا) أى وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) يعنى ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضى لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا ● عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد أحد بنى فهر قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه ...

(ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي يعشى واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا يعشو أي يعرض والقراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن لقوله صم بكم عمي ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضي الله عنهما نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصي وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقربه الشيطان (وانهم) أي الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أي العاشون (انهم مهتدون) وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم من جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عراقي غير أبي بكر أي العاشي جاآنا غيرهم أي العاشي وقرينه (قال) لشيطانه ياليت (بيني وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم أي كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم (أنكم في العذاب مشتركون) انكم في محل الرفع على الفاعلية أي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب أو كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر أي ولا ينفعكم هذا التمني أو الاعتذار لانكم في العذاب مشتركون لاشتراككم سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفأنت تسمع الصم) أي من فقد سمع القبول (أو تهدي العمي) أي من فقد البصر (ومن كان في ضلال مبين) ومن كان في علم الله أنه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة في (نذهبن بك) أي نتوفينك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام في الآخرة (أو نرينك الذي وعدناهم) قبل ان نتوفينك يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين (فاستمسك) فتمسك (بالذي أوحي اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) أي على الدين الذي لا عوج له

وقال حديث حسن * وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ۞ قوله تعالى (ومن يعش) أي يعرض (عن ذكر الرحمن) أي فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) أي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعني الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعني يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون انهم مهتدون) يعني ويحسب كفار بني آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعني الكافر وحده وقرئ جاآنا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال الشمس والقمر القمران ولأبي بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح (فبئس القرين) يعني الشيطان قال أبو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصيرا الى النار (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعني أشركتم (انكم في العذاب مشتركون) يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لان لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون * قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) أي بأن نميتك قبل أن نعذبهم (فانا منهم منتقمون) أي بالقتل بعدك (أو نرينك) أي في حياتك (الذي وعدناهم) أي من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) أي قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأراد بهم مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام له منهم اما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون في أمته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره في أمته الا الذي تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أري ما يصيب أمته بعده فما رؤي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذي أوحي اليك) يعني القرآن (انك على صراط مستقيم) أي على دين مستقيم لا يميل عنه الا

(وانه) وان الذى أوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولأمتك (وسوف تسألون) عن [illegible]

تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه انهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين أى التوراة والانجيل وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال



(وانه) يعنى القرآن (لذكر) أى لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعنى عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشئ حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكر لك أى ذلك شرف لما أعطاك الله من النبوة والحكمة وللمؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسألون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه ﴿ قوله تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلين فروى عن ابن عباس فى رواية عنه لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة أسرى به وأمر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركى قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أى يسخرون (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) أى من قرينتها التى قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) أى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا أيه الساحر) أى يا أيها العالم الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف

التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همز مكى وعلى وسل رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين) ما أجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محل اذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما أخوان كل منهما أكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان (وقالوا يا أيه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها ما قبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد اليك من كشف العذاب عمن اهتدى

(إننا لمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) ينقضون العهد بالإيمان ولا يفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه في عظماء القبط أو أمر مناديا فنادى كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه (في قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار) أي أنهار النيل ومعظمها أربعة (تجري من تحتي) من تحت قصري وقيل بين يدي في جناني والواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها أو الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للمبتدأ وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه (أفلا تبصرون) قوتي وضعف موسى وغناي وفقره (أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي (من هذا الذي هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرتة (فلولا) فهلا (ألقي عليه أسورة) حفص ويعقوب وسهل جمع سوار غيرهم أساورة جمع أسورة وأساور جمع أسوار وهو السوار حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (من ذهب) أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (أو جاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة في الطاعة وهي الإسراع (فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) آسف منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم (فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم سلفا حمزة وعلي جمع سليف أي فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الأمثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجيء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه

---

العذاب ما سأله أن يكشفه عنا (إننا لمهتدون) أي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) أي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) يعني أنهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي جناني وبساتيني وقيل تجري بأمري (أفلا تبصرون) أي عظمتي وشدة ملكي (أم أنا) أي بل أنا (خير) وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير (من هذا الذي هو مهين) أي ضعيف حقير يعني موسى (ولا يكاد يبين) أي يفصح بكلامه للعقدة التي كانت في لسانه وإنما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به أنه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقي عليه) أي إن كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل إنهم كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيدا تجب طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره ﴿ قال الله تعالى (فاستخف) يعني فرعون (قومه) يعني القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) أي على تكذيب موسى (إنهم كانوا قوما فاسقين) يعني حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا) أي أغضبونا وهو في حق الله تعالى إرادة العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعني جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجيء من بعدهم ﴿ قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الأنبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى

(اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم ضجيج وضجيج ...
الله عليه وسلم بجدله يصدون بضم الصاد وكسرها والاعشى وعلى من الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل
الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان
عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أي ما ضربوا هذا المثل (لك الاجدلا) الالاجل الجدل والغلبة في القول
المميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون
يريد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء الا أن ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ما عيسى (الاعبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض) أي بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون) يخلفونكم في الارض أو يخلف الملائكة
بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم
يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا
الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعلم الساعة) وان عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس
للساعة وهو العلامة أي وان نزوله لعلم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيهما
أي واتبعوا هداى وشرعي أو رسولي أو هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي
(ولا يصدنكم

عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعني قريشا
(منه) أي من المثل (يصدون) أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا أن
نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا أآلهتنا خير أم هو)
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى والمعنى قالوا
يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا ان تكون آلهتنا مع عيسى وعزير
والملائكة في النار قال الله تعالى (ماضربوه) يعني هذا المثل (لك الاجدلا) أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد
من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) أي بالباطل عن
أبي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا
الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) أي ما عيسى (الاعبد أنعمنا عليه)
بالنبوة (وجعلناه مثلا) أي آية وعبرة (لبني اسرائيل) يعرفون به قدرة الله تعالى على ما يشاء حيث خلقه من غير
أب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم و...
(في الارض يخلفون) أي يكونون خلفاء منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل
بعضا (وانه) يعني عيسى (لعلم الساعة) يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما
عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية أبي داود
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه نبي يعني عيسى وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل
مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام
فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال
في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذئب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة
نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل
الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن وقيل في معنى الآية وانه
وان القرآن لعلم للساعة أي يعلم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها (فلا تمترن بها) أي لا تشكون فيها قال
ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعون) أي على التوحيد (هذا) أي الذي أنا عليه (صراط مستقيم)

(٨١١)

وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا وفي الحديث لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها ...

جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفتر عنهم) خبر آخر أي لا يخفف ولا ينقص (وهم فيه) في العذاب (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يا مالك) لما أيسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن (ليقض علينا ربك) ليمتنا من قضى عليه إذا أماته فوكزه وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (قال إنكم ماكثون) لابثون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا ويجب أن يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بالحق) كلام الله تعالى والمراد بقوله جئناكم الملائكة إذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن أكثركم للحق كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم أبرموا أمرا) أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم



(فإنا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) أي الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من أمارات النفاق (قل إن كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فأنا أول العابدين) فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد إليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه

وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان ...

ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك

كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في ز...

الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هي إن النافية أي ما كان للر...

من قال بذلك وعبد ووحد وروي أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه صدقني

قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له ولد حمزة وعلي ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان ر...

والأرض رب العرش عما يصفون) أي هو رب السموات والأرض والعرش فلا يكون جسما إذ لو كان جسما لم يقدر على

جسما لا يكون له ولد لأن التولد من صفة الأجسام

---

وفي الحديث أنه لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاها ۞ قوله تعالى (إن المجرمين)

المشركين (في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم) أي لا يخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) أي آيسو[ن من]

رحمة الله تعالى (وما ظلمناهم) أي وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) أي ...

عليها (ونادوا يا مالك) يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك)

ليمتنا ربك فنستريح والمعنى أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة ...

وقيل بعد مائة سنة وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال إن أهل النار يدعون

أربعين عاما ثم يرد عليهم (قال إنكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى ر...

ماكثون مقيمون في العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش ر...

(ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا) أي أحكموا أمرا في المكر برسول الله صلى

وسلم (فإنا مبرمون) أي محكمون أمرا في مجازاتهم إن كادوا شرا كدتهم بمثله (أم يحسبون أ...

ونجواهم) أي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعني

من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) معناه إ...

ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فإنه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس إن كا...

للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من ...

ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول ...

للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الآية إن كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان ...

وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته كما يعظم الرجل ...

وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه مع ...

نفسه ثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في ...

عليها محال مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والأرض رب العرش ...

اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر
الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة و يستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا
منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من
العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب
كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التي تجيء في السنة المقبلة (حكيم) ذي حكمة أي
مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز (أمرا من عندنا)
نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بان قال أعني بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا
كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا أنزلنا القرآن



من شأننا وعادتنا ارسال
الرسل بالكتب الى عبادنا
لاجل الرحمة عليهم أو تعليل
لقوله أمرا من عندنا ورحمة
مفعول به وقد وصف
الرحمة بالارسال كما وصفها
به في قوله وما يمسك فلا
مرسل له من بعده والاصل
انا كنا مرسلين رحمة
منا فوضع الظاهر موضع
الضمير ايذانا بان الربوبية
تقتضي الرحمة على المربوبين
(انه هو السميع) لاقوالهم
(العليم) باحوالهم (رب)
كوفي بدل من ربك وغيرهم
بالرفع أي هو رب (السموات
والارض وما بينهما ان
كنتم موقنين) ومعنى
الشرط انهم كانوا يقرون
بان للسموات والارض

الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع في عشرين سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن
عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من
شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب أخرجه الترمذي (انا كنا منذرين) أي
مخوفين عقابنا (فيها) أي في تلك الليلة المباركة (يفرق) أي يفصل (كل أمر حكيم) أي محكم قال ابن عباس
يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحاج
يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة و...
الاموات وروى البغوي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى
ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس أن الله يقضي الاقضية في ليلة النصف
من شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر (أمرا) أي أنزلناه أمرا (من عندنا انا كنا مرسلين)
محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ...
بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل أنزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) أي لاقوالهم
(العليم) أي باحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أي ان الله رب ...
والارض وما بينهما (لا اله الا هو يحيي و يميت ربكم ورب آبائكم الاولين) ۞ قوله تعالى (بل
هم في شك) أي من هذا القرآن (يلعبون) أي يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) أي يا محمد (يوم تأتي
السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو
مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجيء
فتأخذ بانفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله
من علم منكم شيأ فليقل به ومن لا يعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله
عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ...

ربا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم
الذي أنتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد
الذي تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم) أي هو ربكم (ورب آبائكم الاولين) ...
يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وايقان بل قول مخلوط بهزء ولعب (فارتقب) فانتظر
(يوم تأتي السماء بدخان) يأتي دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه
كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين
السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان

(يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة الدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أي سنؤمن أن تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أي قائلين ذلك (أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أي وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى المجنون (انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر الذي كنتم فيه أو الى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هي يوم القيامة أو يوم بدر (انا منتقمون) أي ننتقم منهم في ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أي فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا الى) هي ان المفسرة لان مجيء الرسل الى من بعثوا اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عباد الله) مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى وأرسلوهم معي كقوله أرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول أمين) أي على رسالتي غير متهم (وأن لا تعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى في وجهيها أي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله (انى آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على أني نبي (وانى عذت) مدغم أبو عمرو وحمزة وعلي (بربي وربكم

الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف وفي رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شيء بالحاء والصاد المهملتين أي أهلكت واستأصلت كل شيء (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة في أبصارهم وسبب ذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتي السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره (أنى لهم الذكرى) أي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) أي أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أي يعلمه بشر (مجنون) أي تأتي اليه الجن بهذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي (انا كاشفوا العذاب) أي الجوع (قليلا) أي زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر (انكم عائدون) أي الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) أي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) أي قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) أي على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (أن أدوا الى عباد الله) أي اطلقوا الى بني اسرائيل ولا تعذبوهم (انى لكم رسول أمين) أي على الوحي (وأن لا تعلوا على الله) أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان مبين) أي ببرهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وانى عذت بربي وربكم

أن ترجمون) أن تقتلوني رجما وما بانه يأتدر مستكلا على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدو
والقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني أو فخلوني كفافا لا لي و
تتعرضوا لي بشركم وأذاكم وليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ترجموني فاعتزلوني في الحالين يعقوب (فدعا ربه) شا
(ان هؤلاء قوم مجرمون) ان هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ر
فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أي فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فاسر) من أسرى فاسر بالوصل حجا
سرى والقول مضمر بعد الفاء أي فقال اسر (بعبادي) أي بني اسرائيل (ليلا انكم متبعون) أي دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم ف
وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى



أن ترجمون) أي تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة (وان لم تؤمنوا
فاعتزلون) أي فاتركون لا معي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا أذاي باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا
هؤلاء قوم مجرمون) أي مشركون (فاسر بعبادي ليلا) أي أجاب الله دعاءه وأمره أن يسري ببني اسر
بالليل (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أي اذا قطعته أنت وأصحابك (ر
أي ساكنا والمعنى لا تأمره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طر
يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده فقيل
اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعني أخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو (كم تر
أي بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) أي مجلس شريف حسن (ونعمة) أي
لين رغد (كانوا فيها) أي في تلك النعمة (فاكهين) أي ناعمين وقرئ فكهين أي أشرين بطرين (كذ
أي أفعل بمن عصاني (وأورثناها قوما آخرين) يعني بني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض
ان المؤمن اذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي ا
على فقده ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه عن أنس بن مالك عن النبي صلى ا
انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رز
بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين لأخر حالهم ... فلم ... لا اله ا
والأرض وما بينهما (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) قوله تعالى (بل
أي من هذا القرآن (يلعبون) أي يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) أي يا محمد (يوم تأتي ا
مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود
بينما أتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجي
الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا
من علم منكم شيأ فليقل به ومن لا يعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم
عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان رسول

البحر ان يضربه بعصاه فينغلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يابسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أي لانهم (كم) عبارة
(العليم) بأحوالهم (رب) كوفي بدل من ربك وغيرهم بالرفع أي هو رب (السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان للسموات والأرض

ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الله
الذي أنتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والأرض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي
الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم) أي هو ربكم (ورب آبائكم الأولين) ...
يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) فان اقرارهم غير صادر عن علم وايقان بل قول مخلوط بهزء ولعب (فارتقب) فانتظر
السماء بدخان) يأتي دخان من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري
كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى
عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل
السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان (مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان

الاولى) أى لاموتة لنا الا هذه التى نموتها فى الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله (ومانحن بمنشرين) أى بمبعوثين
بعده وتشاهده (فأتوا بآبائنا) أى الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) أى ان ابعث أحياء بعد الموت قيل
طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يحيى لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى
(أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى وكان
من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة أتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذى
قبله كما سمى فى الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن
سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه أحمد بن
حنبل فى مسنده وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لاتسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ماذكر محمد بن
اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار
بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة و بنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة
وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها
فجمع له هذا الحى من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله وكان الانصار يقاتلونه بالنهار
ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبيناهو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من أحبار بنى قريظة
وكانا ابنى عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا
تفعل فانك ان أبيت الا ماتريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبى
يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى أنت فيه يكون به من
القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا يسير اليه قومه فيقتتلون بها
فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما
...بالدخان فتلا هذه الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث ... وقالوا انه
...المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره (أنى لهم
...كرى) أى كيف يتذكرون و يتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ماهو
...عظم وأدخل فى وجوب الطاعة وهو ماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات
...لآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) أى أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (مجنون) أى تلقى اليه
...ن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى (انا كاشفوا العذاب) أى الجوع (قليلا) أى زمنا يسيرا قيل
...يوم بدر (انكم عائدون) أى الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون)
...منكم فى ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة
...وله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) أى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) أى على الله وهو
...ى بن عمران عليه السلام (أن أدوا الى عباد الله) أى اطلقوا الى بنى اسرائيل ولا تعذبوهم
...لكم رسول أمين) أى على الوحى (وأن لاتعلوا على الله) أى لاتتجبروا عليه بترك طاعته (انى آتيكم
...ان مبين) أى برهان بين على صدق قولى فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وانى عذت بربى وربكم

الاولى) والاشكال
الكلام وقع فى الحياة
الثانية لافى الموت فهلا قيل
ان هى الا حياتنا الدنيا وما
معنى ذكر الاولى كأنهم
وعدوا موتة أخرى حتى
يجحدوها وأثبتوا الاولى
والجواب انه قيل لهم
انكم تموتون موتة تعقبها
حياة كما تقدمتكم موتة
قد تعقبتها حياة وذلك
قوله تعالى وكنتم أمواتا
فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
فقالوا ان هى الا موتتنا
الاولى يريدون ما الموتة
التى من شأنها أن يتعقبها
حياة الا الموتة الاولى فلا
فرق اذا بين هذا و بين قوله
الا حياتنا الدنيا فى المعنى
و يحتمل أن يكون هذا
انكارا لما فى قوله ربنا
...تم فعل المختبر ليظهر منهم
ما كان باطنا (قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم) على
الله وعلى عباده المؤمنين أو
كريم فى نفسه حسيب نسيب
لان الله تعالى لم يبعث نبيا
الا من سراة قومه وكرامهم
(أن أدوا الى) هى ان
المفسرة لان مجىء الرسل
الى من بعث اليهم متضمن
لمعنى القول لانه لايجيئهم
الا مبشرا ونذيرا وداعيا



الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عباد الله)
...ول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى وأرسلوهم معى كقوله أرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم و يجوز أن يكون نداء لهم على معنى
...ل ياعباد الله ماهو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول أمين) أى على رسالتى
...م (وأن لاتعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى فى وجهيها أى لاتستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لاتستكبروا على نبى الله
...بكم بسلطان مبين) حجة واضحة تدل على أنى نبى (وانى عذت) مدغم أبو عمرو وحمزة وعلى (ربى وربكم

(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) أ... بالعطف على قوم تبع (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) الجنسين (لاعبين) حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ما خلقناهما الا بالحق) الجد ضد ... (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انه خلق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت ... (يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ) أي ولي كان عن أي ولي كان شيأ من أغناء أي قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للمولى لانهم في ... كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب ... رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرت الزقوم) هي على صورة شجرة الدنيا لكنها في النار ... ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال طعام الفاجر يا هذا وبهذا استدل على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو

حنيفة رضي الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدي القارئ المعاني كلها على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والدقائق ما لا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردي الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلي في البطون) وبالياء مكي وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلي الحميم) أي الماء الحار الذي انتهى غليانه ومعناه غليا كغلي الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خذوه) أي الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكي ونافع وشامي وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب هو الحميم لا عذابه الا أنه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتهكم انك أي لانك على ... (ان هذا) أي العذاب ... هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين في مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمكان وهو من الخاص الذي ... العموم وبالضم مدني وشامي وهو موضع الاقامة (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة ... المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (في جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) ما رق من ... (واستبرق) ما غلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ أن يقع في القرآن العربي

(أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق) بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ۞ قوله عز وجل (ان يوم الفصل) أي الذي يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين) أي يوافي يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ) أي لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيأ (ولا هم ينصرون) أي لا يمنعون من عذاب الله (الا من رحم الله) من المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) أي في انتقامه من أعدائه (الرحيم) أي بأوليائه المؤمنين ۞ قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أي ذي الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) أي كدردي الزيت الاسود (يغلي في البطون) أي في بطون الكفار (كغلي الحميم) كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ۞ قوله تعالى (خذوه) أي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم (فاعتلوه) أي ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) أي الى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) العذاب (انك أنت العزيز الكريم) أي عند قومك بزعمك وذلك ان أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستحقار والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) أي تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين في مقام أمين) أي مجلس أمنوا فيه من الغير (في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبره فان قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي لفظ أعجمي

متقابلين) في مجالسهم وهو أتم للأنس (كذلك) الكاف مرفوعة أي الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم ولهذا عدي بالباء (بحور)
جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهي الواسعة العين (يدعون فيها) يطلبون في الجنة (بكل فاكهة
آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار (لا يذوقون فيها) أي في الجنة (الموت) البتة (الا الموتة الاولى) أي سوى الموتة
الاولى التي ذاقوها في الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا (ووقاهم عذاب



الجحيم فضلا من ربك) أي الفضل
فضلا فهو مفعول له أو مصدر
مؤكد لما قبله لان قوله
ووقاهم عذاب الجحيم
تفضل منه لهم لان العبد
لا يستحق على الله
شيأ (ذلك) أي صرف
العذاب ودخول الجنة
(هو الفوز العظيم فانما
يسرناه) أي الكتاب وقد
جرى ذكره في أول السورة
(بلسانك لعلهم يتذكرون)
يتعظون (فارتقب) فانتظر
ما يحل بهم (انهم مرتقبون)
منتظرون ما يحل بك من
الدوائر

﴿سورة الجاثية
مكية وهي سبع وثلاثون
آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلتها اسما
للسورة فهي مرفوعة
بالابتداء والخبر (تنزيل
الكتاب من الله) صلة
للتنزيل وان جعلتها
تعديدا للحروف كان
تنزيل الكتاب مبتدأ
والظرف خبره (العزيز)
في انتقامه (الحكيم) في
تدبيره (ان في السموات
والارض لآيات) لدلالات
وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى ان في خلق السموات والارض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفي خلقكم) ويعطف
(وما يبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (آيات) حمزة وعلي بالنصب وغيرهما بالرفع
كقولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) أي
مطر وسمي به لانه سبب الرزق (فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلي (آيات لقوم يعقلون) بالنصب علي وحمزة

---

عجمي قلت اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره
عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب (متقابلين) أي يقابل بعضهم بعضا (كذلك) أي كما أكرمناهم بما
وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) أكرمناهم بأن (زوجناهم بحور عين) أي قرناهم بهن
ليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجا لهن أي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات
البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها
بكل فاكهة) يعني أرادوها واشتهوها (آمنين) أي من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت
والاوصاب والشيطان (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى
الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها
وانما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى أسباب الجنة يلقون الروح
والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كأنه في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم اياها
(ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز
بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه
بلسانك) أي سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون
(فارتقب) أي فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) أي منتظرون قهرك بزعمهم
بل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وعمر بن خثعم أحد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذي وقال هشام أبو المقدام أحد رواته ضعيف والله أعلم

﴿سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهي مكية وهي سبع وثلاثون آية
وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض) أي ان في خلق
السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفي
خلقكم) أي وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة)
وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها في الخلق والشكل والصورة (آيات)
دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعني انه لا اله غيره (واختلاف
الليل والنهار) يعني بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعني المطر الذي
هو سبب أرزاق العباد (فأحيا به) أي بالمطر (الارض بعد موتها) أي بعد يبسها (وتصريف الرياح) أي
تقليبها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان

وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وهذا مذهب الأخفش لأن العطف على عاملين والأقيسة بمنعه لا يجيزه وخرج الآية عنده أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين الآية وتؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور على عامله أو على التكرير لتوكيد الآيات في الأولى كأنه قيل آيات آيات ورفعها بإضمار هي والمعنى في تقديم الإيمان على الإيقان وتأخير الإعقال أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وفي خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم تلك إشارة إلى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات (آيات الله) وقوله (نتلوها) في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة (فبأي حديث بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد (يؤمنون) حجازي وأبو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) متتابع في اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) في موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل ويقيم عليه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجيء بثم لأن الإصرار على الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول (كأن لم يسمعها) كأن مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أي يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فأخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (وإذا علم من آياتنا شيئا) من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية:

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها حيث أراد عتبة

(أولئك) إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين (لهم عذاب مهين من ورائهم) من قدامهم الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام (جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا) من الأموال (شيئا ولا ما اتخذوا) ما فيهما مصدرية أو موصولة (من دون الله) من الأوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) في جهنم (هذا) القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لأن آيات ربهم هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل أي كامل في الرجولية (لهم عذاب من رجز) هو أشد العذاب (أليم) بالرفع مكي ويعقوب وحفص صفة العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) بإذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم (ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا) هو تأكيد لما في السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال أي سخر هذه الأشياء كائنة منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدأ محذوف أي هذه النعم كلها منه أو

---

فإن قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه أن المنصفين من الناس إذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا أنه القادر على كل شيء ثم إذا أمعنوا النظر ازدادوا إيقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا من العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله) أي بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) ﴿ قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أي كذاب صاحب إثم يعني النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعني آيات القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئا) يعني آيات القرآن (اتخذها هزوا) أي يسخر منها (أولئك) إشارة إلى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعني أمامهم جهنم وذلك لأنهم في الدنيا ولهم في الآخرة النار (ولا يغني عنهم ما كسبوا) أي من الأموال (شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعني القرآن (هدى) أي هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله) أي بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) على ذلك (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض) يعني أنه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث أنا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه

في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) أي قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لأن الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا
يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام لدلالة على الأمر (للذين لا يرجون أيام
الله) لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يؤملون الأوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم
الفوز فيها قيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بني غفار فهم أن يبطش به (ليجزي) تعليل للأمر بالمغفرة أي
إنما أمروا بأن يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم كأنه قيل ليجزي أيما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم
على أذى أعدائهم لنجزي شامي وحمزة وعلي ليجزى قوما يزيد أي ليجزى الخير قوما فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس في
قوله حتى توارت بالحجاب لأن قوله إذ عرض عليه بالعشي دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لأن المصدر لا يقوم
مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما إقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما
كانوا يكسبون) من
الاحسان (من عمل صالحا
فلنفسه ومن أساء فعليها)
أي لها الثواب وعليها العقاب
(ثم إلى ربكم ترجعون)
أي إلى جزائه (ولقد آتينا
بني إسرائيل الكتاب)
التوراة (والحكم) الحكمة
والفقه أو فصل الخصومات
بين الناس لأن الملك كان
فيهم (والنبوة) خصها
بالذكر لكثرة الأنبياء
عليهم السلام فيهم
(ورزقناهم من الطيبات)
مما أحل الله لهم وأطاب
من الأرزاق (وفضلناهم
على العالمين) على عالمي
زمانهم (وآتيناهم بينات)
آيات ومعجزات (من
الأمر) من أمر الدين
(فما اختلفوا) فما وقع
الخلاف بينهم في الدين (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أي إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما
اختلفوا لبغي حدث بينهم أي لعداوة وحسد بينهم (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم
في أوامر الله ونواهيه في التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الإنسان به معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل
الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الأمر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل (ولا تتبع
أهواء الذين لا يعلمون) ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع
إلى دين آبائك (إنهم) إن هؤلاء الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) وهم موالوه
وما أبين الفصل بين الولايتين (هذا) أي القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل
...باة

---

إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ۞ قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)
أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بنقمته قال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أن رجلا من بني
غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت في ناس من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال
فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال (ليجزي قوما
بما كانوا يكسبون) أي من الأعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم
إلى ربكم ترجعون) قوله تعالى (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب) يعني التوراة (والحكم) يعني معرفة
أحكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أي الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا وأورثهم أموال قوم
فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) أي على عالمي زمانهم قال ابن عباس
لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم (وآتيناهم بينات من الأمر) أي بيان
الحلال والحرام وقيل العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره (فما اختلفوا إلا من بعد ما
جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهاهنا صار
مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وإنما كان مقصودهم منه
طلب الرياسة والتقدم ثم إنهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (إن ربك يقضي بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أي على طريقة ومنهاج وسنة بعد
موسى (من الأمر) أي من الدين (فاتبعها) أي اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)
يعني مراد الكافرين وذلك أنهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك قال تعالى
(إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا إن اتبعت أهواءهم (وإن الظالمين
بعضهم أولياء بعض) يعني أن الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة (والله ولي المتقين) أي
ناصرهم في الدنيا ووليهم في الآخرة (هذا) يعني القرآن (بصائر للناس) أي معالم للناس في الحدود

(وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى ا[illegible]
انكار الحسبان (اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم (أن [illegible]
نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فأولهما الضمير والثاني الكاف في (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التي هي [illegible]
محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد سواء علي وحمزة وحفص بالنصب على الحال من
الضمير في نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الأعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أي سواء في [illegible]
ومماتهم والمعنى انكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على [illegible]
وأولئك على اقتراف السيئات ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة [illegible]
انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة في الرزق والصحة وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يصلي ذا[illegible]
الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعر[illegible]



الفريقين أنت (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون اذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد في مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلي المؤمنين ونخزي الكافرين (وخلق الله السموات والأرض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه (وأضله الله على علم) منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا
(وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلي (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه [illegible]
بالتخفيف حمزة وعلي وحفص وغيرهم بالتشديد قال الشيخ متابعة الهوى [illegible] في مخالفته فنعم ما قال اذا طالبتك النفس [illegible]
وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما هواك عدو والخلاف صديق (وقالوا ما هي) أي ما [illegible]
حياة ثانية (الا حياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون نطفا
أمواتا ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا
يقول بالتناسخ أي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيا به (وما يهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي
هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبض الأرواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم
بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر

والاحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أي ا[illegible]
المعاصي والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت في نفر من مشركي [illegible]
المؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (سواء [illegible]
ومماتهم) معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا المعنى أن
المؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان
الحالين في الحال والمآل (ساء ما يحكمون) أي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل [illegible]
مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب [illegible]
بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية (وخلق الله السموات والأرض بالحق) أي
بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا [illegible]
العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات [illegible]
قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا [illegible]
لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك أن العرب [illegible]
الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيئا أحسن من الأول رموا الأول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل [illegible]
هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) أي علما منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق [illegible]
أنه ضال قبل أن يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على [illegible]
غشاوة) أي ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد أن أضله الله (أفلا [illegible]
قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حين
أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعني منكري البعث (ما هي الا حياتنا الدنيا) أي [illegible]
حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أي يموت الآباء ويحيا الأبناء وقيل تقديره نحيا ونموت (و[illegible]

ما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) وما يقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن
ى نافيه من ذكر البعث (بينات ما كان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه فى زعمهم حجة (الا أن قالوا ائتوا بآبائنا) أى أحيوهم
ن كنتم صادقين) فى دعوى البعث وحجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع
ى أنها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) فى الدنيا (ثم يميتكم) عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم
يامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة (لا ريب فيه) أى فى الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر فى الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء وكل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا (هذا كتابنا) أضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان أعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم
[تعمل]ون) أى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فأما الذين آمنوا
[وعم]لوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم
[يأتـ]كم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان

---

ى وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار (وما لهم بذلك من علم) أى لم يقولوه عن علم علموه
(ان هم الا يظنون) ه (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذينى
ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار وفى رواية يؤذينى ابن آدم ويقول يا خيبة
الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فانى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفى رواية يسب
ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر
وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع
الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من
الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل فى الحقيقة للامور التى يضيفونها الى
الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه
تقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم ۞ قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكرى البعث احتجوا بأن قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا
ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعنى فى ذلك اليوم يظهر
خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أى باركة على الركب
وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسى ان فى القيامة ساعة هى عشر سنين
يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادى ربه لا أسألك الا نفسى (كل أمة تدعى الى كتابها) أى
الذى فيه أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى من خير وشر (هذا كتابنا) يعنى
ديوان الحفظة فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم أولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا
قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق
عليكم بالحق) أى يشهد عليكم ببيان شاف كأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أى
نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح
منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من
أعمال بنى آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) أى جنته (ذلك هو الفوز المبين) أى الظفر الظاهر (وأما الذين
كفروا) أى يقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) يعنى آيات القرآن (فاستكبرتم) أى عن الايمان بها
(وكنتم قوما مجرمين) يعنى كافرين متكبرين ۞ قوله عز وجل (واذا قيل ان وعد الله حق) أى البعث

كائن (والساعة لا ريب فيها) أى لاشك فى انها كائنة (قلتم ما ندرى ما الساعة) أى أنكرتموها وقلتم (ان نظن الا ظنا) أى ما نظن ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) أى انها كائنة (وبدا لهم) أى فى الآخرة (سيئات ما عملوا) أى فى الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم (وحاق بهم) أى نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أى ما لكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) أى هذا الجزاء (بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) يعنى حين قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل (وله الكبرياء) أى وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (فى السموات والارض) وحق لمثله أن يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبى سعيد وأبى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعنى عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقانى ٧ وأبو مسعود رضى الله عنهما يقول الله عز وجل العز ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيأ منهما عذبته ولابى داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ٭ شرح غريب ألفاظ الحديث قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له فى انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه فى ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغى ان يشاركه فيهما أحد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التى لا تليق بغيره والله أعلم

﴿تفسير سورة الاحقاف وهى مكية﴾

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهى أربع وثلاثون آية وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى بالعدل (وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة وهو الاجل الذى ينتهى اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) أى خوفوا به فى القرآن من البعث والحساب (معرضون) أى لا يؤمنون به (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك

والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها أو الساعة حرًّا عطف على وعد الله (لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة) أى شئ الساعة (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين وبدا لهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيئات ما عملوا) قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا ولقاء جزائه (ومأواكم النار) أى منزلكم (وما لكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها) لا يخرجون حمزة وعلى (ولا هم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب (وله الكبرياء فى السموات والارض) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض (وهو العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه ﴿سورة الاحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) ملتبسا بالحق (وأجل مسمى) وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض) أى شئ خلقوا مما فى الارض ان كانوا آلهة (أم لهم شرك

في السموات) شركة مع الله في خلق السموات والارض (ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) أي أبدا (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي الاصنام لعبدتها (وكانوا) أي الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون ما دعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام في من أضل انكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شيء ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا والى أن تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا الاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما أسند اليهم ما يسند الى أولي العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم وصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قال الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أي بادؤه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر أمره في البطلان (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه أي اختلقه وأضافه الى الله والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) أي ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه (هو أعلم بما تفيضون فيه) تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بيني وبينكم) يشهد لي بالصدق ويشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى اني لست بأول مرسل فتنكروا نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر

في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (أو أثارة من علم) أي بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل رواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم قيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض (ان كنتم صادقين) أي في أن لله شريكا (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شيء يسألونها (الى يوم القيامة) يعني لا تجيب أبدا ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعني لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أي جاحدين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) أي اختلق القرآن من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) أي لا تقدرون أن تردوا عني عذابه ان عذبني على افترائي فكيف أفتري على الله من أجلكم (هو أعلم) أي الله أعلم (بما تفيضون فيه) أي تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بيني وبينكم) أن القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أي في تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به ﴿ قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أي بديعا (من الرسل) أي لست بأول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به فأنزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فبين ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من

ومانى مايفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا فى قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فى ما أدرى ما وما فى حيزه (ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومابال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا (على مثله) الضمير للقرآن أى مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد بنحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) فالواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أ أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن

---

الانصار وكانت ايت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله أكرمه فقلت بأبى أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لارجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى قالت فوالله لا أزكى بعده أحدا يا رسول الله قالت وأريت لعثمان فى النوم عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عمله وفى رواية غير البخارى قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم وقيل فى معنى قوله ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وأن من كذبه فى النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التى رأيت فسكت فأنزل الله هذه الآية وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك فى مكانى أم أخرج أنا وأنتم الى الارض التى رفعت لى وقيل لا أدرى الى ماذا يصير أمرى وأمركم فى الدنيا أما أنا فلا أدرى أأخرج كما أخرجت الانبياء من قبلى أم أقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلى وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدرى أتخرجون معى أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدرى ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أى شئ يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم أخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال فى أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأعلمه ما يصنع به وبأمته وقيل معناه لا أدرى الى ماذا يصير أمرى وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وأمته على سائر الامم ۞ وقوله (ان أتبع الا ما يوحى الى) معناه ما أتبع غير القرآن الذى يوحى الى ولا أبتدع من عندى شيأ (وما أنا الا نذير مبين) أى أنذركم العقاب وأبين لكم الشرائع (قل أرأيتم) أى اخبرونى ماذا تقولون (ان كان من عند الله) يعنى القرآن (وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) أى انه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) أى عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) واختلفوا فى هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ما روى عن أنس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى أرض يخترف النخل فأتاه وقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أى شئ ينزع الولد الى أبيه ومن أى شئ ينزع الى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن آنفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت

السّم أضل الناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أي لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (واذ لم يهتدوا به) العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وقولهم افك قديم أي كذب متقادم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) أي التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو في الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول (لينذر) أي الكتاب لتنذر حجازي وشامي (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) في محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) في القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة التي دل عليها أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفي أي وصيناه بأن يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم أي وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن أي بأمر ذي حسن فهو في موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وبفتح الكافين حجازي وأبو عمرو وهما لغتان في معنى المشقة وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة المصدر أي حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت

---

الحوت وأما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد في رواية فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله أخرجه البخاري في صحيحه (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال الراوي لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن أنه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين ۞ قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعني من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم ۞ قال الله تعالى (واذ لم يهتدوا به) أي بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) أي كذب متقدم (ومن قبله) أي من قبل القرآن (كتاب موسى) يعني التوراة (اماما) أي جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) أي من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعني القرآن (مصدق) أي للكتب التي قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعني مشركي مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره ۞ قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (حملته أمه كرها) يعني حين أثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعني ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا

للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضي الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصاله يعقوب والفصل كالفطم والفطام بناء ومعنى (حتى اذا بلغ أشده) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفى السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعون (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني) ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هي الصلوات الخمس (وأصلح لي في ذريتي) أي اجعل ذريتي موقعا للصلاح ومظنة له (اني تبت اليك) من كل ذنب (واني من المسلمين) المخلصين (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) حمزة وعلي وحفص يتقبل ويتجاوز وأحسن غيرهم (في أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمني الامير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر رضي الله عنهم (الذي كانوا يوعدون) في الدنيا (والذي قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبي بكر لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضي الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله .

فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) أي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة الى أربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وذلك أنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى أبو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبي آخر الزمان فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) أي بالايمان والهداية وقال علي بن أبي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في أبي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان أسلم أبواه غيره وأوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس أجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا أعانه الله عليه ودعا أيضا فقال (وأصلح لي في ذريتي) فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابي بكر اسلام أبويه أبوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبي عتيق محمد هؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبي بكر ۞ وقوله (اني تبت اليك) أي رجعت اليك الى كل ما تحب (واني من المسلمين) أي وأسلمت بقلبي ولساني (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن والاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ونتجاوز عن سيآتهم) فلا يؤاخذهم بها (في أصحاب الجنة) أي مع أصحاب الجنة (وعد الصدق) أي الذي وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيآتهم وعد صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذي كانوا يوعدون) أي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (والذي قال لوالديه) يعني اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث

(أف لكما) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان أي هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما (أتعدانني أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم أحد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن) بالله وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث (حق) صدق (فيقول) لهما (ما هذا) القول (الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أي لأملأن جهنم (في أمم) في جملة أمم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكي وبصري وعاصم (وهم لا يظلمون) أي وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلق بمحذوف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أي يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وقوله (واستمتعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أي باستكباركم وفسقكم

بعد الموت (أف لكما) وهي كلمة كراهية (أتعدانني أن أخرج) أي من قبري حيا (وقد خلت القرون من قبلي) أي فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أي يستصرخان بالله عليه ويقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق) أي بالبعث (فيقول ما هذا) أي الذي تدعونني اليه (الا أساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيأ من القرآن الا ما أنزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الآية شخصا معينا بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فأبى وأنكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) أعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أي وجب عليهم العذاب (في أمم) أي مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى أسفل (وليوفيهم أعمالهم) أي جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) ۞ قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه في الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الذي فيه ذل وخزي (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بأمرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الايمان والثاني الفسق وهو المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح

﴿فصل﴾ لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك

فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم
عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله (ق) عن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز
شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد
فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نؤتى باللحيم وفي رواية أخرى قالت انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال
ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة
ما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار
وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا عن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبز
الشعير أخرجه الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله ما لم يخف أحد
وأوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ولقد أتى علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام الا شيء يواري
إبط بلال (خ) عن أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما
كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى
عورته (خ) عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف أتي بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب
ابن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي رأسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال
قتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشينا أن تكون
طيباتنا عجلت لنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وعن جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما
معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت أما
تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴿ قوله تعالى (واذكر أخا عاد) يعني هودا عليه السلام (إذ
أنذر قومه بالاحقاف) قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في
حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم و
كانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر
والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل
الاحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) أي مضت الرسل (من بين يديه) أي من قبل هود (ومن
خلفه) أي من بعده (ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى ان هودا قد أنذرهم
وأعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا أجئتنا لتأفكنا)
أي لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عبادتها (فأتنا بما تعدنا) أي من العذاب (ان كنت من الصادقين) في
أن العذاب نازل بنا (قال) يعني هودا (انما العلم عند الله) يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم
ما أرسلت به) يعني من الوحي الذي أنزله الله علي وأمرني بتبليغه اليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون)
قدر العذاب الذي ينزل بكم (فلما رأوه) يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) أي
رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك
انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا

(واذكر أخا عاد) أي هودا (إذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج عن
ابن عباس رضي الله عنهما هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين
يديه ومن خلفه) من قبل
هود ومن خلف هود
وقوله وقد خلت النذر
من بين يديه ومن خلفه
وقع اعتراضا بين أنذر قومه
وبين (ألا تعبدوا الا الله
اني أخاف عليكم عذاب
يوم عظيم) والمعنى واذكر
انذار هود قومه عاقبة
الشرك والعذاب العظيم
وقد أنذر من تقدمه من
الرسل ومن تأخر عنه مثل
ذلك (قالوا) أي قوم
هود (أجئتنا لتأفكنا)
لتصرفنا والافك الصرف
يقال افكه عن رأيه (عن
آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا
بما تعدنا) من معاجلة
العذاب على الشرك (ان
كنت من الصادقين) في
وعيدك (قال انما العلم)
بوقت مجيء العذاب (عند
الله) ولا علم لي بالوقت الذي
يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم
ما أرسلت به) اليكم
وبالتخفيف أبو عمرو أي
الذي من شأني أن أبلغكم
ما أرسلت به من الانذار
والتخويف (ولكني أراكم
قوما تجهلون) أي ولكنكم
جاهلون لا تعلمون ان
الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما
رأوه) الضمير يرجع الى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عارضا) اما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء
(مستقبل أوديتهم)

(قالوا هذا عارض ممطرنا) روى ان المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا واضافته مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) أى قال هود بل هو يدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بأمر ربها) رب الريح (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) عاصم وحمزة وخلف أى لا يرى شئ الا مساكنهم غيرهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائى من كان (كذلك نجزى القوم المجرمين) أى مثل ذلك نجزى من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركى العرب عن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية أى فيما ما مكناكم فيه الا ان ان أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى ان الاصل فى مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بانا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذى أو نكرة



موصوفة (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أى آلات الدرك والفهم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم أكد بقوله (ولقد أهلكنا

---

تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله ردا عليهم (بل هو ما استعجلتم به) يعنى من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شئ بأمر ربها) يعنى تهلك كل شئ مرت به من رجال عاد وأموالهم قال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وأمر الله الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فأهلكهم الله بهذا القدر وفى هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد فى رواية وكان اذا رأى غيما عرف فى وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت شيأ عرف فى وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمننى ان يكون فيه عذاب وقد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما أدرى لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفى رواية أخرى قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقولها سرى عنه أى كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن ﴿ قوله تعالى (فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم) قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية خالية من السكان ليس فيها أحد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (كذلك نجزى القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعنى مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعنى انا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم فى أمر الدين فما استعملوها الا فى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) يعنى انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيأ (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا

ما حولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة يعنى أهلكنا قرى ديار ثمود وهى الحجر وسدوم وهى قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعنى بينا لهم الحجج والدلائل على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر (فلولا) يعنى فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعنى يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم ﴿ قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الآية

﴿ذكر القصة فى ذلك﴾

قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيزيدهم ذلك فى جرأتهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقى من سفهاء ثقيف وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جمح فقال لها ماذا لقينا من أحمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت يا عداس وما دينك فقال أنا نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابنى ربيعة أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال

ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما يتقرب به الى الله تعالى أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذوا الراجع الى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين

الارض خير من هذا الرجل انه أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي فقال له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك
فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس
من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين
اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته
ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن نحوه وهو حديث مخرج في الصحيحين من
حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من
أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حمزة بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم
أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز
وجل اليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه اني أمرت
أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن
مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله صلى
الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود
اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت
على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لا أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون
مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال لي نمت فقلت
لا والله يا رسول الله قد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا
فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب
بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول
الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما
يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت
فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتيل بينهم فتحاكموا الي فقضيت
بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة
فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا أن ابن
مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فأفزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من
الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ
بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات بأسانيده وأجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال
قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ما صحبه منا أحد ولكنا كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر
ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر
ليلة بات بها قوم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار
نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف
لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال
الشعبي وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم في صحيحه وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروي أن الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان أولئك الجن كانوا يهودا لانهم قالوا أنزل من بعد موسى والجن مثل الانس ففيهم النصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (يستمعون القرآن فلما حضروه) الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل أنه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا أنصتوا) يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا السمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضي) أي فرغ من قراءته (ولوا) أي رجعوا (الى قومهم منذرين) يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا (لما بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك أن كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) يعني يهدي الى الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة (يا قومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على أنه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الى الانس والجن قبله (وآمنوا به) فان قلت قوله تعالى أجيبوا داعي الله أمر باجابته في كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان أهم أقسام المأمور به فذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على أصلها وذلك ان يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا جرت عليهم أحكام الاسلام فمن أتى بذنب منه أو بقي تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكي عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس

(يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضروه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن أي كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا نبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا على شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضي) أي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى قومهم منذرين) اياهم (قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدي الى الحق) الى الصحيح (والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من

الصحيح وهو قول ابن عباس والمذهب مالك وابن أبي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال أرطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعني أنصارا يمنعونه من الله (أولئك) يعني الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال مبين) ﴿ قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) يعني أنه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على أن يحيي الموتى) يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من ابداعه وخلقه والكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شيء قدير) يعني من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على كل شيء (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ﴿ قوله عز وجل (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء بأولي العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا في أولي العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم بقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم أولو العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها لم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لأصبرن كما صبروا ولأجهدن ولا قوة الا بالله ﴿ قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) يعني اصبر على أذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب

أبو حنيفة رضي الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) أي لا ينجي منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقول عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قالت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على أن يحيي الموتى بلى) هو جواب للنفي (انه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم في الدنيا (فاصبر كما صبر أولو العزم) أولو الجد والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد بأولي العزم ما ذكر في الاحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر

(كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أى انهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول (فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (الا القوم الفاسقون) أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه قال عليه السلام من قرأ سورة



العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) يعنى من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) يعنى فى الدنيا (الا ساعة من نهار) يعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) أى هذا القرآن وما فيه من البيان والهدى بلاغ من الله الحكيم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب اذا نزل (الا القوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما فى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

## ﴿تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية وهى ثمان وثلاثون آية﴾

## ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) يعنى أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالاعمال ما كانوا يعملون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فأخبر بان الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها لم تكن لله ولا بأمره انما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول فى الاسلام أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين (و) الذين (آمنوا بما نزل على محمد) يعنى القرآن الذى أنزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ (كفر عنهم سيآتهم) يعنى ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (وأصلح بالهم) يعنى حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسليط على أعدائهم فى الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم يعنى قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر ...

الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا ﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه يصد صدودا أى أعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب أو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش أو من الانصار أو من أهل الكتاب أو عام (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الايمان به لتعظيم شأنه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله (وهو الحق من ربهم) أى القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كفر عنهم سيآتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد وقيل

(ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الامر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيآت الثاني والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أي يبين الله (للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم (فاما منا بعد) أي بعد أن تأسروهم (واما فداء) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أي فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور في الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق أو المراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء أن يفادي باساراهم أسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعي رحمه الله تعالى للامام أن يختار أحد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن

وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعني أن هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعني الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعني القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال أعمال الكفار وتكفير سيآت المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير في أمثالهم راجع الى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو أنه راجع الى الفريقين على معنى أنه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس ﴿قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا أن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان أشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف أعضاء البدن فاذا أبين عن بدنه كان أسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء (حتى اذا أثخنتموهم) يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشيء الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعني في الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أي يشد به (فاما منا بعد واما فداء) يعني بعد الاسر اما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما أن تفادوهم فداء

﴿فصل في حكم الآية﴾ اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي وأصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة وبالفداء أن يفادي باسراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور عنه أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى أن الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه في سارية من سواري

(حتى تضع الحرب أوزارها) أثقالها وآلاتها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بان يسلموا  وحتى لا يخلو من ان يتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على

المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من ا... يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ... دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان من دين أبغض الي من ... أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد أبغض الي من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد كلها الي وان ... أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه الشافعي في مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) ... أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعني حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ... الانسان فسمي الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى ... حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بان يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند ... عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ... يقاتل آخر أمتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا أو يسالموا ... حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم (ذلك) يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعني ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم (ولكن) يعني ولكن أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) يعني فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب (والذين قتلوا في سبيل الله) يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله (فلن يضل أعمالهم) يعني فلن ... بل يوفيهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد ... المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعني أيام حياتهم في الدنيا الى أرشد الامور وفي الآخرة الى الدرجات العلى (ويصلح بالهم) أي يرضى أعمالهم ويقبلها (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) بين لهم منازلهم في الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب ﴿ قوله عز وجل ...

عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويأسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر أو افعلوا بهم ذلك فهو في محل النصب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) أي المؤمنين بالكافرين ... وتمحيقا للكافرين (والذين قتلوا) بصري وحفص قاتلوا غيرهم (في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم) الى طريق الجنة أو الى الصواب في جواب منكر ونكير (ويصلح بالهم) يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يا أيها

الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على الإسلام (والذين كفروا) فى موضع رفع بالابتداء والخبر (فتعساً لهم) وعطف قوله (وأضل أعمالهم) على الفعل الذى نصب تعساً لان المعنى فقال تعساً لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذلك) أى التعس والضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) أى القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بان الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم فالله مولى العباد جميعاً من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كما تأكل الانعام) فى معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أى وكم من قرية وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أهلكناهم

الذين آمنوا ان تنصروا الله) يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه (ينصركم) يعنى على عدوكم (ويثبت أقدامكم) يعنى عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعساً لهم) قال ابن عباس يعنى بعداً لهم وقال أبو العالية سقوطاً لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعساً اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعاً اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا اشارة جلية وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت أقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر أيضاً يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فأخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل أعمالهم) يعنى أبطل أعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعنى فأبطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه اذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الآخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بأن) أى بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وان الكافرين لا مولى لهم) يعنى لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز كذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكافر فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم ۞ قوله تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله (أهلكناهم) ولم يقل

أهلكناهم (فلا ناصر لهم) يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى إلى الله وأحب بلاد الله إلي ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فأنزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين (واتبعوا أهواءهم) يعني في عبادة الأوثان ۞ قوله عز وجل (مثل الجنة التي وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولا ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابهة وقيل المثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل المثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار (فيها) يعني الجنة التي وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعني غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء وأسن إذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعني كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الأرجل بالدوس ولا الأيدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد أخرجه الترمذي حديث حسن صحيح (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فأما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما في بلاد الأرمن فسيحان نهر أردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فأما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثاني وهو الأصح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الأحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه ۞ وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) في ذكر الثمرات بعد المشروب إشارة إلى أن مأكول أهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لأنها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) فإن قلت المؤمن المتقي لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم أن يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لأن الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم إليها وجواب آخر وهو أن المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فإن مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه ۞ قوله تعالى (كمن هو خالد في النار) يعني من هو في النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميما) يعني شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت إذا أدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم (ف) إذا شربوه (فقطع أمعاءهم) يعني فخرجت من أدبارهم والأمعاء جمع معى وهو جميع ما في البطن من الحوايا قال الزجاج كمن هو خالد في النار راجع إلى ما تقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ومن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الحميم

فلا ناصر لهم) أي فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أفمن كان على بينة من ربه) أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشأن (التي وعد المتقون) عن الشرك (فيها أنهار) داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار أو حال أي مستقرة فيها أنهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال أسن الماء إذا تغير طعمه وريحه أسن مكي (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) أي ما هو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدأ خبره (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) حارا في النهاية (فقطع أمعاءهم) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من

على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ﴿ قوله تعالى (ومنهم) يعني ومن هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه (حتى اذا خرجوا من عندك) يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعني المنافقين (للذين أوتوا العلم) يعني من الصحابة (ماذا قال آنفا) يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر أي ابتدأته قال مقاتل وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعني المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم في الباطل (والذين اهتدوا) يعني المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدي الذي ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله اياهم الى الايمان (زادهم هدى) يعني انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم (وآتاهم تقواهم) يعني وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم يعني انه تعالى بين لهم التقوى ﴿ قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة) يعني الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) أي أماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبعدا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فكأن قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ان ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شيء يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفي رواية ويظهر

وهو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا) بالايمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) أي بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون الا الساعة) أي ينتظرون (أن تأتيهم) أي اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله

الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل (خ) عن أبي هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة ﴿ وقوله تعالى (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعني فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت (فاعلم أنه لا اله الا الله) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وأنه لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر وأجيب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أي دم على ما أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم أنه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذي لا اله الا هو (واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به في ذلك (م) عن الاغر المزني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى أستغفر في اليوم مائة مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطى وسبب ذلك ما أطلعه الله عليه من أحوال أمته بعده فأحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى أنه قد شغل بذلك وان كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبي خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل في الآية استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعني من غير أهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة أو الى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل

عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قال الاخفش والتقدير فأنى لهم ذكراهم اذا جاءتهم (فاعلم أنه) ان الشان (لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفي شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب فامره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه غير ان ذنب الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر وقيل الفاآت في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (والله يعلم متقلبكم) في معايشكم ومتاجركم (ومثواكم) ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وأن يستغفر وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر

الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات و بطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى القبور المعنى أنه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى ٥ قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد فى سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكى نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) يعنى نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك) يعنى شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) يعنى كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فأولى لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم فى التهديد ويلك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) وعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه (فاذا عزم الامر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله ومجازه كقولهم جاء الامر وجاء الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا بما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أى فلعلكم (ان توليتم) يعنى أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه (ان تفسدوا فى الارض) يعنى تعودوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو معقد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى القرابة والنسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عز وجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس أن تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الا الفساد فان قلت عسى طمع وترج

---

...رة) فيها الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذكر فيها القتال) أى أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فاذا عزم الامر) فاذا جد الامر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر

وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجى المتوقع
وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشرى معناه انه لما عهد منكم أحقاء بأن
يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان ياهؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم
أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا
(أولئك) اشارة الى من اذا تولى أفسد فى الارض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعنى أبعدهم من رحمته
وطردهم عن جنته (فأصمهم) يعنى عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) يعنى عن طريق
الهدى فلما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة
العمى وان كان لهم اسماع وابصار فى الظاهر (أفلا يتدبرون القرآن) يعنى يتفكرون فيه وفى مواعظه
وزواجره وأصل التدبر التفكر فى عاقبة الشئ وما يؤل اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب
وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب
أقفالها) يعنى بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطى فعل الطاعة يقال
فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل
على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق
جائز عندنا لان الله أمر بالايمان لمن سبق فى علمه انه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه
وقيل ان قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التأسى وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله
تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم
على ترك ما هم فيه من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله
أعلم بمراده ٭ وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا
يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال الشاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله
يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة
تابعى من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك
٭ قوله عز وجل (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) يعنى رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ما تبين لهم الهدى)
يعنى من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون آمنوا ثم
كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعنى زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا (وأملى لهم) قرئ بضم الالف
وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعنى أمهلوا ومد لهم فى العمر وقرئ وأملى لهم بفتح الالف
يعنى وأملى لهم الشيطان بان مد لهم فى الامل فان قلت الاملاء والامهال لا يكونان الا من الله لانه
المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملى هو الله
تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول هو
الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما أسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده
فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر
(ذلك) اشارة الى التسويل والاملاء (بأنهم) يعنى بان أهل الكتاب أو المنافقين (قالوا للذين كرهوا ما نزل
الله) وهم المشركون (سنطيعكم فى بعض الامر) يعنى من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والقعود عن

ان توليتم (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فأصمهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى (أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك والمراد بعض قلوب وهى قلوب المنافقين وأضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) أى المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشيطان سول) زين (لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الان نحو ان زيدا عمرو مر به (وأملى لهم) ومد لهم فى الآمال والامانى وأملى أبو عمرو أى أمهلوا ومد فى عمرهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أى المنافقون قالوا لليهود (سنطيعكم فى بعض الامر) أى عداوة محمد والقعود عن نصره

بالجهاد ممعوا النهى دعنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال (والله يعلم أسرارهم) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعنى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعنى ذلك الضرب (بأنهم) يعنى بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) يعنى ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعنى كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأحبط أعمالهم) التى عملوها من أعمال البر لانهم لم تكن لله ولا بأمره (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وهم المنافقون (أن لن يخرج الله أضغانهم) يعنى يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) لما قال تعالى أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فكأن قائلا قال لم يخرج أضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لأريناكهم أى لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهى ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفنا كهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذى لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعنى بعلامتهم أى نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شىء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطأ فصرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطأ بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ﴿ ثم قال تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعنى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله ﴿ قوله تعالى (ولنبلونكم) يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعنى انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أى علم الوجود والظهور (ونبلو أخباركم) يعنى نظهرها ونكشفها اليقين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعنى خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعنى من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيئا) يعنى انما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعنى

(والله يعلم أسرارهم) على المصدر من أسر حزقيل وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أى فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بأنهم) بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين (فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) أحقادهم والمعنى أظن المنافقون ان الله تعالى لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين (ولو نشاء لأريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما فى أنفسهم واللام فى فلعرفتهم داخلة فى جواب لو كالتى فى لأريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبلونكم) بالقتال اعلاما لا استعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ فى اظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على الجهاد أى نعلم كائنا ما علمناه أنه سيكون (ونبلو أخباركم) أسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو أبو بكر وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقد مر (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم

ويبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الآخرة لأنها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر
قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار
ومشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
(ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء يعني بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أنتم عليه من الإيمان والطاعة
ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل
الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا أعمالكم بالرياء
والسمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي
والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضرهم مع الإيمان ذنب كما لا
ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من لا
يرى إحباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لأن الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى
أكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروي عن ابن عمر أنه قال كنا نرى أنه لا شيء
من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش
حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على
من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى إبطال النوافل حتى لو دخل في
تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له إبطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لأن
فيه المشقة وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع إلى
حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فأكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيحين
أن سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه إليه قال كل فإني صائم قال لست بآكل حتى تأكل فأكل
وقال مقاتل في معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم نزلت في بني أسد وسيأتي
القصة في تفسير سورة الحجرات إن شاء الله تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر
الله لهم) قيل نزلت في أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا في
وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فإن الله لا يغفر له لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا
المؤمنون (وتدعوا إلى السلم) يعني ولا تدعوا الكفار إلى الصلح ابتداء منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى
الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الأعلون) يعني وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله
تعالى أن الأمر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وإن غلبوا المسلمين في بعض الأوقات (والله معكم)
بالنصرة والمعونة ومن كان الله معه فهو الغالب العالي (ولن يتركم أعمالكم) يعني لن ينقصكم
شيئا من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ۞ ثم حض على
الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن
طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته و
ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره
أشغاله المهمة فهو اللعب وإن أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم)
يعني يؤتكم جزاء أعمالكم في الآخرة (ولا يسألكم أموالكم) يعني أن الله تعالى لا يسأل من العباد
لأجل ابتغاء الأجر عليها بل يأمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه لا

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق أو الرياء (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وتدعوا إلى السلم) وبالكسر حمزة وأبو بكر وهما المسالمة أي ولا تدعوا الكفار إلى الصلح (وأنتم الأعلون) أي الأغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي (والله معكم) بالنصر أي ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم أجر أعمالكم (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) تنقطع في أسرع مدة (وإن تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب إيمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أي لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله أو الرسول وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض

صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كلها في الصدقات إنما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله بها حاجة إنما فرضها الله تعالى في أموال الأغنياء ورد ها على الفقراء فطيبوا بإخراج الزكاة نفسكم وإلى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (إن يسألكموها) الضمير عائد إلى الأموال (فيحفكم) يعني يجهدكم بطلبها كلها والإحفاء المبالغة في المسألة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح (تبخلوا) يعني بالمال فلا تعطوه (ويخرج أضغانكم) يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للأموال قال قتادة علم الله أن الإحفاء بمسألة الأموال يخرج الأضغان (ها أنتم هؤلاء) يعني أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) قيل أراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به إخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعني بما فرض عليه إخراجه من الزكاة أو ندب إلى إنفاقه في وجوه البر (ومن يبخل) يعني بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى (فإنما يبخل عن نفسه) أي على نفسه (والله الغني) يعني عن صدقاتكم وطاعاتكم لأنه الغني المطلق الذي له ملك السموات والأرض (وأنتم الفقراء) يعني إليه وإلى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والآخرة (وإن تتولوا) يعني عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به وألزمكم إياه (يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يعني يكونون أطوع لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده مقال وله في رواية أخرى عن أبي هريرة قال قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة إن شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الفتح وهي مدنية ﴾

(خ) عن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فما لبثت أن سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا وأخرجه الترمذي وزاد فيه وكان في بعض أسفاره بالحديبية (ق) عن أنس قال لما نزلت إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر إلى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله

---

(إن يسألكموها فيحفكم) أي يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح وأحفى شاربه إذا استأصله (تبخلوا ويخرج) أي الله أو البخل (أضغانكم) عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لأن عند مسألة المال تظهر العداوة والحقد (ها أنتم) ها للتنبيه (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أي أنتم الذين تدعون (لتنفقوا في سبيل الله) هي النفقة في الغزو والزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر (فمنكم من يبخل) بالرفع لأن من هذه ليست للشرط أي فمنكم ناس يبخلون به ومن يبخل بالصدقة وأداء الفريضة (فإنما يبخل عن نفسه) أي يبخل عن داعي نفسه لا عن داعي ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (والله الغني وأنتم الفقراء) أي أنه لا يأمر بذلك لحاجته إليه لأنه غني عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب (وإن تتولوا) وإن تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والإنفاق في سبيله وهو معطوف على وإن تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس (ثم لا يكونوا أمثالكم) أي لا يكونوا في الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم

﴿سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ الفتح الظفر
عنوة أو صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى ا
وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي لانها في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة

عليه وسلم لقد أنزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال أما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس وأما هنيئا مريئا فعن عكرمة وأخرجه الترمذي عن قتادة عن أنس قال أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي الليلة آية أحب الي مما على الارض ثم قرأ النبي صلى ا عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن أنس أنه فتح مكة وقال مجاهد أنه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله عز وجل له فان قلت على الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في أخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله وجعل ويسره وسهله بقدرته ولطفه وعن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا وقال الشعبي في فتحا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى لكي يجتمع لك من المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على

والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة (ليغفر لك الله) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة أو كذا لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وغفرانا حديث ما ربه وما تأخر من امرأة زيد

وغفر الله ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل وقيل يجوز
أن يكون الفتح سبب الغفران لانه جهاد العدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل
لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع
ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعنى قبل النبوة وما تأخر يعنى بعدها وهذا على قول من يجوّز الصغائر على
الانبياء وقال عطاء الخراسانى ما تقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من
ذنوب أمتك بدعائك لهم وقال سفيان الثورى ما تقدم من ذنبك ما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعنى كل
شئ لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول أعطى من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه
فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان
النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع منه من سهو
ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له
فاعلمه الله عز وجل بذلك وأنه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة
وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعنى ويهديك الى صراط مستقيم وهو
الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو
الاسلام وقيل معناه ويهدى بك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعنى غالبا ذا عز ومنعة
وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله
تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة
راضية أى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال
متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه
التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب أما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم
النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى
فصح وصف كونه نصرا عزيزا ۞ قوله تعالى (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يعنى الطمأنينة
والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن طمأنينة الا التى فى سورة البقرة
وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو
وذلك أنه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة سببا لثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند
اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذى وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ۞ ثم قال
تعالى (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة
الايمان فى قلوبهم وذلك أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى ايمانهم وقال
ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم
الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى
تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبى هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل
وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهو جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك
زيادة فى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان
المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فأخبره الله عز وجل أن له جنود السموات
والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة

(ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (ويهديك صراطا مستقيما) ويثبتك على الدين المرضى (وينصرك الله نصرا عزيزا) قويا منيعا لا ذل بعده أبدا (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا على يقينهم وقيل السكينة الصبر على أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله (ولله جنود السموات والارض

وبجعلهم وامانته ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل السكينة في قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثاني ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعني بجميع جنوده الذين في السموات والارض (حكيما) يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على أعدائكم ۞ قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) يستدعي تقديره هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على ... تجري من تحتها الانهار وقد تقدم ماروي عن أنس أنه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل الآية التي بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم) فان قلت تكفير السيآت انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيآت والغفر من توابع كون المكلف من أهل الادخال فالمذكر يعني انه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعني ان ذلك كان في علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعني المنافقين والمنافقات من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة وانما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فتقديم المنافق بالذكر أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعني انهم ظنوا ان الله تعالى لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زاد في تعذيبهم واهلاكهم (ولعنهم) يعني وأبعدهم وطردهم عن رحمته (وأعد لهم جهنم) يعني في الآخرة (وساءت مصيرا) يعني ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره وفي التكرير وجهان أحدهما ان الله تعالى ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ثم أعاد ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فيقول فائدة التكرار التأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء وأخر ذكر جنود السموات والارض عن الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبدا فان قلت قال في الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه قلت لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب أن تكون خاتمة الآية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله أخذناهم أخذ عزيز مقتدر ۞

وكان الله عليما حكيما ليدخل وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي ... السموات والارض سلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظانين بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة وفساد يقال فعل سوء أي مسخوط فاسد والمراد ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظاهرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) مكي وأبو عمرو أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها والسوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب في أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (

(إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه إلى الكافة شاهداً على أعمال أمته ومبشراً يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيراً يعني لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ثم بين فائدة الإرسال فقال تعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل إليهم (وتعزروه) يعني وتقووه وتنصروه والتعزير نصر مع تعظيم (وتوقروه) يعني وتعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (وتسبحوه) من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص أو من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلاً) على أن الكناية في ويسبحوه راجعة إلى الله تعالى يعني ويصلوا لله أو يسبحوا الله بالغداة والعشي ﴿ قوله عز وجل (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) يعني إن الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا إنما يبايعون الله لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث أن الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الأكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال إن الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فإذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنهم وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الإمام فخر الدين الرازي يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوهاً وذلك لأن اليد في الموضعين إما أن تكون بمعنى واحد وإما أن تكون بمعنيين فإن قلنا إنها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق إحسانهم كما قال بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان وثانيهما يد الله فوق أيديهم أي نصرته إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه يقال اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والقوة وإن قلنا إنها بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيداً على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وإمرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ﴿ قوله تعالى (فمن

(إنا أرسلناك شاهداً) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (ومبشراً) للمؤمنين بالجنة (ونذيراً) للكافرين من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته (وتعزروه) وتقووه بالنصر (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر جعل الأولين للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أبعد ليؤمنوا مكي وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلاً) الصلوات الأربع (إن الذين يبايعونك) أي بيعة الرضوان ولما قال (إنما يبايعون الله) أكده تأكيداً على طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وإنما يبايعون الله خبر

أن (فمن نكث) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه به الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول
صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر
مع القوم (ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص
والباقون بجاري وشامي (أجرا عظيما) الجنة (سيقول لك) اذا رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن
وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك انه عليه السلام حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا
حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو
البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) هي جمع أهل اعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم من قتل أو هزيمة ضرا حمزة وعلي (أو
أراد بكم نفعا) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى والارض
أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم) زينه الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع بائر
من بار الشيء هلك وفسد أي وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند ا
(ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) أي لهم فأقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان
والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبر
(يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين

نكث فانما ينكث على نفسه) يعني فمن نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث
فان وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعني من البيعة (ف
أجرا عظيما) يعني في الآخرة وهو الجنة في قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ا
ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى ا
حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخر
معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس
انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل ا
المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمر
التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم
عنك (فاستغفر لنا) أي انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم
فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر
النبي صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا) يعني سوأ (أو أر
وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر أو يعجل لهم ا
أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله عز وجل انه ان أراد شيأ من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان ا
تعملون خبيرا) يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم أن لن
الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) يعني ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى أهليهم (وزين
في قلوبكم) يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن
الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان بالشيء ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعني ان
الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فأين
معهم انظروا ما يكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائر
هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان
والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر
أعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله
حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر

والأرض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) ۞ قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعني الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) يعني اذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ (ذرونا نتبعكم) يعني الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا فلم يكن لهم هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعني يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير منهم أحدا الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا والقول الاول أصوب (قل) أي قل لهم يا محمد (لن تتبعونا) يعني الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيأ (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله ۞ قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه جعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم أولي بأس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي طاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذا غطفان واستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله أولي بأس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولي بأس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مقيدا بقيد وهو ان يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لابد

(وكان الله غفورا رحيما) سبقت رحمته غضبه (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى مغانم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) كلام الله حمزة وعلي أي يريدون أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ (قل لن تتبعونا) الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كذلكم قال الله من قبل) من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أي لم يأمركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الا قليلا) الا شيأ قليلا يعني مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أعظم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقيل

منه لان من أسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله
عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي
في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معهم أو منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الاذن
لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من
وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتفق له حرب مع قوم أولي بأس شديد فهو
مسلم لان الحرب كانت متفقة مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو بأس شديد فثبت بهذا البيان أن
الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبا بكر دعاهم
مسيلمة الكذاب وأن عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على
الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار ۞ وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة
وقوع أحد الامرين اما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا)
تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعني عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعني النار ولما نزلت هذه
قال أهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج) يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك
أصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز
والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض
السعال الشديد والطحال الكبير والقبن لا يقدرون على الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة
ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج
من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم
ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرب
الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذر
عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد وغيره
جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (
عذابا أليما) يعني في الآخرة ۞ قوله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعني
أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن
قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فأخبرته فقال سعيد كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا
من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلمتموها فأنتم أعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة
أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم
وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من
فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير أنه
سئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده وتحت الشجرة وهي
جميعا غير جد بن قيس الانصاري اختبأ تحت بطن بعيره زاد في رواية قال بايعناه على أن لا نفر
الموت وأخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة

هم فارس وقد دعاهم عمر رضي الله عنه (تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لان فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفي الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فان تطيعوا) من دعاكم الى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب أن يكون الداعي مفترض الطاعة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أي عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) في الآخرة (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفى الحرج عن ذوي العاهات في التخلف عن الغزو (ومن يطع الله ورسوله) في الجهاد وغير ذلك (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعرض عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) ندخله ونعذبه مدني وشامي (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم اليوم خير أهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله انى أخاف على نفسى قريشا وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها منى عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بنى أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بنى سلمة قال جابر فكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب ﴿ وقوله تعالى (فعلم ما فى قلوبهم) يعنى من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم ما فى قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فأنزل السكينة) يعنى الطمأنينة (عليهم) يعنى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفى هذه الآية لطيفة وهى ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة يدل عليه قوله تعالى فى الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء فى فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لانه تعالى علم ما فى قلوبهم من الصدق والايمان فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب فى قوله فعلم ما فى قلوبهم قلت قوله فعلم ما فى قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما فى قلوبهم من الصدق اشارة الى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التى عندها علم الله بصدقهم والفاء فى قوله فأنزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما فى قلوبهم رضى عنهم فأنزل السكينة عليهم ﴿ وقوله تعالى

خراش بن أمية الخزاعى رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال انى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى اياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين ألفا وأربعمائة (فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوه عليه (فأنزل السكينة عليهم) أى الطمأنينة والامن بسبب الصلح على

(وأثابهم فتحا قريبا) يعني خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات عقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعني منيعا كامل العز غنيا عن إعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولأعدائكم بالهلاك على أيديكم ﴿قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعني الغنائم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني مغانم خيبر وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وإنما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدي الناس عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل المعنى أن الله عز وجل كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ما وعدكم الله يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في إخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا إلى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يعني ويهديكم إلى دين الإسلام ويثبتكم ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

## (ذكر غزوة خيبر)

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذانا كف عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس قال فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الأكوع قال خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا

فثبت الأقدام إن لاقينا * وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قالوا أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * إذا الحروب أقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال قد علمت خيبر أني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله

قلوبهم (وأثابهم) جازاهم (فتحا قريبا) هو فتح خيبر عقب انصرافهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هي مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وكان الله عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيما) فيما يحكم فلا يعارض (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هي ما أصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) الغنائم يعني مغانم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله

بعثت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * إذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال علي رضي الله عنه

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فأعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فأتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد ثقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج إليه علي بن أبي طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله إن شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الأموال قال محمد بن إسحق فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن أبي الحقيق فأصاب سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بها بلال وبأخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منها فسألها ما هو فأخبرته الخبر وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك أأقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة فأجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني أنظر إلى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال

وخرج القوم الى أعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فأصبناها عنوة فجمع السبي فجاء
يا رسول الله أعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى ا
عليه وسلم فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه بها
فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم
وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم
فأهدتها له من الليل وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به وبسط نطعا فجعل
الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال وأحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا
في الحمر الأهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكفئوا القدور
ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيئا فقال أناس انما نهى عنها لأنها لم تخمس وقال آخرون انما نهى
(ق) عن أنس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء
صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لأقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علي
أتقتلها قال لا فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن
الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال
أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم (خ) عن عائشة
لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر أن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الأرض لما ظهر
ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فأراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى ا
أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى ا
ذلك ما شئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن
وأن يسيرهم ويخلوا له الأموال ففعل ثم ان أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
النصف فعمل على أنا اذا شئنا أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين و
فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى
عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودي شاة مصلية وقد سألت
عن أي الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر ال
ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فأخذها فلاك منها قطعة لم يسغها
ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأساغها وأما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فا
فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان
فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من أكلته التي أكل وقال لأم بشر ما زالت ا
خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى
عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة عن عبد الله بن سلمان أن رجلا من أصحاب
صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون
رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربح مثله أحد من أهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت

بارك أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبو داود ﴿قوله تعالى (وأخرى لم تقدروا عليها) يعني وعدكم أنه فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها فافتتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه الى آخر الزمان (وكان الله على كل شيء قديرا) أي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أي أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الادبار) أي لانهزموا منكم (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التي قد خلت من قبل) يعني هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) ﴿قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ما روي عن أنس ابن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلما فاستحياهم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية أن الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيديكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا) ﴿قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

﴿ذكر صلح الحديبية﴾ روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتاه عينه الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس أترون أن أميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت لا نريد

الله بها خبر المبتدأ (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لولوا الادبار) لغلبوا وانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يلي أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي (التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (ببطن مكة) أي بمكة أو بالحديبية لأن بعضها منسوب الى الحرم (من بعد أن أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالياء أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

قتل أحد ولا حرب فإن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد
أحد ولا حرب فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم إن
خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة
الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي
يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت
القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يدعوني قريش
خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل
بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكا الناس إلى النبي
الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن
النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينا هم
كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ
المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا
معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس فإن
أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم
على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا
فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعر
لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا
النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست
قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي
وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آ
آتيه فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند
ذلك يا محمد أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن
فإني والله لا أرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي
امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذي
ولم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على
رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول
الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة
رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة قد
الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبل وأما
منه في شيء ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى
عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره
كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له فرجع عروة
أصحابه وقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله
ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها

وجلده

بجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال قد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل إليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى فقال يا معشر قريش إني قد رأيت ما لا يحل صد الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فإنما أنت رجل أعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظماً له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين من جاء مسلماً وروى عن البراء قصة الصلح وفيها فقالوا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله قال ثم قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبداً قال فأرنيه فأراه إياه فمحاه النبي بيده وفي رواية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس أن قريشاً صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم واشترطوا أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ورجعنا إلى حديث الزهري قال فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى

بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الى فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا أصالحك على شيء أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجز
لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أي معشر
المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي
الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من
المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر الى
جنب أبي جندل وجعل يقول اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدني السيف منه قال عمر
ورجوت أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بأبيه وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا
لا يشكون الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى
يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهري
في حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا
في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري
قلت أولست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك
آتيه وتطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتي البيت ويطوف
به قال بلى أفأخبرك انه آتيه العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ
من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل
منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي
من الناس قالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو
حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا
فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم
الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين
قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم
ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم قالوا
لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لأبي
جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين كانتا له في
الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء
وأمرهم ان يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد
رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق
الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهما فأتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا
أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين

فرجا بحريجاهم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير
لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت
به فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه فأخذه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قتل والله صاحبى وانى لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم فأنجانى الله تعالى منهم فقال
النبى صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف أنه يرده اليهم فخرج حتى
أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بصير ويل أمه
مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت أبو جندل فلحق بأبى بصير حتى اجتمع اليه قريب
من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم
فأرسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل اليهم
النبى صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وأنزل الله عز وجل وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم
حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا انه نبى الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه
وبين هذا البيت أخرجه البخارى بطوله سوى ألفاظ منه وهى مستثناة فى الحديث منها قوله فنزع سهما
من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعثوا الحليس
ابن علقمة الى قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا بما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه
محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح الى قوله
ورجعنا الى حديث الزهرى ومنها قوله وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل الى قوله
قال عمر فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله
وقال الزهرى فى حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخارى فى صحيحه ❊شرح غريب
ألفاظ الحديث قوله بضع عشرة البضع فى العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين
الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له أى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم أحياء من القارة انضموا
الى بنى ليث فى محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة
وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشى فسموا بذلك وقيل هو اسم واد بأسفل مكة وقيل
سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين أى منقوصين قوله فنفذوا
أى مضوا وتخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة
الجماعة يبعثون بين يدى الجيش ليطلعوا على أخبار العدو قوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد
قوله يركض نذيرا النذير الذى يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوا
يعنى انها لما توقفت عن المشى وتلهقرت ظنوا أن ذلك خلاق فى خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبى صلى الله
عليه وسلم ما خلأت أى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أى منعها عن السير الذى
منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق
الاذن قوله خطة أى حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهى فروضه وما يجب القيام به
يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهى قرية ليست
بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع
مراحل وقال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه فى المطالع والثمد الماء القليل الذى

لا مادة له والتبرض أخذ الشئ قليلا قليلا وقوله فما زال يجيش بالرى يقال جاشت البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والرى ضد العطش والصد الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته فى ذلك قوله نزلوا على أعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذى لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهى الناقة اذا وضعت الى أن يقوى ولدها وقيل هى كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهى الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك الناس وأراد بهم ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب أى أضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أى جعلت بينى وبينهم مدة قوله والا فقد جموا أى استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتى السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لا تنفرد الا بالموت قوله أى استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت فى الجاهلية معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليح الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان فى مبالغة الاذى قوله انى لارى وجوها وأشوابا مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك أى جدير لا يبعد ذلك منه قوله امصص بظر اللات وهو اسم صنم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهى الخاتنة من تكون فى فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور فى ألسنتهم قوله لولا يد لك عندى اليد النعمة وما يسديه الانسان على غيره قوله أى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال رشد وخطة غى والرشد والرشاد خلاف الغى والمراد منه قد طلب منكم طريقا واضحا فى هدى وأمر قوله وهو من قوم يعظمون البدن أى الابل تهدى الى البيت فى حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل فى رقبتها شئ كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو أن يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى أى جانبه قوله مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث فى شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه أى فاصل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو فى اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشئ وتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من أدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق فى الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها القتال وهو مشى المقيد قوله فاجزه لى قال ابن الاثير يجوز أن يكون بالزاى من الاجازة أى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو أطلقه لى وان كان بالراء المهملة فهو من الحماية والحفظ وكلاهما صالح فى هذا الموضع قوله فلم نعط الدنية أى القضية التى لا نرضى بها أى بالادون والاقل فى ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى تمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لا يجوز لاحد تركه قوله ويل أمه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره و يتجب بها أيضا ومسعر حرب أى موقدها يقال سعرت النار وأسعرتها اذا أوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم قوله عز وجل هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم أى منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به (والهدى) أى وصدوا الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) أى محبوسا (أن يبلغ محله) أى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء

(والهدى) هو ما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم أى وصدوا الهدى (معكوفا أن يبلغ) محبوسا أن يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (محله) مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء

مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (أن تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم (فتصيبكم منهم معرة) اثم وشدة وهي مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بان تطؤهم يعني ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقال ولولا كراهة ان تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وقوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير لولا لك



مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) أي لم تعرفوهم (أن تطؤهم) أي بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) أي اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطأ لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك السبب (ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي في دين الاسلام من يشاء أي من أهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لو تزيلوا) أي لو تميز المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته أي في جنته قال قتادة في الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة ﴿ قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) أي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصون الله في قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) أي من كفار مكة (وأهلها) أي كانوا أهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شيء عليما) يعني من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير ﴿ قوله

رجال مؤمنون لرجوعهما الى معنى واحد ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من أهل مكة (عذابا أليما) والعامل في (اذ جعل الذين كفروا) أي قريش لعذبنا أي لعذبناهم في ذلك الوقت أو اذكر (في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) المراد بحمية الذين كفروا هي الانفة وسكينة المؤمنين وهي الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا أشهد اني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) أي المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله اياهم (وكان الله بكل شيء عليما) فتجري الامور على مصالحها

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا الله عليه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوها من عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بالحق) متعلق بصدق أي صدقه فيما رأى وف

وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من أسمائه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الأول هو جواب قسم محذوف (إن شاء الله) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم أو تعليم لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشرط معترض (محلقين) حال من الضمير في آمنين (رؤسكم) أي جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لا تخافون) حال مؤكدة (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة في تأخير فتح مكة إلى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر ليستريح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) البيت بالتوحيد (ودين الحق) أي الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين و الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على

تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في ا وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك و المنافقون أين رؤياه التي رآها فأنزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل وروي عن مجمع بن جارية الأنصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ إنا فتحنا لك فتحا فقال عمر أهو فتح يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على أن المراد من الفتح هو الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر أن الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد حق وصدق بالحق أي الذي رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لأن الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حكاية عن رؤيا عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك (إن شاء الله آمنين) قيل إنما استثنى مع يدخوله تعليما لعباده الأدب وتأكيدا لقوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وقيل أنه إذ يجازيه إن شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون ال قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وإرادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الأ لا على الدخول لأن الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وإنا إن شاء الله بكم لاحقون لا يشك في الموت (محلقين رؤسكم) أي كلها (ومقصرين) أي تأخذون بعض شعوركم (لا تخافون) عدوا في رجوعكم لأن قوله آمنين في حال الإحرام لأنه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع إلى كمال الأمن الإحرام وفي حال الرجوع (فعلم ما لم تعلموا) يعني علم أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم أن دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا أنتم فظننتم أنه الأولى (فجعل من دون ذلك) أي من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعني صلح ا الأكثرون وقيل هو فتح خيبر ﴿ قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) يعني إنه صدق الرؤيا وذلك أن الله تعالى لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث الناس فيكون سببا للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذي أر رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أ يعليه ويقويه على الأديان كلها فتصير الأديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أي في أنه رسول الله صلى عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك أنهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم أنه ر

به والتبشير وكفى بالله شهيدا وشهيدا تمييز أو حال (محمد) خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله هو الذي أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) أي أصحابه مبتدأ والخبر (أشداء على الكفار) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا



يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم

الينا فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أي على أنه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) أي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعني أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أي غلاظ أقوياء كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) أي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال في حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) أي يطلبون (فضلا من الله) يعني الجنة (ورضوانا) أي أن يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو أن المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرائي بعمله لا يبتغي له أجرا وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أي علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) واختلفوا في هذه السيما على قولين أحدهما أن المراد بها يوم القيامة قيل هي نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله في الدنيا وهي رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني أن ذلك في الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك في رجلين أحدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والآخر في اللهو واللعب فإذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لأنهم كانوا يصلون على التراب لا على الأثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم في التوراة) يعني ذلك الذي ذكر صفتهم في التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم في الإنجيل فقال تعالى (ومثلهم) أي صفتهم (في الإنجيل كزرع أخرج شطأه) أي أفراخه قيل فراخه قيل هو نبت فيخرج بعده فهو شطؤه (فآزره) أي قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) أي غلظ ذلك الزرع وقوي (فاستوى) أي تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق أي على أصوله (يعجب الزراع) أي يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب يعجب الزراع يعني جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لأهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كما أن ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم (في وجوههم من أثر السجود) أي من التأثير الذي يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) أي المذكور (مثلهم) صفتهم (في التوراة) وعليه وقف (ومثلهم في الإنجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع إذا فرخ (فآزره) قواه فأزره شامي (فاستغلظ) فصار من الرقة إلى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع) يتعجبون من قوته وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى

(فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سأل رجل النبي
صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة
عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة
وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف
في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه
الترمذي وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الاول عن أنس بن مالك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بامتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان
وأقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل
قوم أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر
أشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذي مفرقا في موضعين أوله
الى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر الى أبي ذر (خ) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد أراه ضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
* عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا بالذين بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا
بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن
العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب
اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا * عن علي بن أبي
طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار
وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وما له من صديق رحم الله عثمان
تستحي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي أنه لا يحبني
الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
أحد يموت من أصحابي بأرض الا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقد روي عن أبي بريدة مرسلا وهو أصح (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ولمسلم عن
أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم * عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في
أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم
فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال
غريب ﴿ قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) ﴾ لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس
لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من
الصحابة وقال ابن جريج يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم
القيامة والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعني الجنة وقيل ان
جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

تعليل لما دل عليه تشبيههم
بالزرع من نمائهم وترقيهم
في الزيادة والقوة ويجوز
أن يعلل به (وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة وأجرا عظيما)
لان الكفار اذا سمعوا بما
أعد لهم في الآخرة مع
ما يعزهم به في الدنيا غاظهم
ذلك ومن في منهم للبيان كما
في قوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان يعني
فاجتنبوا الرجس الذي
هو الاوثان وقولك انفق
من الدراهم أي اجعل
نفقتك هذا الجنس وهذه
الآية ترد قول الروافض
انهم كفروا بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم اذ الوعد
لهم بالمغفرة والاجر العظيم
انما يكون أن لو ثبتوا على

(سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يتقدم من القول أو الفعل وجاز أن لا يقصد مفعول والنهي متوجه إلى نفس التقدمة كقوله هو الذي يحيي ويميت أو هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهي الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف إحدى تاءي تتقدموا (بين يدي الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله أي سرني حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك وفي هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لأن من فضله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض صوته بين يديه وعن الحسن أن ناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك (واتقوا الله) فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها (إن الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق مثله أن يتقى (يا أيها الذين آمنوا) إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

﴿تفسير سورة الحجرات﴾

(وهي مدنية وهي ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) من التقديم أي لا ينبغي لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لأنفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لأوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل أن يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الآية فروي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلي فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء زاد الترمذي في أوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروي عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الآية ما روي عن عبد الله بن الزبير أنه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخاري وقيل نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الآية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرائع الدين أي لا تقضوا أمرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) أي في تضييع حقه بمخالفة أمره (إن الله سميع) أي لأقوالكم (عليم) أي بأعمالكم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لأن رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا أصواتكم نهي عن قول (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه [illegible]
بعضا فيقولوا يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله (أن تحبط أعمالكم) أي لئلا تحبط وقيل مخافة أن تحبط
حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أي بذلك (ق) عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار
واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن
ثابت أيشتكي فقال سعد إنه لجاري وما علمت له بشكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى [illegible]
فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل [هو]
من أهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه
لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما [illegible]
أتخوف أن تكون نزلت فيّ وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملي وأن أكون
من أهل النار فمضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة [illegible]
ابن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار فضربتها بمسمار وقال لا أخرج
حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى [illegible]
فأخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في [بيت]
الفرس فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله صلى [الله]
عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون [هذه]
الآية نزلت فيّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا و[تدخل]
الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا أرفع صوتي على رسول الله صلى [الله عليه]
وسلم أبدا فأنزل الله تعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال أنس فكنا ننظر [إلى]
رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين
انكسارا وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل [من]
الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له اعلم أن فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في [ناحية]
العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي [وأت]
أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له إن علي دينا حتى يقضيه عني وفلان من رقيقي عتيق [فأتى]
الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو [بكر]
وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت
هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت [هذه]
الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى [illegible]
يخفض صوته فأنزل الله تعالى إن الذين يغضون أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه [وسلم]
أي إجلالا له وتعظيما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي اختبرها وأخلصها كما يمتحن [illegible]

لبعض) أي إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن [illegible]
في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر أو لا تقولوا يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة و[illegible]
والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر إلا كأخي السرار وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ثابت بن قيس ابن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان إذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهي والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) ثم اسم
إن عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم في مجلسه تعظيما له (أولئك) مبتدأ خبره
(الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر إن والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم [illegible]
الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضي الله عنه أذهب [illegible]

بهم أو الامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهماً أمره دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له



أو نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وإن كان مسندا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون المراد النفي العام إذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من إجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الإضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة إلى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثاني ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ التفاحش مبلغا (ولو أنهم صبروا) أي ولو ثبت صبرهم ومحل أنهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه إلا حر قوله (حتى تخرج إليهم) يفيد أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم لزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم (لكان) الصبر خيرا لهم) [illegible]

---

بالدار ليخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم) ﴿قوله عز وجل﴾ (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في أهله فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا أن يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال إن الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة أنا لا أحكم وعمي شاهد وهو الأعور بن بشامة فرضوا به فقال الأعور أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل إن الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الآية أكثرهم إشارة إلى من يرجع منهم عن ذلك الأمر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الأكثر (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) فيه بيان حسن الأدب وهو خلاف ما جاؤوا به من سوء الأدب وطلب العجلة في الخروج (لكان خيرا لهم) أي الصبر لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الأدب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية في ناس من أعراب تميم وكان فيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فإن مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر

(والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة لهم فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا (يا أيها الذين آمنوا ان فاسق بنبأ فتبينوا) أجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه احنة في الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ

شياع في الفساق والانباء كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق ولا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشئ يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلي فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (أن تصيبوا قوما) لئلا تصيبوا (بجهالة) حال يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب أو فارجعوا اليه واطلبوا رأيه قال مستأنفا (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصوّنون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم

أمرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس ابن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر ... النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا ... خطيبا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعرا وقولا ثم دنا من ... صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت ... الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الآيات ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي له ما قبلنا من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا أنه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حمل الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أي بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا أي فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق (أن تصيبوا) أي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي (قوما بجهالة) أي جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم (فتصبحوا على ما فعلتم) أي من اصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله) أي فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الامر) أي مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) أي لأثمتم وهلكتم ﴿ عن

سعيد الخدري انه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى جعله أحب الاديان اليكم (وزينه) أى حسنه وقربه منكم وأدخله (في قلوبكم) حتى اخترتموه لان من أحب شيأ أدام الطاعة وقد يأمنه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى شبه المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم أى أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أى فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) أى بكم وبما في قلوبكم (حكيم) في أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم ۞ قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مماراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية فحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فأنزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس

استثناهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) أى أولئك المستثنون هم الراشدون يعني أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له أى حبب وكره للفضل والنعمة (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)

فاصلحوا بينهما) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن أبي بأنفه وقال
حمار فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لأطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض
حتى استبا وتجالدا وجاء قوما هما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول
عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وجمع



اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين فى معنى القوم والناس و

والخزرج (فاصلحوا بينهما) أى بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) تعدت (احداهما على الاخرى) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) أى (الى أمر الله) أى الى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته فى الصلح الذى أمر (فان فاءت) أى رجعت الى الحق (فاصلحوا بينهما بالعدل) أى الذى يحملهما على الانصاف والرضا (وأقسطوا) أى اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) أى العادلين (انما المؤمنون اخوة) أى فى الدين و وذلك أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وأن النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

أبى الاسلام لا أب لى سواه ✽ اذا افتخروا بقيس أو تميم

(فاصلحوا بين أخويكم) أى اذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) أى فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (ترحمون) ✽ (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿فصل فى حكم قتال البغاة﴾ قال العلماء فى هاتين الآيتين دليل على أن البغى لا يزيل اسم الايمان لان تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين و يدل عليه ما روى عن على بن أبى طالب وهو القدوة فى أهل البغى وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم أن يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان أظهروا مظلمة أز وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغى قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم فى قتالهم مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يقتل ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه وأتى على بن باسير فقال لا أقتلك صبرا انى أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدى الطائفتين على الاخرى من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل وأتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص ولا أغرم مالا أما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا الطريق فى الحكم وروى أن عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال على كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفىء ما دامت أيديكم

بينهما نظرا الى الله (فان بغت احداهما على الاخرى) البغى الاستطالة والظلم واباء الصلح (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) أى ترجع والفىء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (الى أمر الله) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البغى الى أمر الله (فاصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به فى اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى زال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم)

هذا تقرير لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين و بيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولادا لزم السائرين أن يتناهضوا فى رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة فى الدين أحق بذلك أى اخوتكم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم من جوار البغى لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغى

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لأنهم
قوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال
صريح في الآية إذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله وما أدري وسوف إخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء
وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث
لأنهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن يقصد إفادة الشياع وأن
يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير
واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف



ورد مورد جواب المستخبر
عن علة النهي وإلا فقد
كان حقه أن يوصل بما
قبله بالفاء والمعنى وجوب
أن يعتقد كل واحد أن
المسخور منه ربما كان
عند الله خيرا من الساخر
إذ لا اطلاع للناس إلا على
الظواهر ولا علم لهم بالسرائر
والذي يزن عند الله خلوص
الضمائر فينبغي أن لا يجترئ
أحد على الاستهزاء بمن
تقتحمه عينه إذا رآه رث
الحال أو ذا عاهة في بدنه أو
غير لبيق في محادثته فلعله
أخلص ضميرا وأتقى قلبا
ممن هو على ضد صفته فيظلم
نفسه بتحقير من وقره الله
تعالى وعن ابن مسعود
رضي الله عنه البلاء موكل
بالقول لو سخرت من كلب
لخشيت أن أحول كلبا (ولا
تلمزوا أنفسكم) ولا

تطعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فإذا عاب المؤمن المؤمن
فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (ولا تنابزوا بالألقاب) التنابز
بالألقاب التداعي بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فأما ما يحبه
فلا بأس به وروي أن قوما من بني تميم استهزؤوا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت
خزيمة وكانت قصيرة وعن أنس رضي الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروي أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به
وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل

---

أيدينا ولا تبدؤكم بقتال ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نزلت في ثلاثة
أسباب السبب الأول من أولها إلى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك
أنه كان في أذنه وقر فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس
إلى جنبه فيسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه
وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد وكان الرجل إذا جاء
لم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى
رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت
الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في
الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين
تقدم ذكرهم وكانوا يستهزئون بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب
وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من
قوم أي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما يتنقصه
به ولعله عند الله خير منه ﴿ وهو قوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثاني قوله (ولا نساء من
نساء) أي لا يستهزئ نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول
الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء
النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل
عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي صلى
الله عليه وسلم إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا
بالألقاب) عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال فينا نزلت هذه الآية في بني
سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ولا تنابزوا

بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أخرجه أبو داود والترمذي قال كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم في بعض وأراد بالأنفس الاخوان فالمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم فاذا عاب عائب أحدا فكأنه عاب نفسه وقيل لا تفعلوا أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو لعيب نفسه ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به وقال ابن عباس التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذمه فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها ما لم يكرهها المدعو بها وأما الألقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا فلا تكره كما قيل لأبي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أي بئس الاسم أن تقولوا له يا يهودي أو يا نصراني بعدما أسلم أو يا فاسق بعدما تاب وقيل معناه أن من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) أي من ذلك كله (فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لأنفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى الرجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيئا لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي فنمت قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني أن يظن بأهل الخير سوءا فنهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن به شرا لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو الرائي مخطئا فأما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو أن يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل وهو الظن الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء

من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذي يحظره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما نهي عنه (فأولئك هم الظالمون) وحد وجمع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سوءا فأما أهل الفسق فلنا أن نظن فيهم مثل الذي ظهر منهم أو معناه اجتنبوا اجتنابا كثيرا أو احترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب

(ولا تجسسوا) أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس

بالاخ المسلم (ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه ويعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة ﴿ قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما أحب أني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة ﴿ قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى أن عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد في المنع لان العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ في الزجر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سيار بينا أنا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده ﴿ قوله تعالى (واتقوا الله) أي في أمر الغيبة

وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهي من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفي الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدني وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي فانتصب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) أي فتحققت كراهتكم له بمقامة العقل فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله

ان الله تواب رحيم) التواب البليغ في قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما
ان انفيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم ثواب المؤمنين التائبين وروى أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوّي
لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جا آ الى رسول الله صلى



واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) ﴿قوله عز وجل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) قال
ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت
رأيت أبيض واحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم
يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن العيص الحمد لله
الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل
ابن عمرو ان يكره الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان اني لا أقول شيأ أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فاقروا فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن
التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعني آدم
وحواء والمعنى انكم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة
واحدة وقيل يحتمل أن يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فان كل واحد
منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح
الشين وهي رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعبهم واجتماعهم كتشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب اذا جمع وشعب اذا فرق ويقال تشعب القبائل
وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون
القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر
البطون واحدتها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الافخاذ واحدها
فخذ وهم كبني هاشم وبني أمية من لؤي ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس
من بني هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شيء يوصف وقيل الشعوب من العجم
والقبائل للعرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون الى أحد بل ينتسبون
الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضا
في قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب
الشرف عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قيل أكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور
وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي هريرة قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك
قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن
معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ...

قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل

تشعبت منها (لتعارفوا) أي انما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا ... المشهور
يعتزي الى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي يفضل بها الانسان غيره ويكتسب
الكرم عند الله فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) في الحديث من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي أذهب
عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية ...

رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاماً أسود يقول من اشتراني فعلى شرط أن لا يمنعني من الـ[صلوات] الخمس خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفي فحضر دفنه فقالوا في ذلك شيئاً فنزلت (ان الله عليم) بكرم
القلوب وتقواها (خبير) بهمم النفوس في هواها (قالت الاعراب) أي بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم
أعراب بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة  ويمنون عليه (آمنا) أي ظاهرا

وباطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة وأما في الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفي لما معنى التوقع وقد دل على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم أن الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل لم



تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحاً ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجاً مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم تكريراً لمعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال

المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخاً فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والمحجن عصا معقفة الرأس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها (ان الله عليم) أي بظواهركم ويعلم أنسابكم (خبير) أي ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقي هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقي لم يترك ما أمر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خائف لله تعالى لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت خطة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين ﴿ قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسهم على ظهور رواحلها ونحن جئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا أي صدقنا (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) أخبر أن حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وأن الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد ابن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم الي فقلت ما لك عن فلان والله اني لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال اني لأعطي الرجل وغيره أحب الي منه خشية أن يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى أن الاسلام الكلمة والايمان والعمل الصالح لفظ الحميدي اعلم أن الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة

من الضمير في قوله (وان تطيعوا الله ورسوله) في السر بترك النفاق (لايلتكم) لاينقصكم بصرى (من أعمالكم شيأ) أي لا
من ثواب حسناتكم شيأ ألت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) بستر الذنوب (رحيم) بهدايتهم للتوب
العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه في
التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملاك الايمان أفرد
بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية
(وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب وا...



وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للمسلمين
الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين
والخاص فرق فالايمان لايحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام
والايمان أخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره
مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فذلك المؤمن والمسلم ۞ وقوله تعالى (وان
الله ورسوله) أي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا الايمان (لايلتكم) أي لا
(من أعمالكم شيأ) أي من ثواب أعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال
(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا في دينهم (وجاهدوا باموا
سبيل الله أولئك هم الصادقون) أي في ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عز وجل (قل أ
الله بدينكم) أي تخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) أي
عليه خافية (والله بكل شئ عليم) أي لايحتاج الى اخباركم (يمنون عليك أن أسلموا) هو قوم
عاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك أن اسلامهم لم يكن خالصا (قل
على اسلامكم) أي لاتعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أي
أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم
انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أي انه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شئ في
والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) أي بجوارحكم
الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

## ﴿تفسير سورة ق﴾

وهي مكية وهي خمس وأربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من أسماء الله
اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض
والقيوم وقيل معناه قضى الامر أو قضى ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زبرجدة
خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها

الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد المجاهدة بالنفس المرو وأن يتناول العبادات با والمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدأ الذي هو المؤمنون (أولئك هم الصادقون) أي الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا أنهم مخلصون فنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) أي أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يمنون عليك أن) أي بان (أسلموا) يعني

باسلامهم والمن ذكر الايادي تعريضا للشكر (قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم) أي المنة لله عليكم
(أن هداكم) بان هداكم أو لان (للايمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون ما
بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ أن هداكم
الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) وبالياء مكي وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه
مستترق العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لايخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وهو علام الغيوب

﴿سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) الكلام في (ق

(والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد المجيد ذو المجد
والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علماً بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أي كفار مكة (أن جاءهم
منذر منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان
كذلك لم يكن إلا ناصحاً لقومه خائفاً أن ينالهم مكروه واذا علم أن مخوفاً أظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما
أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ واقرارهم بالنشأة الاولى مع
شهادة العقل بانه لابد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا) دلالة على أن
تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر
العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وعلي وحمزة وحفص
(ذلك رجع بعيد) مستبعد
مستنكر كقولك هذا
قول بعيد أي بعيد من
الوهم والعادة ويجوز أن
يكون الرجع بمعنى المرجوع
وهو الجواب ويكون
من كلام الله تعالى استبعادا
لانكارهم ما أنذروا به
من البعث والوقف على
ترابا على هذا حسن وناصب
الظرف اذا كان الرجع
بمعنى المرجوع ما دل عليه
المنذر من المنذر به وهو
البعث (قد علمنا ما تنقص
الارض منهم) رد لاستبعادهم
الرجع لان من لطف علمه
حتى علم ما تنقص الارض
من أجساد الموتى وتأكله
من لحومهم وعظامهم كان
قادرا على رجعهم أحياء كما
كانوا (وعندنا كتاب
حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) اضراب اتبع
الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير
تفكر ولا تدبر (فهم في أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم في الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة
كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا
بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيرات (وما لها من فروج)
من فتوق وشقوق أي انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل (والارض مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسي) جبالا
ثوابت لولاها لمالت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به ونذكر (لكل عبد منيب)
راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) أي وحب الزرع الذي من
شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما

السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من
ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في
جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما لفظ من قول وقيل
قد علمنا ومعنى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن خوفهم رجل
منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) أي
معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) أي أحين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه
(ذلك رجع بعيد) أي يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أي ما تأكل
الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شئ (وعندنا) أي مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ)
بمعنى محفوظ أي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أي حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص
الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق) أي بالقرآن (لما جاءهم) قيل
معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم في أمر مريج) أي مختلط ملتبس قيل معنى
اختلاط أمرهم قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون
في القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذا الآية من ترك
الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظيم
قدرته فقال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) أي بغير عمد (وزيناها) أي
بالكواكب (وما لها من فروج) أي شقوق وصدوع (والارض مددناها) أي بسطناها على وجه الماء
(وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن كريم
يبتهج به أي يسر به (تبصرة) أي جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أي تذكرة (لكل عبد منيب) أي راجع
الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي كثير الخير والبركة
فيه حياة كل شئ وهو المطر (فأنبتنا به) أي بذلك الماء (جنات) أي بساتين (وحب الحصيد) يعني البر

(والنخل باسقات) طوالا في السماء (لها طلع) هو كل ما يطلع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه
أو لكثرة ما فيه من الثمر (رزقا للعباد) أي أنبتناها رزقا للعباد لان الانبات في معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أو
له أي أنبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) قد جف نباتها (كذلك الخروج) أي كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك
تخرجون أحياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف في محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل قريش
(قوم نوح وأصحاب الرس) هو بئر لم تطووهم قوم باليمامة وقيل أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من
فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الايكة) سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسب قريب
(وقوم تبع) هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمي به لكثرة تبعه (كل) أي كل واحد منهم (كذب الرسل) لانه من
كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدي وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أ
فعيينا بالامر إذا لم نهتد لوجه عمله والهمزة للانكار (بالخلق الاول) أي انا لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن
الثاني والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بل هم في لبس) في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (من خلق جديد) بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظم شأنه وان حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من
حديث النفس والباء مثلها في قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد بالقرب
قرب علمه منه (من حبل الوريد) هو مثل في فرط القرب والوريد عرق في باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير
(اذ يتلقى المتلقيان) يعني الملكين الحافظين (عن اليمين وعن الشمال قعيد) التلقي التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد المقاعد كالجليس
لمجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله رماني بامر كنت منه ووالدي
بريئا ومن أجل الطوى رماني أي رماني بامر كنت منه بريئا وكان والدي منه بريئا وانتصب باقرب لما فيه من معنى الفعل والمعنى
انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شيء أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به
إيذان بان استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهو ما في
كتبهما وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيآت والرغبة في الحسنات

والشعير وسائر الحبوب التي تحصد (والنخل باسقات) أي طوالا وقيل مستويات (لها طلع) أي ثمر
يطلع ويسمى طلعا قبل أن يتشقق (نضيد) أي متراكب بعضه على بعض في أكمامه فاذا انشق وخرج من
أكمامه فليس بنضيد (رزقا) أي جعلناه رزقا (للعباد وأحيينا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) أنبتنا فيها
الكلأ والعشب (كذلك الخروج) أي من القبور أحياء بعد الموت ﴿ قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح
وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) قيل كان لوط مرسلا ٦ الى
قوم ابراهيم ولذلك قال واخوان لوط (وقوم تبع) هو أبو كرب أسعد تبع الحميري وقد تقدم قصص
قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص الله
دونهم (كل كذب الرسل فحق وعيد) أي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدي أي
عذابي وقيل فحق وعيدي للرسل بالنصر (أفعيينا بالخلق الاول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد أي
أعجزنا حين خلقناهم أولا فعيينا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وأنكروا البعث (بل هم في
لبس) أي شك (من خلق جديد) وهو البعث ﴿ قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به
نفسه) أي ما يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) لانه
علمه أي نحن أعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين
الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان أجزاء الانسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيء
وقيل يحتمل أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه (اذ
يتلقى المتلقيان) أي يتلقى الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن اليمين وعن
الشمال) يعني ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال
يكتب السيآت (قعيد) أي قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أي

٦ قوله الى طائفة من قوم ابراهيم كذا بالاصول ولعل الظاهر الى طائفة من قومه بدليل تعليله وعبارة النسفي بالهامش واضحة

(ما يلفظ من قول) ما يتكلم به وما يرمي به من فيه (الا لديه رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه أجر أو وزر وقيل ان الملكين لا يجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم ان ما أنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) أي شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) أي بحقيقة الامر أو بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفر وتهرب (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أي ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل



لتعرفها بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة (لقد كنت) أي يقال له لقد كنت (في غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أي أزلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) أي ديوان عمله مجاهد شيطانه الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أي الذي وكلت به (ما لدي عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شيء والظرف بعده وصف له وكذا عتيد وما وصفتها خبر هذا أو التقدير هذا شيء ثابت لدي عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو للملك وكان الاصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق ألق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (في جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فألقياه في العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار فألقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصول (قال قرينه) أي شيطانه الذي قرن به وهو شاهد وانما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء

---

بالقعود الملازم الذي لا يبرح (ما يلفظ من قول) أي ما يتكلم من كلام فيخرج من فيه (الا لديه رقيب) أي حافظ (عتيد) أي حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه ولا يجوز للانسان أن يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له أجر وثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه أن ينظف عنفقته روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ۞ قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) أي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أي حقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) أي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ في الصور) يعني نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت) أي في ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أي يسوقها الى المحشر (وشهيد) أي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت في غفلة من هذا) أي من هذا اليوم في الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) أي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) يعني الملك الموكل به (هذا ما لدي) أي عندي (عتيد) أي معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله (ألقيا في جهنم) أي يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل كفار) أي شديد الكفر (عنيد) أي عاص معرض عن الحق معاند لله فيما أمر به (مناع للخير) أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله (معتد) أي ظالم لا يقر بتوحيد الله (مريب) أي شاك في التوحيد (الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد) يعني النار (قال قرينه)

كل قرين مع الملكين وقول قرينه مقولة وأما هذه فهي مستأنفة كأنها استئناف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى وفرعون فكأن الكافر قال رب هو أطغاني فقال قرينه (ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) أي ما أوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلال على الهدى (قال لا تختصموا) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل

يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر (ربنا ما أطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو أن الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما أغويته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) الله تعالى (لا تختصموا لدي) أي لا تعتذر واعتدى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت إليكم بالوعيد) بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر (ما يبدل القول لدي) لا تبديل لقولي وهو قوله عز وجل لأملأن جهنم وقضيت عليكم ما أنا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لأني علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الأشبه لأنه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي (وما أنا بظلام للعبيد) أي فأعاقبهم بغير جرم وقيل فأزيد على اساءة المسيء أو أنقص من احسان المحسن ﴿قوله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعني جهنم (هل من مزيد) يعني تقول قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ استفهام انكاري وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس في مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولأبي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه أحدا

﴿فصل﴾ هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني قول المتكلمين انها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المتقدم وهو سائغ في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية كما قال القاضي عياض أظهر التأويل انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعني انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه ﴿قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أي قربت وأدنيت (للمتقين) أي الذين اتقوا الشرك (غير بعيد)

لا تختصموا (لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد) أي لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة علي والباء في بالوعيد مزيدة كما في قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم (ما يبدل القول لدي) أي لا تطمعوا ان أبدل قولي ووعيدي بادخال الكفار في النار (وما أنا بظلام للعبيد) فلا أعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لأنه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام أو بمضمر هو اذكر وأنذر (يقول) نافع وأبو بكر أي يقول الله (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمحيد أي انها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أي هل بقي في موضع لم يمتلئ يعني قد امتلأت وانها لا تزيد وفيها موضع لمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بأنها امتلأت أم لا (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالتصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيئا غير

قول الحوفي مستقر بعيد وعن زيغير قليل (هذا) مبتدأ وهو اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت (ماتوعدون) ... (لكل
أواب) رجاع الى الذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده وفي الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أوابا حفيظا (من) مجرور
بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع (خشي الرحمن) الخشية انزعاج
القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما أثنى عليه
بأنه خاشي مع ان المخشي منه غائب (بالغيب) حال من المفعول أي خشيه وهو غائب أو صفة لمصدر خشي أي خشيه



خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب الحسن اذا أغلق الباب وأرخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام) أي سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) أي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أي مقدري الخلود (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) على مايشتهون والجمهور على انه رؤية الله تعالى بلا كيف (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) قوة وسطوة (فنقبوا) فخرقوا (في البلاد) وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أي شدة بطشهم أقدرتهم

جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل ان يدخلوها (هذا ماتوعدون) أي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على ألسنة الانبياء (لكل أواب) أي رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظا لما استودعه الله من حقه وقيل هو الحافظ لنفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو الحافظ على الطاعات والاوامر (من خشي الرحمن بالغيب) أي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد اذا ألقى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أي مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أي في الجنة لانه لاموت فيها (لهم مايشاؤن فيها) وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مسئلتهم فيعطون ماسألوا ثم يزيدهم الله من عنده مالم يسألوا ومالم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد ۞ قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا) يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف (فنقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصا أي مهربا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع مايقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه ۞ قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما في ستة أيام ومامسنا من لغوب) أي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض ومابينهما في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى ومامسنا من لغوب قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض ومابينهما فقوله ومامسنا من لغوب أي ماتعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى أفعيينا بالخلق الاول الآية وأما ماقاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك ان الاحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان

على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم
يدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من محيص) مهرب من الله أو الموت (ان في ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة
لمن كان له قلب) واع لان من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له (أو ألقى السمع) أصغى الى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته لان من لا يحضر
ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما في ستة أيام ومامسنا من لغوب) اعياء قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا
لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع

من التشبيه في هذه الامتناع ارفع من اليهود ومنهم أخذوا أنكر اليهود التربيع في الجلوس وزعموا أنه يجلس تلك
على مايقولون) أي على مايقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه أو على مايقول المشركون في أمر البعث فان من قدر على
قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع
الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) العشاآن أو التهجد (وادبار السجود)
في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وادبار حجازي وحمزة وخلف من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم ينادي المنادي) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي بالياء في الحالين مكي وسهل ويعقوب وفي الوصل مدني وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله
يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر (من مكان قريب) من
صخرة بيت المقدس وهي أقرب من الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من
الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن
ونميت) أي نميتهم في الدنيا (والينا المصير) أي مصيرهم (يوم

---

الزمان قبل الاجسام والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام أجسام لان اليو
عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس
اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت ﴿ قوله عز وجل (
على مايقولون) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اصبر يا محمد على مايقولون أي من كذبهم فان
بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أي صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) أي
الصبح (وقبل الغروب) يعني صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه)
صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل أي وقت صلى (وادبار السجود) قال عمر
أبي طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر
رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يكن النبي صلى
على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر (م) عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ر
خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى
وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في ادبار
المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح في ادبار الصلاة
يعني قوله وادبار السجود (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون
المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان
البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب
بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول
وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي
ماجئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا
(واستمع يوم ينادي المنادي) يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه ا
القيامة والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس
فيقول يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان ا
تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الار
السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي في وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أ
(ذلك يوم الخروج) أي من القبور (انا نحن نحيي) أي في الدنيا (ونميت) يعني عند
(والينا المصير) أي في الآخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير

تشقق الأرض عنهم سراعا) أي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) أي هين (نحن أعلم بما يقولون) يعني كفار مكة في تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يارسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أي عظ بالقرآن من يخاف وعيد والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الذاريات وهي مكية وهي ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والذاريات ذروا) يعني الرياح التي تذرو التراب (فالحاملات وقرا) يعني السحاب تحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) يعني الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ما توعدون) أي من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) أي حق (وان الدين) أي الحساب والجزاء (لواقع) أي لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس جواب القسم قوله (انكم) يعني يا أهل مكة (لفي قول مختلف) يعني في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به

تشقق) بتخفيف الكوفيون وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) أي تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من مجرور أي مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أي لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) بمتسلط أي ما أنت مسلط عليهم انما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى أجبره أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع الا به والله أعلم ﴿سورة الذاريات مكية وهي ستون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره وبادغام التاء في الذال حمزة وأبو عمرو (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فالحاملات) السحاب لانها تحمل المطر (وقرا) مفعول الحاملات (فالجاريات) الفلك (يسرا) جريانا يسرا أي ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول أنه أقسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثاني أنها تبتدئ في الهبوب فتثير التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ما توعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لصادق) لوعد صادق كعيشة راضية أي ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسماء) هذا قسم آخر (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق أو لان خالقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (انكم لفي قول مختلف) أي قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز أن يكون الضمير

لما توعدون أو الدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على انهم فى قول مختلف فى وقوعه
جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخرّ
الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم فى غمرة) في
غمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون) فيقولون (أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لأنه
يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع (يوم هم على
النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم فى النار (هذا) مبتدأ خبره (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (ان المتقين فى جنات وعيون) أى وتكون العيون وهى الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لأنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبر ان (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة فى الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى
طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا
موصوفة وله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون
انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وبالاسحار
وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير.

(قتل الخراصون) أى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا ...
الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) أى فى غفلة وعمى
(ساهون) أى لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه (يسألون أيان
يوم الدين) أى يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم
يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) أى يدخلون ويعذبون بها تقول لهم خزنة النار (ذوقوا
فتنتكم) أى عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) أى فى الدنيا تكذيبا به ﴿ قوله تعالى (ان المتقين فى
جنات وعيون) يعنى فى خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) أى ما أعطاهم (ربهم) من
الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) أى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ﴿ ثم وصف
احسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون
وقال ابن عباس كانوا أقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من أولها واما من أوسطها وعن أنس بن مالك
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا لا ينامون
حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أى من الناس ثم
ابتدأ من الليل ما يهجعون أى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة (وبالاسحار
هم يستغفرون) أى ربما مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم أخذوا فى الاستغفار وقيل
من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل
يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى
فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث
وزاد فى رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم
﴿فصل﴾ هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو
مذهبهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفى أمثاله مع الايمان بأن الله
تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن
والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول
الالهية وفرحها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل
وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى
النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضى
الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم

(وفي أموالهم حق للسائل) الذي يسأل لحاجته (والمحروم) أي الذي يتعرض ولا يسأل حياء (وفي الارض آيات) تدل على
وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهي مجزأة من سهل ومن جبل وصلبة ورخوة
وعذبة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيئات والافعال (للموقنين) الموحدين
الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها
فازدادوا ايقانا على ايقانهم (وفي أنفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق
ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من
الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح
وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا منها شيء جاء العجز واذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل ان التقدير أفلا تبصرون في أنفسكم ضعيف لانه يفضي الى تقديم ما في حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفي السماء رزقكم) أي المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او أراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدور
مكتوب في السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق أو الى ما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) بالرفع كوفي غير حفص
صفة لحق أي حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب أي انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن
الاصمعي أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل فقلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع
يتلى فيه كلام الله فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر
وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابي
قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء
والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه

---

والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات
والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق
والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك
خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد في رواية وما أنت أعلم به مني
أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت أو لا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (خ) عن
عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم
اغفر لي أو قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا
انتبه وله صوت ﷺ قوله عز وجل (وفي أموالهم حق) أي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو
يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة (للسائل) أي
الذي يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء
شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير
والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه أو ثمره أو نسل
ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الاقوال انه
المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ (وفي
الارض آيات) أي عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أي بالله الذي
يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفي أنفسكم) أي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى أن
تنفخ الروح وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد
سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات السمع
والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم (أفلا تبصرون) يعني كيف خلقكم
فتعرفوا قدرته على البعث (وفي السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وما توعدون)
يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال
(فورب السماء والارض انه لحق) أي ما ذكر من الرزق وغيره (مثل ما أنكم تنطقون) أي بلا اله الا الله

(هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرفه بالوحي وا... رق الارض آية تدل على آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف ابراهيم) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حين أضافهم ابراهيم او كانوا في حسبانه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فباضمار اذكر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من اكرامهم حمزة وعلى سلم والسلم السلام

منكرون) أى أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وأن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقربه اليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) أنكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليه (فأوجس) فأضمر (منهم خيفة) خوفا فان من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بامه (وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فأقبلت امرأته فى صرة) فى صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح هنا ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة وقيل فأخذت فى صياح وصرتها قولها يا ويلتا (فصكت وجهها) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز فكيف ألد كما قال فى موضع آخر أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين (انه هو الحكيم) فى فعله (العليم) فلا يخفى عليه شىء وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بأمر الله رسلا فى بعض الامور (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لامر آخر أو لهما (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة

وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره قوله عز وجل (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) يعنى هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى وهذا استفهام تفخيم لشأن الحديث وتنبيه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا اضياف ابراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرم وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبى شريح العدوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أى غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) أى عدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) أى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم الى السعى اليه فلما لم يأكلوا (قال ألا تأكلون) يعنى انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير أن يأمرهم (فأوجس) أى فأضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وقيل عليم أى حليم (فأقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه (فى صرة) أى فى صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا أنكرن شيأ (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وهو عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيأ (وقالت عجوز عقيم) معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) قوله عز وجل (قال) يعنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل

(مسومة) معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عند ربك) في ملكه وسلطانه (للمسرفين) سماهم مسرفين
كما سماهم عادين أي لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم (فأخرجنا من كان فيها) في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها
معلومة (من المؤمنين) يعني لوطا ومن آمن به (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أي غير أهل بيت وفيه دليل على ان الايمان والاسلام
واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) في قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون
دون القاسية قلوبهم قيل هي ماء أسود منتن (وفي موسى) معطوف على وفي الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها على معنى وجعلنا في
موسى آية كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهي اليد والعصا (فتولى) فأعرض عن
الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن اليه الانسان من مال وجند (وقال
ساحر) أي هو ساحر (أو
مجنون فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وهو مليم)
آت بما يلام عليه من كفره
وعناده والعامل وصف يونس
عليه السلام به في قوله
فالتقمه الحوت وهو مليم
لان موجبات اللوم تختلف
وعلى حسب اختلافها
تختلف مقادير اللوم فراكب
الكبيرة ملوم على مقدارها
وراكب الكبيرة والصغيرة
والزلة كذلك والجملة مع
الواو حال من الضمير في
فأخذناه (وفي عاد اذ أرسلنا
عليهم الريح العقيم) هي
التي لا خير فيها من انشاء
مطر أو القاح شجر وهي
ريح الهلاك واختلف فيها
والاظهر انها الدبور لقوله
عليه السلام نصرت بالصبا
وأهلكت عاد بالدبور
(ما تذر من شيء أتت عليه
الا جعلته كالرميم) هو كل
ما بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ما تترك من شيء هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم الا أهلكته (وفي ثمود)
أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم
الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها
(فما استطاعوا من قيام) أي هرب أو هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم
مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح وبالجر أبو عمرو
وحمزة أي وفي قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفي قوم نوح (من قبل) هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين
(والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بأيد) بقوة والأيد القوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق

الآجر (مسومة) أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من
حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها
(فأخرجنا من كان فيها) أي في قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) أي أهل بيت (من
المسلمين) يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان
الاسلام أعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد
مفهوميهما (وتركنا فيها) أي في مدينة قوم لوط (آية) أي عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى
تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم ۞ قوله عز وجل (وفي موسى)
أي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة (فتولى)
أي أعرض عن الايمان (بركنه) أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر أو مجنون فأخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فأغرقناهم في البحر (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية
وتكذيب الرسل (وفي عاد) أي وفي اهلاك عاد أيضا آية وعبرة (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعني التي لا خير
فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ما تذر من شيء أتت عليه) أي من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم
(الا جعلته كالرميم) أي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه
وأصله من رم العظم اذا بلى (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم
لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن طاعة ربهم
(فأخذتهم الصاعقة) أي بعد مضي ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس وقيل أخذتهم
العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أي يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من
قيام) أي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أي
ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله (وقوم نوح) قرئ بكسر الميم ومعناه وفي
قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم
فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أي بقوة وقدرة
(وانا لموسعون) قيل هو من السعة أي أوسعنا السماء بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الهواء والفضاء
بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه

أولموسعون ما بين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطناها ومهدناها وهي منصوبة بفعل مضمر أي فرشنا الارض فرشناها (ف
الماهدون) أي نحن (ومن كل شيء) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار
والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أي فعلنا ذلك كله من
السماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أي من الشرك الى الايمان بالله أو من طاعة
الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطالة
في الوعيد أبلغ (كذلك) الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا ثم

لموسعون أي الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا لذو السعة والغنى (والارض فرشناها) أي بسطناها
ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) أي نحن (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء
والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس
والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض
(لعلكم تذكرون) أي فتعلموا أن خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه (ففروا الى الله) أي قل
يا محمد ففروا الى الله أي فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففروا منه اليه
واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله (انى لكم منه نذير) أي مخوف (مبين)
أي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) أي وحدوه ولا
تشركوا به شيئا (انى لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي
عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع الا مع العمل كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله
الا الجامع بينهما (كذلك) أي كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتى الذين من قبلهم) أي من
قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (من رسول) يعني يدعوهم الى الايمان والطاعة (الا قالوا ساحر أو مجنون)
۞ قال الله تعالى (أتواصوا به) أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤوا عليه وفيه توبيخ
لهم (بل هم قوم طاغون) أي لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على
علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) أي أعرض عنهم (فما أنت بملوم)
أي لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية
حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر اذ
أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فأنزل الله عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فسرهم
بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل
عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ۞ قوله عز وجل (وما خلقت الجن والانس) أي من
المؤمنين (الا ليعبدون) قيل هذا خاص بأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت
الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا
والاشقياء منهم الا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال علي بن أبي طالب الا ليعبدون
الا لآمرهم أن يعبدوني وادعوهم الى عبادتي وقيل معناه الا ليعرفوني وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم

فسر ما أجمل بقوله (ما أتى
الذين من قبلهم) من قبل
قومك (من رسول الا
قالوا) هو (ساحر أو مجنون)
رموهم بالسحر أو الجنون
لجهلهم (أتواصوا به)
الضمير للقول أي أتواصى
الاولون والآخرون بهذا
القول حتى قالوه جميعا
متفقين عليه (بل هم قوم
طاغون) أي لم يتواصوا به
لانهم لم يتلاقوا في زمان
واحد بل جمعتهم العلة
الواحدة وهي الطغيان
والطغيان هو الحامل
عليه (فتول عنهم) فاعرض
عن الذين كررت عليهم
الدعوة فلم يجيبوا عنادا
(فما أنت بملوم) فلا لوم
عليك في اعراضك بعد
ما بلغت الرسالة وبذلت
مجهودك في البلاغ
والدعوة (وذكر) وعظ
بالقرآن (فان الذكرى تنفع
المؤمنين) بأن تزيد في

عملهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد وجوده
بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعني وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما وما خلقت الجن والانس
من المؤمنين وهذا لانه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن ن
فاذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن علي رضي الله عنه
وقيل الا ليكونوا عبادا لي والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القرآن فهي تو
والكل يوحدونه في الآخرة لما عرف أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون في الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما
مشركين نعم قد أشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد أقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته الا ل

وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا الى ويتذللوا لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ما أريد منهم من رزق) أى ما أريد بأن يرزقوا أحدا من خلقى ولا أن يرزقوا أنفسهم لانى أنا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وما أريد أن يطعمون) أى أن يطعموا أحدا من خلقى وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه لما صح من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى أخرجه مسلم ۞ ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (ان الله هو الرزاق) أى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذى لا يلحقه فى أفعاله مشقة (فان للذين ظلموا) أى من أهل مكة (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أى مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) أى بالعذاب لانهم أخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده

## ﴿ تفسير سورة الطور ﴾

(مكية وهى تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ قوله عز وجل (والطور) أراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) أى مكتوب (فى رق) يعنى الاديم الذى يكتب فيه المصحف (منشور) أى مبسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن (والبيت المعمور) يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء الخامسة قدام العرش حيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج من افراد مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وفى رواية أخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون يسبحون الله ويقدسونه وفى افراد البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور

---

عبادة فى قوله ما أشركه الا للكتابة وان استعملها يوم من عمره لعمل آخر (ما أريد منهم من رزق) أن يرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادى (وما أريد أن يطعمون) قال ثعلب أن يطعموا عبادى وهى اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من أكرم مؤمنا فقد أكرمنى ومن آذى مؤمنا فقد آذانى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الاعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فان للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذنوبا) نصيبا من عذاب الله (مثل ذنوب أصحابهم) مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب فى اللغة النصيب (فلا يستعجلون) نزول العذاب وهذا جواب للنضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) أى من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدونى أن يطعمونى فلا يستعجلونى بالياء فى الحالين يعقوب ووافقه سهل فى الوصل الباقون بغير ياء والله أعلم

﴿ سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وكتاب مسطور) هو القرآن ونكره لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ أو التوراة (فى رق) هو الجلد الذى يكتب فيه (منشور) مفتوح لا ختم عليه أو لائح (والبيت المعمور) أى الضراح وهو بيت فى السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه أبدا وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) أى السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد والواو الاولى للقسم والبواقى للعطف

وجواب القسم (ان عذاب ربك) أى الذى أوعد الكفاربه (لواقع) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فى الاسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (ماله من دافع) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع والعامل فى يوم لواقع أى يقع فى ذلك اليوم أو اذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) فى الهواء كالسحاب تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم



دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (أفسحر هذا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) خبر سواء محذوف أى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (ان المتقين فى جنات) فى أية جنات (ونعيم) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على فى جنات أى ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) أو الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أى أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرير مصفوفة

المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع السموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعنى انه حق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة (ماله من دافع) أى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أنى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ﴿ ثم بين أنه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) أى تدور كدور الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) أى تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بأن لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزال الله تعالى ذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) أى شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) أى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) أى يخوضون فى الباطل (يلعبون) أى غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) أى يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيدى الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا فى أقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى فى الدنيا (أفسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسحر هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أى قاسوا شدتها (فاصبروا) أى على العذاب (أو لا تصبروا) أى عليه (سواء عليكم) أى الصبر والجزع (انما تجزون ما كنتم تعملون) أى من الكفر والتكذيب فى الدنيا ﴿ قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) أى معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا) أى مأمونى العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر

(مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الأعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ وألحقنا بهم خبره (واتبعتهم) وأتبعناهم أبو عمرو (ذريتهم) أولادهم (بإيمان) حال من الفاعل (ألحقنا بهم ذريتهم) أي نلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء وإن قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء وقيل إن الذرية وإن لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الإيمان استدلالا وإنما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء (١) ذريتهم ذرياتهم مدني ذريتهم ذرياتهم أبو عمرو وذرياتهم ذرياتهم شامي (وما ألتناهم من عملهم من شيء) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء ألتناهم مكي ألت يألت ولات يليت لغتان من الأولى متعلقة  بألتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) أي مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وأمددناهم) وزدناهم في وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وإن لم يقترحوا (يتنازعون فيها كأسا) خمرا يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لا لغو فيها) في شربها (ولا تأثيم) أي لا يجري بينهم ما يلغى يعني لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم لو فعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشارب خمر الدنيا لأن عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تأثيم مكي وبصري (ويطوف عليهم غلمان لهم) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) في الصدف لأنه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة في الحديث إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا إنا كنا قبل) أي في الدنيا (في أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله أو خائفين من نزع الإيمان وفوت الأمان أو من رد الحسنات والأخذ بالسيئات (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة

مصفوفة) أي موضوعة بعضها إلى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) يعني ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بإيمانهم فالكبار بإيمانهم بأنفسهم والصغار بإيمان آبائهم فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعا لأحد أبويه (ألحقنا بهم ذرياتهم) يعني المؤمنين في الجنة بدرجات آبائهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه أن معنى الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم يعني البالغين بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم أخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا وذلك قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم من شيء) يعني وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم إلى آخر الآية عن علي قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما رأى الكراهة في وجهها قال لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوي بإسناد الثعلبي (كل امرئ) أي كافر (بما كسب) أي عمل من الشرك (رهين) أي مرتهن بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة) يعني زيادة على ما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أي من أنواع اللحوم (يتنازعون) أي يتعاطون ويتناولون (فيها) أي في الجنة (كأسا لا لغو فيها) أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو وإثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها (ويطوف عليهم) أي للخدمة (غلمان لهم كأنهم) أي في الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) أي مخزون مصون لم تمسه الأيدي قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ۞ قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا) أي في الدنيا (مشفقين) أي خائفين من العذاب (فمن الله علينا) أي



(١) قوله ذريتهم ذرياتهم مدني الخ كذا بالأصل وفي الخطيب وقرأ ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم نافع بالقصر في الأولى والجمع في الثانية مع كسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم التاء وقرأ أبو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيهما إلا أنه يرفع التاء في الأولى ويكسرها في الثانية اه تأمل اه مصحح

(ووقانا عذاب السموم) هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها تقدم الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقائه
والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة (قد
أناب واذا سئل أجاب انه بالفتح مدني وعلى أي بانه أولانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت بنعمت ربك) برحمة ربك
وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك
(أم يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر أي ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من
قبله من الشعراء زهير والنابغة وأم في أوائل هذه الآي منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى الاحلام مجاز (أم يقولون تقوله) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل) رد عليهم أي ليس الامر كما زعموا (لا يؤمنون) فكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله) مثل القرآن (ان
كانوا صادقين) في أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا ... لى
التقدير الذي عليه فطرتهم (من غير شيء) من غير مقدر (أم هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا
من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأتمرون (أم خلقوا السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل لا يوقنون)
لا يتدبرون في الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا بها
بما شاؤا (أم هم المسيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على مشيئتهم وبالسين مكي وشامي (أم
منصوب يرتقون به الى السماء

بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (انا كنا من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده ﴿ قوله عز وجل (فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمت ربك) أي برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن أو مجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون (أم يقولون) يعني هؤلاء المقتسمين (شاعر) أي هو شاعر (نتربص به) أي ننتظر به (ريب المنون) يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل (قل تربصوا) أي انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتربصين) أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي (أم تأمرهم أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون) أي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر (أم يقولون تقوله) أي اختلق القرآن من ... والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أي بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسنه و... (ان كانوا صادقين) يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه (أم خلقوا من غير شيء) قال ابن عباس من غير خالق والمعنى أم خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) أي لانفسهم وذلك في البطلان أشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل في معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أي لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والارض) يعني ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون) أي بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعني ... الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) أي المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهي ويفعلون ما يشاؤن (أم لهم سلم) يعني مرقى ...

الى السماء (يستمعون فيه) أى يستمعون عليه الوحى من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به متمسكون (فليأت مستمعهم) أى ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) أى بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم (أم تسألهم أجرا) أى جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعنى أثقلهم ذلك المغرم الذى سألتهم فمنعهم عن الاسلام (أم عندهم الغيب) أى علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى أعلموا ان محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) أى يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) أى مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به فى دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (أم لهم اله غير الله) يعنى يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى انه نزه نفسه عما يقولون ۞ وقوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مركوم) أى بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) أى يعاينوا (يومهم الذى فيه يصعقون) أى يموتون ويهلكون (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون) أى لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) أى كفروا (عذابا دون ذلك) أى عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى ان العذاب نازل بهم ۞ قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أى الى أن يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم به (فانك بأعيننا) أى بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش الى أن تدخل فى الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأى شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائى وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روى عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذى

(يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدمهم على نهتهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أى عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أم له البنات ولكم البنون) ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عندنا تقسيم (أم تسألهم أجرا) على التبليغ والانذار (فهم من مغرم مثقلون) الغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدسهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله والمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (أم لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب) الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مركوم) قد ركم أى جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) بضم الياء عاصم وشامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعقة (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر الى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فانك بأعيننا) أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة ألا ترى الى قوله ولتصنع على عينى (وسبح بحمد ربك حين تقوم)

تمسلاة وهو مايقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أى مكان قمت أو من منامك (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) و
أدبرت النجوم من آخر الليل وادبار بالفتح اى فى أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله فى
الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق (سورة النجم اثنتان
وستون آية مكية) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والنجم) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو
انتثر يوم القيامة وجواب القسم (ماضل) عن قصد الحق (صاحبكم) أى محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وماغوى) فى اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحى من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لايرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحى لانطقا عن الهوى (علمه) علم محمدا عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع
قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود ف
فأصبحوا جاثمين (ذومرة) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها
هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى
الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل مارآه أحد من الانبياء عليهم السلام فى صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين
فى الارض ومرة فى السماء (وهو) أى جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) مطلع الشمس

وأبو داود وقد تكلم فى أحد رواته ﴿ق﴾ وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أى فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هى فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة النجم﴾

﴿وهى مكية وهى اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس يعنى الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وجاء فى الحديث عن أبى هريرة مرفوعا ماطلع النجم وفى الارض من العاهة شئ الارفع أراد بالنجم الثريا وقيل هى نجوم السماء كلها وهو بلفظ واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهى ماترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو النبت الذى لاساق له وهوية سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهوية نزوله ليلة المعراج من السماء قوله تعالى (ماضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ماضل عن طريق الهدى (وماغوى) أى ماجهل وقيل الفرق بين الضلال والغى ان الضلال هو أن لايجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية أن لايكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال أكثر استعمالا من الغواية (وماينطق عن الهوى) أى بالهوى والمعنى لايتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) أى ماهو يعنى القرآن وقيل نطقه فى الدين (الا وحى) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعنى جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أى ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أى قام فى صورته التى خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء فأما التي
في الأرض فبالأفق الأعلى والمراد بالأفق الأعلى جانب المشرق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح
الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى وأما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الأنبياء
على تلك الصورة التي خلق عليها إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
أو أدنى) اختلف العلماء في معنى هذه الآية فروي عن مسروق بن الأجدع قال قلت لعائشة فأين قوله ثم دنا
فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وإنه أتاه في هذه المرة في صورته
التي هي صورته فسد الأفق أخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى
وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها إن ابن مسعود قال
رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد في رواية أخرى رأى جبريل في صورته أخرجه مسلم
والبخاري في قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا
جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى إلى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو
أدنى أي بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لأن
التدلي سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أي فقرب منه حتى كان
منه قاب قوسين أو أدنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر
عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس
والتدلي هو النزول إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر
حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث
الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به
في رواية شريك قدم وأخر وزاد ونقص فيحتمل أن هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك
دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أي فأهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب
القدر والقوس التي يرمى بها وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فأخبر أنه كان بين
جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب
كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران
يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي
يقاس بها من قاس يقيس أو أدنى بل أقرب (فأوحى) أي فأوحى الله (إلى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم
(ما أوحى) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أوحى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه
ربه عز وجل وقال سعيد بن جبير أوحى إليه ألم يجدك يتيما فآوى إلى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى إليه
أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ۞ قوله عز وجل (ما كذب
الفؤاد) قرئ بالتشديد أي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أي بعينه تلك الليلة بل صدقه
وحققه وقرئ بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد الذي رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى
واختلفوا في الذي رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم
اختلفوا في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد
ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن

(ثم دنى) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد في القرب والتدلي هو النزول بقرب الشيء (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لا صلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت المضافات (أو أدنى) أي على تقديركم كقوله أو يزيدون هذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فأوحى) جبريل عليه السلام (إلى عبده) إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس كقوله ما ترك على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحي الذي أوحي إليه قيل أوحي إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد (ما رأى) ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه يعني رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق وقيل المرئي هو الله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه

(أفتمارونه) أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه أفتمرونه حمزة
وعلي وخلف ويعقوب أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدي 

مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذي بأطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين أخرجاه في الصحيحين (م) عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه ● قوله عز وجل (أفتمارونه على ما يرى) يعني أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين أسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك أنه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس يعني نزلة أخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل في بعضها وروي عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رآه بعينه (عند سدرة المنتهى) ● (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية الترمذي اليها ينتهي علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعد بي الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفي أفراد مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكر الى ان قال فيه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة في أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان ولو أن ورقة وضعت منها في الارض لأضاءت لاهل الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوي اليها جبريل وقيل يأوي اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل ملائكة أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة ويروى في الحديث قال رأيت على

بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عند سدرة المنتهى) الجمهور على انها شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهي اليها أرواح الشهداء (عندها جنة المأوى) أي الجنة التي يصير اليها المتقون وقيل تأوي اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) أي رآه اذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة كل
الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش

كل ورقة منها ملك قائماً يسبح الله عز وجل (ما زاغ البصر وما طغى) أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يميناً ولا شمالاً ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف إذ لم يلتفت الى شيء سوى ما أمر به وفي معنى الآية ان قلنا ان الذي يغشى السدرة فراش من ذهب أي لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم إذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقاً وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع طرفه وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتكل فيه الابصار فوهب الله عز وجل قوة لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ۞ وقوله تعالى (ولقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعني رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء

﴿فصل من كلام الشيخ محيي الدين النووي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء﴾ قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فأنكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الاشعري وجماعة من أصحابه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى فالأكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه أو من الله وعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولاً ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين وأما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسألة وان كانت كثيرة ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روي باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسألة حديث

(ما زاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها (وما طغى) وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه الكبرى) الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فأرى عجائب الملكوت

ابن عباس حبر هذه الأمة وعالمها والمرجوع إليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فأخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وإنما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الأبصار والصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة وإذا قد صحت الروايات عن ابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بإثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها لأنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم إن ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي

كلام صاحب التحرير في إثبات الرؤية قال الشيخ محيي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضي الله تعالى عنها لا تدركه الأبصار فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإ لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره وأ

كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها أنه لا يلزم مع الرؤية وجود حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني أنه عام مخصوص بما تقدم من الأ الثالث ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وإن كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث لقد قف شعري معناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند إنكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر نور أنى أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أنى و النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال المازري الضمير في أراه عائد على الله تعالى وا النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حلت بين الرائي و وفي رواية رأيت نورا معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفي رواية ذاته نور أنى أراه ومعناه [illegible] النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا إذ النور من جملة الأجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم ۞ قوله عز وجل

(أفرأيتم اللات والعزى) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء من عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الأعز والمعنى أخبرونا عن التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وكان اللات وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في رأس جبل له غنيمة السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه

(أفرأيتم اللات والعزى)

اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فى الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

يا عز كفرانك لا سبحانك ❊ انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت فقال ما رأيت شيأ فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى أخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذى أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار وأسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاثة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف وقوله (ومناة) قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هي بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أسام من الحجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة أى هي الثالثة فى الذكر وأما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل فالها وفاق رؤس الآى كقوله مآرب أخرى ولم يقل أخر وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمى والعزى شجرة فهى نبات ومناة صخرة فهى جماد وهي فى أخريات المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لا تصلح للعبادة لانها لا تضر ولا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هي) أى ما هذه الاصنام (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها ولا يكون لها مسمى حقيقة (ما أنزل الله بها من سلطان) أى حجة بما تقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) أى فى قولهم انها آلهة (وما تهوى الانفس) يعنى هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذى ينبغى ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بتابعة هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الاصنام



ومناة الثالثة) أى أخبرونا عن هذه الاشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها أو يعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (الاخرى) هي صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة المقدار وقال كقوله وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) أى جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى اذ لا فعلى فى النعوت فكسرت الفاء لليا كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود ضئزى بالهمز مكى مثل ضأزه مثل ضازه (ان هي) ما الاصنام (الا أسماء) ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو أبعد شئ منها وأشد منافاة لها (سميتموها) أى سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) حجة (ان يتبعون الا الظن) الا توهم ان ما هم عليه حق (وما تهوى الانفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول

والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أم للانسان ما تمنى) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي ليس للانسان يعني الكافر ما تمنى من
الاصنام أو من قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي (فلله الآخرة والاولى) أي هو
وله الحكم فيهما يعطي النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله
لمن يشاء ويرضى) يعني أن أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن
شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لأن يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليهم لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أي كل واحد منهم (تسمية الانثى) لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أي بما يقولون وقرئ بها أي بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو تقليد الآباء (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) أي انما يعرف الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) فاعرض عمن رأيته معرضا عن ذكر الله أي القرآن (ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك) أي اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بمن اهتدى) أي هو أعلم بالضال والمهتدي ويجازيهما (ولله ما في السموات وما في الارض وقيل
ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة
وهي الجنة أو بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذا الملكوت ليجزي المحسن من المكلفين والمسيء
منهم اذ الملك أهل لنصر الاولياء وقهر الاعداء (الذين) بدل أو في موضع رفع على المدح أي هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) أي
من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي يكبر عقابها كبير حمزة وعلي أي النوع الكبير منه (و...

ليست آلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار ﴿ وقوله تعالى (أم للانسان ما تمنى) معناه أيظن
الكافر أن له ما تمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام أي ليس الامر كما يظن ويتمنى (فلله الآخرة والاولى) أي
لا يملك أحد فيهما شيئا أبدا الا باذنه وقيل معناه أن الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة
والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء في الدنيا والآخرة وان شاء أمهله الى الآخرة (وكم من ملك في السموات)
أي ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله (لا تغني شفاعتهم شيئا) يعني ان الملائكة مع علو منزلتهم
لا تغني شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم أخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى
(الا من بعد أن يأذن الله) أي في الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) أي من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد
لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه وقيل الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن يشاء
الشفاعة له (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني الكفار الذين أنكروا البعث (ليسمون الملائكة
الانثى) أي بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث
قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآي وقيل ان كل واحد منهم
الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا
تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أي بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون أن الملائكة
(ان يتبعون الا الظن) أي في تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) أي لا يقوم الظن
مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن
وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا)
يعني القرآن وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحياة الدنيا) يعني انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يرغبوا
ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أي ...
علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم أن الملائكة
بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو أعلم بمن
ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أي هو عالم بالفريقين ويجازيهم بأعمالهم (ولله ما في السموات وما في الارض)
وهذا اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا)
والمعنى اذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزي الذين أساؤا أي أشركوا بما عملوا من ...
(ويجزي الذين أحسنوا) أي وحدوا ربهم (بالحسنى) يعني بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا
كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما في السموات وما في الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل
(الذين يجتنبون كبائر الاثم) قيل الاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن
الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارف
في كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الافعال والاقوال

وقيل هي ما خفي من الكبائر (الا اللمم) أي الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هي مقاربة المعصية من قولك ألممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش. ومعنى الآية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة [illegible] والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال أعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب. وقيل أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظر من غير تعمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم

[illegible] في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فأما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر بالنسبة الى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتجوا قائلين بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الامة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس أنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ونحو هذا عن الحسن وقيل هي ما أوعد الله عليه بنار في الآخرة أو حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجري

ما خفي من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ما أوعد عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد (الا اللمم) أي الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة

(ان ربك واسع المغفرة) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة (هو أعلم بكم إذ أنشأكم) أى أباكم (من الأرض
وإذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أ
الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الا... او الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو أعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أفرأيت الذى تولى) أعرض عن الايمان (وأعطى قليلا وأكدى) قطع عطيته وأمسك وأصله اكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس رضى الله عنهما فيمن كفر بعد الايمان وقيل فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره
بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت أنهم فى النار قال انى خشيت عذاب الله فضمن له ان هو أعطاه شيأ
من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل وأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه

عليها اعتيادا لها أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون وهو كبيرة وما يحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم تترتب عليه تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهى من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزنى بها أو مسلما لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من أكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه انهم يستأصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم أنه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم أنه يؤخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة وله أمارات منها ايجاب الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق أو يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله أعلم وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام أى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه أن الكبيرة تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل فى حد الاصرار هو أن يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه ثم ابتدأ الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال (هو أعلم بكم) أى قبل أن يخلقكم وهو قوله (اذ أنشأكم من الارض) أى خلق اباكم آدم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم) سمى جنينا لاستتاره فى بطن أمه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها قال الحسن علم الله من كل نفس ما هى صانعة والى ما هى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم من أول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو أعلم بمن اتقى) أى بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل الآية فلا تزكوا أنفسكم أى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله هذه الآية ۞ قوله عز وجل (أفرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال أتركت دين الاشياخ وضللتهم قال انى خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه ان أعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى الذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه الباقى فأنزل الله أفرأيت الذى تولى أى أدبر وأعرض عن الايمان (وأعطى) أى لصاحبه الذى عيره (قليلا وأكدى) أى بخل بالباقى وقيل أعطى قليلا أى من الخير بلسانه وأكدى أى قطعه وأمسك ولم يتم وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل نزلت فى أبى جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا

(أعنده علم الغيب فهو يرى) أهو يعلم أن ما تحمله عنه من عذاب الله حق (أم لم ينبأ) يخبر (بما في صحف موسى) أي التوراة (وابراهيم) أي صحف ابراهيم (الذي وفى) أي وفر وأتم كقوله فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرئ مخففا والتشديد مبالغة في الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشيء الا وفى به وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف



أي لم يؤمن به ومعنى الآية أكدى أي قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي ما غاب عنه أي أن صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبأ) أي يخبر (بما في صحف موسى) يعني أسفار التوراة (وابراهيم) أي ويخبر بما في صحف ابراهيم (الذي وفى) أي أكمل وتمم ما أمر به وقيل عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه في سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شأن المناسك وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى عمله كل يوم بأربع ركعات أول النهار وعن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤخذ نفس بإثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد ابن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي عمل وهذا في صحف ابراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فأما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمي توفيت أينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية أن سعد بن عبادة قال أتاني سعد وذكر نحوه وأخرجه البخاري وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم أخرجاه في الصحيحين وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء ان حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال أبو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الآخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعي والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بأن يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروي أن عبد الله بن أبي ابن سلول كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه (وأن سعيه سوف يرى)

في النار وقال له جبريل ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما في صحف موسى وابراهيم فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أن من وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وأن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي سعيه وهذا أيضا مما في صحف ابراهيم وموسى وأما ما صح في الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولأن سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (وأن سعيه سوف يرى) أي يرى سعيه يوم القيامة في ميزانه

أي يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أي السعي (الجزاء الأوفى) أي الأتم الأكمل والمعنى أن الإنسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الأوفى ﴿ قوله عز وجل (وأن إلى ربك المنتهى) أي إليه منتهى الخلق ومصيرهم إليه في الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما أنه عام تقديره وأن إلى ربك أيها السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن إساءته ويزداد المحسن في إحسانه الوجه الثاني أن المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فإن إلى ربك المنتهى وقيل في معنى منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأن إلى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب أي انتهى الأمر إليه لأنك إذا نظرت إلى سائر الموجودات المحكمة علمت أنه لا بد لها من موجد وإذا علمت أن موجدها هو الله تعالى انتهى الأمر إليه فهو إشارة إلى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أي هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء وفيه دليل على أن جميع ما يعمله الإنسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقيل أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم إذا ضحكوا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة أي مع صوت يخرج من الأنف (وأنه هو أمات وأحيا) أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الأبناء وقيل أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) أي من كل حيوان وهو أيضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها أنثى شيء لا يصل إليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وإنما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة (من نطفة إذا تمنى) أي تصب في الرحم وقيل تقدر وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لأن النطفة شيء واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والأنثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يقدر أحد يدعيه فقوله هو خلق لأنه لم يدع أحد إيجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر أحد أن يدعي خلق السموات والأرض (وأن عليه النشأة الأخرى) أي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أي أغنى الناس بالأموال وأعطى القنية وهي أصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل أغنى بالذهب والفضة والثياب والمسكن وأقنى بالإبل والبقر والغنم وقيل أقنى أي أخدم وقيل أغنى وأقنى أي أعطى فأرضى وقيل أغنى نفسه عن خلقه وأفقر خلقه إليه وقيل أغنى بعد الفقر وأقنى أي زاد فوق الغنى لأن القنى ما يقتنى الإنسان وأقنى أي زاد فوق الغنى (وأنه هو رب الشعرى) أي أنه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لأن النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على

(ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الأوفى) أو أبدله عنه (وأن إلى ربك المنتهى) هذا كله في الصحف الأولى المنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله وإلى الله المصير (وأنه هو أضحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا بالنوائب (وأنه هو أمات وأحيا) قيل أمات الآباء وأحيا الأبناء أو أمات بالكفر وأحيا بالإيمان أو أمات هنا وأحيا ثمة (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى) إذا تدفق في الرحم يقال منى وأمنى (وأن عليه النشأة الأخرى) الإحياء بعد الموت (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (وأنه هو رب الشعرى) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا

العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة تشبيهاً له به في خلافه إياهم كما خالفهم أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضيء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار أيضاً وهما اثنتان عبابية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها أخفى من العبور والمجرة بينهما وأراد بالشعرى هنا العبور (وأنه أهلك عاداً الاولى) وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عاداً الاخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني أول الخلق هلاكاً بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) يعني منهم أحداً (وقوم نوح من قبل) يعني أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) يعني لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعني قرى قوم لوط (أهوى) أي أسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم أهوى بها (فغشاها) أي ألبسها الله (ما غشى) يعني الحجارة المنضودة المسومة (فبأي آلاء ربك تتمارى) أي تشك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أي تكذب (هذا نذير) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (من النذر الاولى) أي رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليكم كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله (أزفت الآزفة) أي قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد ﴿ قوله تعالى (أفمن هذا الحديث) يعني القرآن (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) أي استهزاء (ولا تبكون) أي مما فيه من الوعيد (وأنتم سامدون) أي لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود في اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمعرض وقيل معناه أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعني أيها المؤمنون شكراً على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة (واعبدوا) أي اعبدوا الله وانما قال واعبدوا الله لكونه معلوماً واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصباء أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافراً زاد البخاري في رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي وأحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء وذهب قوم الى وجوبها على

(وأنه أهلك عاداً الاولى) هم قوم هود وعاد الاخرى ارم عاداً لولى مدني وبصري غير سهل بادغام التنوين في اللام وضمة الاولى حمزة
ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمود فما أبقى) حمزة وعاصم الباقون وثموداً وهو معطوف على عاداً ولا ينتصب بما أبقى لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيداً فضربت وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم (وقوم نوح) أي وأهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك (أهوى) أي رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض أي أسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فغشاها) ألبسها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأي آلاء ربك) أيها المخاطب (تتمارى) تتشكك أي بما أولاك من النعم أو بما كفاك من النقم أو بأي نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هذا نذير) أي محمد منذر (من النذر الاولى) من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الاولى أي انذار من جنس الانذارات الاولى التي أنذر بها من قبلكم (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي ليس لها نفس كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها (أفمن هذا الحديث) أي القرآن (تعجبون) انكاراً (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعاً (وأنتم سامدون) غافلون لاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فاسجدوا لله واعبدوا) أي فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة والله أعلم

القارئ والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة القمر وهي مكية وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة﴾

﴿وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اقتربت الساعة) أي دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته [illegible] يدل عليه ما روي عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر [illegible] مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين [illegible] الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية أخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انشق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) ٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل [illegible] الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى [الله عليه] وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر [الناس] كلهم أخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم أنهم قد رأوه فيكذبونهم [illegible] انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول [الله] صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفار فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل [الله] اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكر المبتدعة المضاهين المخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق [لله يفعل] فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا [واشترك أهل] الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق [حصل] في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو [ينظر] اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل [من العجائب] والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم [بما] ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها [فلم] يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد وأما من قال في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على [خلافه] ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله أو دليل [يدل عليه] قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا) دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية أي تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد [انشقاق] القمر يعرضوا أي عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) أي دائم مطرد وكل شيء دام حاله قيل [illegible]

﴿سورة القمر خمس وخمسون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول أقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الاول وهو المروي في الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفي على أهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجائب لانه يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم (وان يروا) يعني أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوي من المرة القوة أو دائم مطرد أو مار ذاهب يزول ولا يبقى

٦ قوله عن ابن عمر الخ الذي في مسلم عن عبد الله ابن مسعود وقال في آخره اشهدوا بضمير الجمع فليحرر اهـ

(وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن في وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أي سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الأنباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أي منعته وأصله ازتجر ولكن التاء إذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالا لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في آخر كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما أو على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب أو بالغة من الله إليهم (فما تغن النذر) ما نفي والنذر جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به أو النذر مصدر بمعنى الإنذار (فتول عنهم) لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم نصب (يوم يدع الداع) بيخرجون أو باضمار اذكر الداعي إلى الداعي سهل ويعقوب ومكي فيهما وافق مدني وأبو عمرو في الوصل ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو



من يدعو في الكتابة لمتابعة اللفظ والداعي إسرافيل عليه السلام (إلى شيء نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف مكي (خاشعا أبصارهم) عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للأبصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الأبصار كناية عن الذلة لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما (يخرجون من الأجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤوا كالجراد (مهطعين إلى الداع) مسرعين مادي أعناقهم إليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب أنهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) أي هو مجنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قيلهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعا ربه أني) أي بأني (مغلوب) غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي (فانتصر) فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامي ويزيد [illegible] ليعقوب

---

مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوي محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وإنما قالوا ذلك تمنية لأنفسهم وتعليلا (وكذبوا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) أي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم إنه سحر القمر (وكل أمر مستقر) أي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر بأهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أو العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وإن أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر إلى غاية يتبين فيها أنه حق (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (من الأنباء) أي من أخبار الأمم الماضية المكذبة في القرآن (ما فيه مزدجر) أي متناهى وموعظة (حكمة بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية (فما تغن النذر) يعني أي غنى تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم (فتول عنهم) أي أعرض عنهم نسختها آية القتال (يوم يدع الداع) أي اذكر يا محمد يوم يدعو الداعي وهو إسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس (إلى شيء نكر) أي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له (خاشعا) وقرئ خشعا (أبصارهم) أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الأجداث) أي من القبور (كأنهم جراد منتشر) مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين (مهطعين) مسرعين مادي أعناقهم مقبلين (إلى الداع) أي إلى صوت الداعي وهو إسرافيل وقيل ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي صعب شديد وفيه إشارة إلى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين ۞ قوله تعالى (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) يعني نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعني نوحا (ربه) وقال (أني مغلوب) أي مقهور (فانتصر) أي فانتقم لي منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لأنه قد صح في

(بماء منهمر) منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها عيونا كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض (فالتقى الماء) أي مياه السماء والارض وقرئ الماءان أي النوعان من الماء السماوي والارضي (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وعلى أمر قد قدر في اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد أراد ولكن قميصي درع ألا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (تجري بأعيننا) بمرأى منا أو بحفظنا و بأعيننا حال من الضمير في تجري أي محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أي السفينة أو الفعلة أي جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ ويعتبر وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فادغمت الذال في الدال (فكيف كان عذابي ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذري يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى أن كتب الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان في أربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بايدي بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس فتبقى على الارض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث

الحديث أن السماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر أن يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) أي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) أي وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعني ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) أي قضي عليهم في أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون الماءان سواء فكان على ما قدر (وحملناه) يعني نوحا (على ذات ألواح) أي سفينة ذات ألواح وأراد بالالواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هي المسامير التي تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة وأضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها (تجري) يعني السفينة (بأعيننا) أي بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بأمرنا (جزاء لمن كان كفر) يعني ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد أمره وقيل لمن بمعنى لما أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه (ولقد تركناها آية) يعني الفعلة التي فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) أي متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من مذكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل من مدكر) وفي رواية أخرى سمعته يقول مدكرا دالا (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري (ولقد يسرنا القرآن) أي سهلنا القرآن (للذكر) أي ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) أي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن و لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي شديدة الهبوب (في يوم نحس) أي في يوم شؤم (مستمر) أي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الا أهلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) أي الريح ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصول نخل (منقعر) أي منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من

أعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا) انتصب
بشرا بفعل يفسره (نتبعه) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (انا اذا لفي ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر
ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا
انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكونوا من الملائكة فقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكار
لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من افنائهم وليس من أشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قوله (أألقي الذكر عليه من بيننا) أي
أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (بل هو كذاب أشر) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء
ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) (٢١٩) أصالح أم من كذبه ستعلمون شامي
وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات (انا مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب محتضر) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة أو فتعاطى الناقة

فبقي أجسادهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر كذبت ثمود بالنذر) أي بالانذار الذي جاء به صالح (فقالوا أبشرا منا واحدا) يعني آدميا واحدا منا
(نتبعه) أي ونحن جماعة كثيرون (انا اذا لفي ضلال) أي خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن
عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد
من الحق (أألقي الذكر عليه) يعني أأنزل عليه الوحي (من بيننا بل هو كذاب أشر) أي بطر متكبر يريد
أن يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) أي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وانما ذكر
الغد للتقريب (من الكذاب الاشر) أي صالح أم من كذبه (انا مرسلوا الناقة) أي باعثوها ومخرجوها
من الهضبة التي سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله
تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنة) أي محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) أي فانتظر ما هم صانعون (واصطبر) أي
على أذاهم (ونبئهم) أي أخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) أي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى
بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) أي نصيب من الماء (محتضر) أي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة
حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا
اللبن (فنادوا صاحبهم) يعني قدار بن سالف (فتعاطى) أي فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعني الناقة
(فكيف كان عذابي ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يعني صيحة جبريل
(فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك
دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي يهشم حين تذروه الرياح
والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من
الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ﴿ قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم
حاصبا) يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامي فعلى هذا يكون المعنى
انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعني لوطا وابنتيه
(نجيناهم) يعني من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) أي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك
نجزي) أي كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي (من شكر) يعني أن من وحد الله لم يعذبه مع المشركين

عقرها أو فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة في آية أخرى لرضاهم به أو لانه عقر بمعونتهم (فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا
عليهم) في اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم الشجر اليابس
المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح
الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم) يعني على قوم
لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته
بسحر اذا لقيته في سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له أي انعاما (من
عندنا كذلك نجزي من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته

(ولقد أنذرهم) أي لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن
طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي أنهم لما عالجوا
عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون
ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة) أول النهار
(عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فذوقوا عذابي ونذر



(ولقد أنذرهم) أي لوط (بطشتنا) يعني أخذنا إياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) أي شكوا بالإنذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أي طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحيه فتركهم عميا بإذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب وأخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم أي صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروهم (فذوقوا عذابي ونذر) يعني ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أي جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) أي دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ۞ قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التي أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعني الآيات التسع (فأخذناهم) أي بالعذاب (أخذ عزيز مقتدر) أي غالب في انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه ما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم خير من أولئكم) يعني أقوى وأشد من الذين أحللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام إنكار أي ليسوا بأقوى منهم (أم لكم براءة) يعني من العذاب (في الزبر) أي في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية (أم يقولون) يعني كفار مكة نحن جميع أي أمرنا (منتصر) أي من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أي كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعني كفار مكة (ويولون الدبر) أي الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي وقيل في الإفراد إشارة إلى أنهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها يعني جميعا والساعة أدهى وأمر أي أعظم داهية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر ۞ قوله عز وجل

ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تيقظا وانتباها إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير في قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء أو هو جمع نذير وهو الإنذار (كذبوا بآياتنا كلها) بالآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم لكم براءة في الزبر) أم أنزلت إليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (أم يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام (سيهزم الجمع) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) أي الأدبار كما قالوا كلوا في بعض بطنكم تعفوا أي ينهزمون يعني يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) أشد من الداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا أو أشد من المرة

(إن

(إن المجرمين) يعني المشركين (في ضلال وسعر) قيل في بعد عن الحق وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال أي عن طريق الجنة وسعر أي عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى (يوم يسحبون) أي يجرون (في النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) أي ذوقوا أيها المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (إنا كل شيء خلقناه بقدر) أي مقدور مكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك

﴿فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه﴾ (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن أبي هريرة قال جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية إن المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر أخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله ابن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت فقيه ذم القدرية ٭ عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال أخرجه أبو داود وله عن أبي هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فينادي نداء يسمعه الأولون والآخرون أين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم إلى النار يقول الله ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي وإنما قيل خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم أخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من

المجرمين في ضلال) عن الحق في الدنيا (وسعر) ونيران في الآخرة أو في هلاك ونيران (يو...) (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لأنها علم لجهنم من سقرته النار إذا لوحته (إنا كل شيء خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لأنه لو رفع لأمكن أن يكون خلقناه في موضع الجر وصفا لشيء ويكون الخبر مقدرا وتقديره إنا كل شيء مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر فلما تردد الأمر في الرفع عدل إلى النصب وتقديره إنا خلقنا كل شيء بقدر فيكون الخلق عاما لكل شيء وهو المراد بالآية ولا يجوز في النصب أن يكون خلقناه صفة لشيء لأنه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف والقدر والقدر التقدير أي بتقدير سابق أو خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف أنها نزلت في القدرية

غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ❁ وحكى أبو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي إمام الحرمين في كتابه الارشاد في أصول الدين ان بعض القدرية قالوا لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان أهل الحق يفوضون أمورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى أنفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليها أولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم أبو عبد الله في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع أبي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء الخير والشر جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أي خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله أعلم ❁ وأما معاني الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فان ذلك أزلي لا أول له وقوله وعرشه على الماء أي قبل أن يخلق السموات والارض وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه ❁ قوله تعالى (وما أمرنا الا واحدة) أي وما أمرنا الا مرة واحدة وقيل وما أمرنا للشيء اذا أردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا أراد سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فههنا فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقيل المراد بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد ان قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أي أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الامم (فهل من مدكر) أي متعظ بأن ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شيء فعلوه) يعني الاشياع من خير وشر (في الزبر) في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) أي من الخلق وأعمالهم وآجالهم

(وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة أي وما أمرنا بالشيء نريد تكوينه الا أن نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بامرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم في الكفر من الامم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شيء فعلوه) أي أولئك الكفار أي وكل شيء مفعول لهم ثابت (في الزبر) في دواوين الحفظة فقوله في موضع جر نعت لشيء وفي الزبر خبر لكل (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور في اللوح

أي مكتوب فيه قوله عز وجل (ان المتقين في جنات) أي بساتين (ونهر) أي أنهار وانما وحده لموافقة رؤس الآي وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم (في مقعد صدق) أي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب فيه لأن الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان (مقتدر) أي قادر لا يعجزه شيء وقيل مقربين عند مليك أمره في الملك والاقتدار أعظم شيء فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق والله أعلم

﴿تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل﴾

وهي مكية وذكر ابن الجوزي أنها مدنية في قول من قولين عن ابن عباس وهي ست وسبعون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فأنزل الله الرحمن يعني الذي أنكرتموه هو الذي علم القرآن وقيل هذا جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك أن الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لأنه أعظم وحي الله الى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه وأكثره ذكرا وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية (خلق الانسان) يعني آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعني أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لأنه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الأولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الأحكام من الحلال والحرام والحدود والأحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعني بهما حساب الأوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء

المتقين في جنات ونهر) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (في مقعد صدق) في مكان مرضي (عند مليك) عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيهما أن يعلم أن لا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير

سورة الرحمن جل وعلا وهي ست وسبعون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أي الجنس أو آدم عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين آثارا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم أتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذي له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلق له تشبيها بالساجدين من المكلفين في انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد لأن الأول وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن أنكر آلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين

وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسما رفعها) خلقها
مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبر
وسلطانه (ووضع الميزان) أي كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي
الارض حيث علق به أحكام (٢٢٤) عباده من التسوية والتعديل في أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا في الميزان) لئلا تطغوا أو هي
المفسرة (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هي أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل ما يكم أي يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي

وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلي أي والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الانام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم ذا العصف والريحان شامي أي وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان (فبأي آلاء) أي النعم مما عدد من أول السورة والى (ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين بدلالة الانام عليهما

وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول أظهر لانه ذكره مع
في مقابلة الشمس والقمر ولانهما أرضيان في مقابلة سماويين (والسماء رفعها) أي فوق الارض (ووضع
الميزان) قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى أنه أمر بالعدل يدل عليه قوله (ألا تطغوا في الميزان)
أي لا تجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التي يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف وأصل الوزن
التقدير أن لا تطغوا في الميزان أي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان (وأقيموا الوزن
أي بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) أي
لا تنقصوا (الميزان) أي لا تطففوا في الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء
وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية
لاستعماله والحث عليه (والارض وضعها) أي خفضها مدحوة على الماء (للانام) أي للخلق الذين
وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها) أي في
(فاكهة) أي من أنواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى (والنخل ذات الاكمام)
يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شيء
وقيل أكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانها أعظمها وأكثرها بركة (والـ
جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء
الاعلى لان الحب أنفع من النخل وأعم وجودا في الاماكن (ذو العصف) قال ابن عباس يعني
ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو صلاحه ورقا
وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث في الاكمام الحب (والريحان) يعني الرزق
ابن عباس رضي الله عنهما كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف
والريحان ثمرته ذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى (فبأي آلاء ربكما
يعني أيها الثقلان من هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة في أحد وثلاثين
تقريرا للنعمة وتأكيدا للتذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم
ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها
فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك
هذا ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة
على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك
أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها
بها عليكم ﴿ عن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ
الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم
كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذي

(خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حمإ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لانه يفيد انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وخلق الجان) أبا الجن وقيل هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافى الذى لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله فأنذرتكم نارا تلظى (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرقى الشمس فى الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج) يخرج مدنى وبصرى (منهما اللؤلؤ) بلا همز أبو بكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان) وصغاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يقال يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله (الجوار) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها بغير ياء فقد اجاز على بعد ولكن يروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء (المنشآت) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن (فى البحر كالأعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال)

الترمذى وقال حديث غريب فى رواية غيره كانوا أحسن منكم ردا وفيه ولا بشئ ﴿ قوله تعالى (خلق الانسان من صلصال) يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعنى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات فى صفة خلق الانسان الذى هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمإ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فى هذه العبارات اختلاف فى المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازما لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار (وخلق الجان) وهو أبو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعنى الصافى من لهب النار الذى لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا أوقدت (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعنى مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعنى مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعنى أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عما فى طبعهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعنى بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعنى الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان فى كل عام (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل أراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة ﴿ وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ما عظم من الدر (والمرجان) صغاره وقيل عكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعنى السفن الكبار (المنشآت) أى المرفوعات التى رفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى ما رفع قلعها من السفن أما ما لم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (فى البحر كالأعلام) أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ﴿ قوله عز وجل (كل من عليها) أى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء (فان) أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العباد وصرف الزمن اليسير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعنى ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفى المخاطب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم (ذو الجلال) أى ذو العظمة

ذو العظمة والسلطان وهو صفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفى الحديث ألظوا بياذا
والاكرام وروى أنه عليه السلام مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك - (فبأى آلاء ربكما
والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب الى
(يسئله من فى السموات والارض) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق
الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بما دل عليه (هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما
روى أنه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن
عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء و



والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والاكرام) أى المكرم لانبيائه
وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عن أنس بن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث
الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها ﴿ قوله تعالى (يسئله من فى السموات والارض)
يعنى من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فأهل
يسألونه المغفرة وأهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسأله الرحمة وما يحتاج اليه
أو دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وأن كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل
مفتقر الى الله تعالى (كل يوم هو فى شأن) قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضى يوم
شيأ قال المفسرون من شأنه أنه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويمرض
ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله و
فى خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز
لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة
ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن قال سفيان بن
الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذى هو فى اليوم
مدة أيام الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة
والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان
كتب ما يكون فى كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده فى
وقال أبو سليمان الدارانى فى هذه الآية له فى كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى انه يخرج فى كل
وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا
الدنيا الى القبور ثم يرحلون جميعا الى الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان)
هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغا عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن
كقول القائل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكره الفرا

والآخر يوم القيامة فشأنه
فيه الجزاء والحساب وقيل
نزلت فى اليهود حين قالوا
ان الله لا يقضى يوم السبت
شأنا وسأل بعض الملوك
وزيره عن الآية فاستمهله
الى الغد وذهب كئيبا يفكر
فيها فقال غلام له أسود
يا مولاى اخبرنى ما أصابك
لعل الله يسهل لك على يدى
فأخبره فقال أنا أفسرها للملك
فأعلمه فقال أيها الملك
شأن الله انه يولج الليل فى
النهار ويولج النهار فى الليل
ويخرج الحى من الميت
ويخرج الميت من الحى
ويشفى سقيما ويسقم سليما
ويبتلى معافى ويعافى مبتلى
ويعز ذليلا ويذل عزيزا
ويفقر غنيا ويغنى فقيرا
فقال الامير أحسنت وأمر
الوزير أن يخلع عليه ثياب
الوزارة فقال يا مولاى هذا
من شان الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له
أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله فأصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وصح ان القلم جف
بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الامة
ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وأن ليس للانسان الا ما سعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام
وأما قوله كل يوم هو فى شان فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه (فبأى آلاء ربكما تكذبان
لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه
منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد
جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ حمزة وعلى أى الله تعالى (أيه الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لانهما

يسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في أمركم فهو كقول القائل الذي
له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما
وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل
أيها الثقلان الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض أحياء وأمواتا وقيل كل شيء له قدر ووزن
ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي جعلهما
ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب (فبأي
آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) أي تخرجوا (من أقطار السموات
والارض) أي جوانبها وأطرافها (فانفذوا) أي فاخرجوا والمعنى ان استطعتم أن تهربوا من الموت
بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها حيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم
هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر
عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سمائي وأرضي
فافعلوا وقدم الجن على الانس في هذه الآية لانهم أقدر على النفوذ والهرب من الانس وأقوى على ذلك ثم
قال (لا تنفذون الا بسلطان) يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك لانكم
حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم أن تعلموا ما في السموات والارض
فاعلموا لن تعلموه الا بسلطان أي ببينة من الله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وفي الخبر يحاط على الخلق
بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادى يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات
والارض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار) قال أكثر المفسرين هو اللهب الذي لا دخان
فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو
الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود والنحاس المهل وقيل
يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر (فلا
تنتصران) أي فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه (فبأي آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء)
أي انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان
أشار الى أهل الارض ذكر في هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه
اشارة الى ما هو أعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى
(فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذي
يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ ألوانا كألوان الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي أول
الشتاء أحمر فاذا اشتد البرد صار أغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل
(كالدهان) أي كعصير الزيت لانه يتلون في الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين
يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان أي كالاديم الاحمر (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه
انس ولا جان) قيل لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم

(فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض
فانفذوا) أي ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من قضائي فاخرجوا منها ثم قال (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا
بسلطان) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الاقطار
اليوم وقيل يقال لهم هذا
يوم القيامة حين تحدق
بهم الملائكة فاذا رآهم
الجن والانس هربوا فلا
يأتون وجها الا وجدوا
الملائكة احتاطت به
(فبأي آلاء ربكما تكذبان
يرسل عليكما شواظ من
نار) وبكسر الشين مكي
وكلاهما اللهب الخالص
(ونحاس) أي دخان ونحاس
مكي وأبو عمرو فالرفع
عطف على شواظ والجر
على نار والمعنى اذا خرجتم
من قبوركم يرسل عليكما
لهب خالص من النار ودخان
يسوقكم الى المحشر (فلا
تنتصران) فلا تمتنعان
منهما (فبأي آلاء ربكما
تكذبان فاذا انشقت السماء)
انفك بعضها من بعض لقيام
الساعة (فكانت وردة)
فصارت كلون الورد الاحمر
وقيل أصل لون السماء الحمرة
ولكن من بعدها ترى
زرقاء (كالدهان) كدهن
الزيت كما قال كالمهل وهو
دردي الزيت وهو جمع
دهن وقيل الدهان الاديم
الاحمر (فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيومئذ) أي فيوم
تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) أي ولا جن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير
لا يسئل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسئولون ان ذلك يوم طويل
وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا
يعملون لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ

وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس أيضا في الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لا يسألون سؤال شفقة ورحمة إنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) يعني بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) قيل تجعل الأقدام مضمومة الى النواصي من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يؤخذ بالنواصي وبعضهم بالأقدام ثم يلقون في النار (فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم) أي جهنم ثم يلقون فيها (التي يكذب بها المجرمون) يعني المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعني انتهى حره والمعنى أنهم يسعون بين الجحيم وبين الجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي قد صار كالمهل وقال كعب الأحبار آن واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان قلت هذه الأمور المذكورة في هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قلت المذكور في هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه) يعني مقامه بين يدي ربه فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله في السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أخلصه لله ولا يحب أن يطلع عليه أحد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله بالاخلاص ودأبوا الليل والنهار (جنتان) يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذي قوله أدلج الادلاج السير أول الليل والمنقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد في أول الأمر وان من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا أفنان أي أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الأغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعني ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) بالكرامة والزيادة لأهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل

أي يؤخذ تارة بالنواصي وتارة بالأقدام (فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) النعمة في هذا نجاة الناجي منه بفضله ورحمته وما في الانذار به من التنبيه (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصي وأدى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونبيت عنه مقام الذئب أي نبيت عنه الذئب (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لأن الخطاب للثقلين وكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني (فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أغصان جمع فنن وخص الأفنان لأنها هي التي تورق وتثمر وتمد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو ألوان جمع فن أي له فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضر (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما) في الجنتين (عينان تجريان) حيث شاءا في الأعالي والأسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل

أحدهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان ونوعان وقيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهي التي تلي الأرض من تحت الظهارة (من إستبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من إستبرق فما الظهائر قال هي مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لأنه ذكر أن بطائنها من الإستبرق ولا بد أن تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر (وجنى الجنتين دان) يعني أن ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فإنها لا تنال إلا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) فإن قلت الضمير إلى ماذا يعود قلت إلى الجنتين وإنما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) أي غاضات الأعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن على غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك (لم يطمثهن) أي لم يجامعهن ولم يفترعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن إلي لم يطمثن قبلي * وهن أصح من بيض النعام

أي لم يمسسن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (إنس قبلهم) أي قبل أزواجهن من أهل الجنة (ولا جان) قيل في الآية نفي الجن لأن لهم أزواجا في الجنة منهم وفي الآية دليل على أن الجني يغشى كما يغشى الإنسي وسأل ضمرة ابن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الآية إذا جامع ولم يسم انطوى الجني على إحليله فجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثن فقيل هن الحور العين لأنهن خلقن في الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل إنهن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتي متن أبكارا ومعنى الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن لأن ذلك أقر لأعين أزواجهن إذا لم يغشهن أحد غيرهم (فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لأن أحسن الألوان البياض المشوب بحمرة والأصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه لأنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لأن الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء

(فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من إستبرق) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها إلا الله (وجنى الجنتين دان) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكئ (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم (لم يطمثهن) بكسر الميم الدوري وعلي بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (إنس قبلهم ولا جان) وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس (فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا فهو أبيض من اللؤلؤ

هل جزاء الإحسان) في العمل (إلا الإحسان) في الثواب وقيل ما جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة وعن إبراهيم الخواص فيه هل جزاء الإسلام إلا دار السلام (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه للعطف ولأن التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا إنما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكال (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان) أي خيرات فخففت وقرئ خيرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق

اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الألوة يعني عودهم العود (فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة البغوي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بالعمل الحسن إلا أن [illegible] بعمل حسن وفي الآية إشارة إلى رفع التكليف في الآخرة لأن الله وعد المؤمنين بالإحسان ولو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعتاب بترك الإحسان فلا تكليف (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أي ومن دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الأشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنات للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين ورمان (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكلبي ومن دونهما جنتان يعني أمامهما وقبلهما يدل الضحاك الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والجنتان الأخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل الأوليين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أي سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أي فوارتان بالماء لا تنقطعان وقال ابن عباس والضحاك تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك تنضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كنضخ المطر (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) يعني أنواع الفواكه كلها وإنما عطف النخل والرمان بالواو وإن كانا من جملة الفواكه تنبيها على شرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا إنما فصلهما بالذكر والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وإن كانا من الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لأن ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وبهذا قال أبو حنيفة إذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطبا أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوي عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ٢ ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروي أن الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل إن نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) أي في الجنان الأربع (خيرات حسان) وروي عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى

٢ قوله وكرمها كذا في النسخ بالميم هنا وأجل ولعل الصواب بالباء الموحدة ومعناه أصول السعف كما في الصحاح اهـ

أخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام) أي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا (في الخيام) قيل هي البيوت قال ابن الأعرابي الخيمة لا تكون الا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا أقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة (ق) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) تقدم تفسيره (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل هي الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي البسط الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم أر عبقريا يفري فريه وأصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك أن العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شيء عجيب بديع (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى أن الباقي هو الله تعالى والدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائي والله أعلم بمراده

## ﴿تفسير سورة الواقعة﴾

مكية وسبع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف وروى البغوي عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو ظبية لا يدعها أبدا أخرجه ابن الأثير في كتابه جامع الأصول ولم يعزه والله تعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) أي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة

... آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام) أي مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أي مخدرة وقيل الخيام من الدر المجوف ... (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد (خضر وعبقري حسان) ديباج أو طنافس (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وانما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما لأن مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ (تبارك اسم ربك ذي الجلال) ذي العظمة ذو الجلال شامي صفة للاسم (والاكرام) لأوليائه بالانعام روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال مالي أراكم سكوتا الجن كانوا أحسن منكم ردا ما أتيت على قول الله فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية في هذه السورة احدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم

﴿سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها ووقوع الأمر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر

(ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أى لاتكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لان كل نفس صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى (خافضة رافعة) أى هى خافضة ترفع أقواما وتضع آخرين (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال (وبست الجبال بسا) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التى بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثلاثة) صنفان فى الجنة وصنف فى النار ثم فسر الازواج فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (ما أصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الاول وهو تعجب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال ماهم وأى شئ هم (وأصحاب المشأمة) أى الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال (ما أصحاب المشأمة) أى أى شئ هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره وتقديره السابقون الى الخيرات السابقون الى الجنات وقيل الثانى تأكيد للاول والخبر (أولئك المقربون) والاول أوجه (فى جنات النعيم) أى هم فى جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أى هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى أن السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من

الاخير وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) أى لمجيئها (كاذبة) أى ليس لها كذب انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قضية كاذبة أى كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أى ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير نفس أخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) أى تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا فى الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا فى الدنيا متضعين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة (اذا رجت الارض رجا) أى اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبى فى المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعنى أصحاب اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم صالحة فى الطاعة وهم التابعون باحسان (ما أصحاب الميمنة) تعجيب من حالهم فى السعادة والمعنى أى شئ هم (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) يعنى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى هم هؤلاء الى النار ولا أبالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا اليه من أعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور العظام قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة فى الثواب واما مسىء فيرجع عن العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد أصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم أثنى على السابقين بقوله تعالى (أولئك المقربون) أى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) قوله تعالى (ثلة) أى جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) أى من الامم الماضية من لدن آدم الى نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من

وقال النبي صلى الله عليه وسلم الثلثان جميعا من أمتي (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) منسوجة
بالجوهر والياقوت (متكئين) حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقروا متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم في وجوه
بعض ولا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق  وصفاء المودة ومتقابلين حال أيضا

الماضية أكثر من عاين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن معه وقيل ان الاولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين أي ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) أي منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعني مصفوفة (متكئين عليها) أي على السرر (متقابلين) يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم صار وا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار وظهور (يطوف عليهم) أي للخدمة (ولدان) أي غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حال الى حال وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالا وفيه ضعف لان الله أخبر انه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بأبي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول أقرب من الاول لانه قد اختلف في أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامتولدة وان أسنت (بأكواب) جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا (وأباريق) جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعراسيب أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكأس من معين) أي من خمرة جارية (لا يصدعون عنها) أي لا تصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن السكر وقيل لا ينفرقون عنها (ولا ينزفون) أي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) أي يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير فيقع بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فان قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم (وحور عين) أي ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء في تفسير حور أي بيض عين أي ضخام العيون (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء روي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروي ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما

(يطوف عليهم) يخدمهم (ولدان) غلمان جمع وليد (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بأكواب) جمع كوب وهي آنية لا عروة لها ولا خرطوم (وأباريق) جمع ابريق وهو ماله خرطوم وعروة (وكأس) وقدح فيه شراب وان لم يكن فيه شراب فليس بكأس (من معين) من خمر تجري من العيون (لا يصدعون عنها) أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها (ولا ينزفون) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاي كوفي أي لا ينفد شرابهم يقال انزف القوم اذا فني شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء أي وفيها حور عين أو ولهم حور عين



ويجوز أن يكون عطفا على ولدان وحور وعين بجر حمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كأنه قال وهم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور
(كأمثال اللؤلؤ) في الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال

الاستعمال (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء أعمالهم أو مصدر أى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (الا قيلا سلاما سلاما) الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا ومفعول به لقيلا أى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود [illegible] له كأنما خضد شوكه (وطلح منضود) الطلح شجر الموز والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) جار بلا حد ولا خد أى يجرى على الارض فى غير أخدود (وفاكهة كثيرة) أى كثيرة الاجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع فى بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هى دائمة (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان (وفرش) مرفوعة رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هى النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما أن يراد اللاتى ابتدئ انشاؤهن أو اللاتى أعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لان ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن وجدوهن أبكارا

من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون) أى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة (لغوا) قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولا تأثيما) قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض أثمت لا يتكلمون عما فيه اثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأتون تأثيما أى ما هو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح (الا قيلا) معناه لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا (سلاما سلاما) يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) لما بين حال السابقين شرع فى حال أصحاب اليمين فقال تعالى (فى سدر مخضود) أى لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع ونزع هذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية (وطلح) هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة ووعدوا مثل ما يحبون ويعرفون الا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) أى متراكب قد نضد بالحمل من أوله الى آخره فليست له سوق بارزة بل من عروقه الى أغصانه ثمر وليس شئ من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) أى دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لا شمس فيها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون فى أصلها فيشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحا من الجنة تحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا (وماء مسكوب) أى مصبوب يجرى دائما فى غير أخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد اذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال على مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى مرفوعة عالية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال الترمذى قال بعض أهل العلم فى تفسير هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة فى الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أى رفعن بالعقل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله تعالى عقبه (انا أنشأناهن انشاء) أى خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر (فجعلناهن أبكارا) يعنى عذارى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال المنشآت اللاتى كن

الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى قال إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل وروى بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إنا أنشأناهن إنشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بعد الكبر خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل إنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع (عربا) جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام (أترابا) يعني أمثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (لأصحاب اليمين) يعني أنشأناهن لأصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكر لأصحاب اليمين (ثلة من الأولين) يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الأمة (وثلة من الآخرين) يعني من مؤمني هذه الأمة يدل عليه ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلينا ثلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل إلى الأربعين (ق) عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة إلى أن الثلتين جميعا من هذه الأمة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابقي هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة أيضا في آخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس

(عربا) عربا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام في (لأصحاب اليمين) أي صلة أنشأنا (ثلة) من أصحاب اليمين ثلة (من الأولين وثلة من الآخرين) فإن قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك في السابقين وهذا في أصحاب اليمين وإنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقوا الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعوا الأمم مثل تابعي هذه الأمة

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الشمال والمشأمة واحد (في سموم) في حر نار ينفذ في المسام (وحميم) وماء حار متناه في الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود (لا بارد ولا كريم) نفى لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه ظل حار ضار (إنهم كانوا قبل ذلك) أي في الدنيا (مترفين) منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنث العظيم) على الذنب العظيم أو على الشرك لأنه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تقديره أنبعث إذا متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه إذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لأن إن والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أو آباؤنا الأولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي أو آباؤنا مدني وشامي (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما (ثم إنكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (لآكلون من شجر) من لابتداء الغاية (من زقوم) من لبيان الشجر (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم) أنث ضمير الشجر على المعنى وذكر على اللفظ في منها وعليه (فشاربون شرب) بضم الشين مدني وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هي إبل عطاش لا تروى جمع أهيم وهيماء والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وإنما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان لأن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم

في هذه الأمة ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن وكان بعده لم يعاينه فإن قلت كيف قال في الآية الأولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين قلت الآية الأولى في السابقين الأولين وقليل من يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في أصحاب اليمين وهم كثيرون من الأولين والآخرين وحكي عن بعضهم أن هذه ناسخة للأولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لأن الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ ۞ قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) قد تقدم أنه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين مقيلهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) أي في حر النار وقيل في ريح شديدة الحر (وحميم) أي ماء حار مغلي (وظل من يحموم) يعني في ظل من دخان شديد السواد قيل إن النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار (لا بارد ولا كريم) يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لأن فائدة الظل ترجع إلى أمرين أحدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الإنسان فيه مكرما وظل أهل النار بخلاف هذا لأنهم في ظل من دخان أسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك) يعني في الدنيا (مترفين) يعني منعمين (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل إن الأولين والآخرين) يعني الآباء والأبناء (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) يعني أنهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم إنكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) أي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل إنه عام في كل ضال مكذب (لآكلون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) يعني الإبل العطاش قيل إن الهيام داء يصيب الإبل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الأرض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم فلا يروون (هذا نزلهم) يعني ما ذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم (يوم الدين) يعني يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعني ولم تكونوا شيئا

تعلمون ذلك (فلولا) أي فهلا (تصدقون) يعني بالبعث بعد الموت ۞ قوله عز وجل (أفرأيتم ما تمنون) يعني ما تصبون في الأرحام من النطف (أأنتم تخلقونه) أي أأنتم تخلقون ما تمنون بشرا (أم نحن الخالقون) أي إنه خلق النطفة وصورها وأحياها فلا تصدقون بأنه واحد قادر على أن يعيد كما أنشأ ثم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا أو شابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه أنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) يعني لأنه ولي شيء أراده ولا يمتنع مني أحد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم وهو قوله تعالى (على أن نبدل أمثالكم) أي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في أسرع حين (وننشئكم) أي نخلقكم (فيما لا تعلمون) أي من الصور والمعنى نغير خلقتكم إلى ما هو أسمج منها من أي خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أي إن أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء أن يهلكهم ويأتي بأمثالهم من بني آدم قدر ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض أهل المعاني هذا يدل على النشأة الثانية بكونها إنه تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الإنشاء الأول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمونه يعني وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لأن التبديل والإنشاء هو الموت والبعث وإذا كان ذلك واقعا في الأزمان ولا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الأولى) أي الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) أي أني قادر على إعادتكم كما قدرت على ابتدائكم أول مرة ۞ قوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون) لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لأن به البقاء وذكر أمورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به من إصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول أولا لأنه هو الغذاء وأتبعه المشروب لأن به الاستمراء ثم النار التي بها الإصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لأنه هو الأصل ومن المشروب الماء لأنه أيضا هو الأصل وذكر من المصلحات النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية فقوله أفرأيتم ما تحرثون أي ما تثيرون من الأرض وتلقون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) أي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه (أم نحن الزارعون) معناه أأنتم فعلتم ذلك أم الله ولا شك في أن إيجاد الحب في السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وإن كان إلقاء البذر من فعل الناس (لو نشاء لجعلناه) يعني ما تحرثونه وتلقون فيه من البذر (حطاما) أي تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون أنتم على حفظه أو هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه ولا يشك أحد في أن دفع الآفات ليس إلا بإذن الله وحفظه (فظلتم تفكهون) أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون

فلولا (تصدقون) تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به وإما بالبعث لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (أفرأيتم ما تمنون) ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام من النطف (أأنتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكي سبقته بالشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) إنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها (ولقد علمتم النشأة الأولى) النشاءة مكي وأبو عمرو (فلولا تذكرون) أن من قدر على شيء مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى (أفرأيتم ما تحرثون) ما تحرثونه من الطعام أي تثيرون الأرض وتلقون فيها البذر (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا (أم نحن الزارعون) المنبتون وفي الحديث لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما متكسرا قبل إدراكه (فظلتم تفكهون) تعجبون أو تندمون على تعبكم وإنفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها

(انا) أى تقولون انا لمغرمون أبو بكر (لمغرمون) لملزمون غرامة ما انفقنا ومهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن محرومون) محاربون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا (أفرأيتم الماء الذى تشربون) أى الماء العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب الابيض وهو أعذب ماء (أم نحن المنزلون) بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحا أو مرا لا يقدر على شربه (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها ان الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه واثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فادخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أفرأيتم النار التى تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد (أم نحن المنشؤن) الخالقون لها ابتداء (نحن جعلناها) أى النار (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين فى القواء وهى القفر خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من قولهم أقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال أفرأيتم ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد ما دام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد بالاسم الذكر أى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فلا أقسم) أى فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرئ فلأقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدإ وخبر وهى أنا أقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لان

---

على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات (انا لمغرمون) أى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما المعذبون يعنى انهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرومون) أى ممنوعون والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه من الريع فى الزرع (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عز وجل (لو نشاء جعلناه أجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه (فلولا) أى أفلا (تشكرون) يعنى (أفرأيتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أأنتم أنشأتم شجرتها) يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع الشجر التى توقد منه النار (أم نحن المنشؤن نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا (تذكرة) أى للنار الكبرى اذا رآى الرائى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها (ومتاعا) أى (للمقوين) يعنى المسافرين والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه يتمتع بها أهل البوادى والسفار فان منفعتهم أكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على ما يريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون خطابا لكل فرد من ... باسم ربك أى برئ الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بربك العظيم ۞ قوله عز وجل (فلا أقسم) قال أكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على أصلها

وفي معناها وجهان أحدهما أنها ترجع الى ما تقدم ومعناها النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج الوجه الثاني أن لا رد لما قاله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هاهنا معناها النفي فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الأمر لا النهي عن السؤال (بمواقع النجوم) قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل أراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها انقضاضها في إثر الشياطين عند الرجم (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قيل هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون أي فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم (انه لقرآن كريم) أي ان الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم أي عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شأنه أن يعطي الكثير وسمي القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التي تؤدي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كريما لان كل أحد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسأمه السامعون ويهون في الاعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك (في كتاب مكنون) أي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول أصح (لا يمسه) أي ذلك الكتاب المكنون (الا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث روي هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة على القول الثاني من أن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون أي من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ولذته الا من آمن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء ويدل عليه ما روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم وأن لا تمس القرآن الا طاهرا أخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح أن المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان المراد من لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعي

تقرن بها النون المؤكدة (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها بوقع حمزة وعلي ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وهو اعتراض في اعتراض لانه اعتراض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) حسن مرضي أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (في كتاب) أي اللوح المحفوظ (مكنون) مصون عن أن يأتيه الباطل أو من غير المقربين الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لا يمسه الا المطهرون) من جميع الادناس أدناس الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسه الا من هو على الطهارة من الناس والمراد

أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بأن المراد من الكتاب هو المصحف ومن
أخذه من طريق الاستنباط قال المس طهر صفة للفعل التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا الأليق
بمباشرة المصحف الكريم والصحيح أنه أخذه من السنة ودليله ما تقدم من الأحاديث والله أعلم ﴿ قوله
تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا
اتساعا كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال إن القرآن شعر أو سحر أو كهانة
تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين ﴿ قوله عز وجل (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم) أي
يا أهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق
وهو الذي يجري في الباطل على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وإن صرح بالتكذيب
والكفر (وتجعلون رزقكم) أي حظكم ونصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن في
هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم
أنكم تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا إذا أمطروا يقولون
مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم
التكذيب فمن نسب الإنزال إلى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى أتجعلون
بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله
ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي
كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب رواه مسلم وزاد عن
ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله
وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب
كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا
وفي رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله في أثر سماء أي أثر مطر والنوء
الكوكب يقال ناء النجم ينوء إذا سقط وغاب وقيل ناء إذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى
وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما أنه كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن
الإسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم
ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر
الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد أن إيجاد المطر من الله ورحمته وأن النوء ميقات له وعلامة
اعتبارا بالعادة فكأنه قال مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد إلى فعل النجم كما جاء عن عمر أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس
كم بقي من نوء الثريا فقال إن العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع
حتى غيث الناس وإنما أراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة أنه إذا تم أتى الله المطر فهذا جائز لا
كفر فيه واختلفوا في كراهية هذا والأظهر أنها كراهية تنزيه لا إثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة أنها
كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولأنها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم القول
الثاني تأويل أصل الحديث أن المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب
وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث أبي هريرة ما أنزل الله من السماء

من المكتوب منه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن أي منزل (من رب العالمين) أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدأ (أفبهذا الحديث) أي القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في بعض الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب موضع الشكر أي وضعتم التكذيب موضع الشكر وفي قراءة علي رضي الله عنه وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها والرزق المطر أي وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم

(فلولا اذا بلغت) النفس أى الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهى الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) أنكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى الآيتين للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين ولولا الثانية مكررة وقلتنا كيف ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى انكم فى جحودكم آيات الله فى كل شىء ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل اليكم (٢٤١) رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فمالكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فروح) فله استراحة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما (وأما ان كان من المكذبين الضالين) هم الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم انكم أيها الضالون المكذبون (فنزل من حميم وتصلية جحيم) أى ادخال فيها وفى هذه الآيات اشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ما تشتكى فقال ذنوبى فقال ما تشتهى قال رحمة ربى قال أولا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضنى فقال ألا نأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال ندفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله اقترب الرحمن

( ٣١ - (خازن) - رابع )

الا اصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم قوله تعالى (فلولا) أى فهلا (اذا بلغت الحلقوم) أى النفس أو الروح الى الحلقوم عند الموت (وأنتم) يعنى يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى أمرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيأ (ونحن أقرب اليه منكم) أى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب الى الميت منكم (ولكن لا تبصرون) أى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون أى لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) أى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) أى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فأما ان كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) أى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة (وريحان) أى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه (وجنة نعيم) أى وله جنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار (وأما ان كان) يعنى المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيآتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من أصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) أى بالبعث (الضالين) أى عن الهدى وهم أصحاب الشمال (فنزل من حميم) أى الذى يعد لهم حميم جهنم (وتصلية جحيم) أى وادخال بار عظيمة (ان هذا) يعنى ما ذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) أى لا شك فيه وقيل ان هذا الذى قصصنا عليك فى هذه السورة من الاقاصيص وما أعد الله لاوليائه من النعم وما أعد لاعدائه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أى فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبأمره عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو داود عن حذيفة أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان

الواقعة والله أعلم ﴿سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله﴾ جاء في بعض
الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وفي

بني اسرائيل بلفظ المصدر وفي الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع

يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة (م) عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث في صحيح البخاري والله أعلم

﴿تفسير سورة الحديد وهي مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وست وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات والارض) يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي قولهم والحق أن التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان أحدهما أنها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله ما في السموات والارض من في السموات وهم الملائكة ومسبحي الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع أجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارض وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء أبدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة أبدا في الماضي وستكون مسبحة أبدا في المستقبل (وهو العزيز) أي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء (الحكيم) أي الذي جميع أفعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أي انه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه (يحيي ويميت) أي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا (وهو على كل شيء قدير) قوله عز وجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) يعني هو الاول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجودا والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء وقيل بوجوده في الازل وقيل الابتداء والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذي سبق وجوده كل موجود والآخر يبقى بعد كل مفقود وقال الامام أبو بكر بن الباقلاني معناه أنه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرها التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا

وهي أربع المصدر والماضي والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدي باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تسبحوه وأصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد يسبح لله أي كتب التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما في السموات والارض) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (وهو العزيز) المنتقم من مكلف لم يسبح عنادا (الحكيم) في مجازاة من سبح له انقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع يحيي رفع أي هو يحيي الموتى (ويميت) الاحياء أو نصب أي له ملك السموات والارض محييا ومميتا (وهو على كل شيء قدير هو الاول) هو القديم الذي كان قبل كل شيء (والآخر) الذي يبقى بعد هلاك كل شيء (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو الاولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو مستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه

الباقي بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعني أهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء أجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا تستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) ە (م) عن سهيل بن أبي صالح قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة أيضا قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث انما أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم السماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا

قوله عز وجل (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم أينما كنتم) أي بالعلم والقدرة فلا ينفك أحد من تعلق علم الله تعالى وقدرته به أينما كان من أرض أو سماء برا أو بحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكهم

(وهو بكل شئ عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) عن الحسن من أيام الدنيا ولو أراد أن يجعلها في طرفة عين لفعل ولكن جعل السنة أصلا ليكون عليها المدار (ثم استوى) استولى (على العرش يعلم ما يلج في الارض) ما يدخل في الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من الملائكة والامطار (وما يعرج فيها) من الاعمال والدعوات (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب أعمالكم (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار) يدخل الليل في النهار بان ينقص من الليل ويزيد في النهار (ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا) يحتمل الزكاة والانفاق في سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) يعني ان الاموال التي في أيديكم انما هي أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم

مستخلفين عمن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم وسيتقله منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائماً بمعنى ما تصنع قائماً أي وما لكم كافرين بالله والواو في (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى وأي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم (لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله ألست بربكم أو بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه أخذ ميثاقكم أبو عمرو (هو الذي ينزل (٢٤٤) على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) الله تعالى أو محمد بدعوته (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة حجازي وشامي وحفص (رحيم) الرأفة أشد الرحمة (وما لكم ألا تنفقوا) في أن لا تنفقوا (في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين أنفقوا من بعد يدل عليه (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) أي كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول أول لوعد والحسنى ثان وكل شامي أي وكل وعده الله الحسنى نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله وفيه دليل على تقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر أعمالكم (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء

وأعطاكم إياه فكنتم في ذلك المال خلفاء عمن مضى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) يعني وأي عذر لكم في ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه فيتنبه عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد أخذ ميثاقكم) أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعو الى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) أي يوما ما فالآن أحرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذي ينزل على عبده) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات الى النور) أي من ظلمات الشرك الى نور الايمان (والله بكم لرؤف رحيم)

قوله تعالى (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول أي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقرب بكم من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالاولى أن تنفقوها الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين وقيل الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي اني عن ربي راض اني عن ربي راض (وكلا وعد الله الحسنى) يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها (والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) أي بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى تجمع فيه أوصاف عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من

فيضاعفه له) أي يعطيه أجره على انفاقه أضعافاً مضاعفة من فضله (وله أجر كريم) أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه
فيضاعفه مكي فيضعفه شامي فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه أو عطف على
يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب بإضمار اذكر تعظيماً لذلك اليوم (يسعى) يمضي (نورهم) نور
توحيدهم والطاعات وإنما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن
الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات) أي دخول جنات لأن البشارة تقع بالأحداث دون الجثث (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول) هو بدل من يوم ترى (المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أي انتظرونا لأنه يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا نظرة من النظرة وهي الإمهال جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نوراً) طرد لهم وتهكم بهم أي تقول لهم الملائكة أو المؤمنون ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك
فمن ثم يقتبس أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه وهو الإيمان (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل
بين شق الجنة وشق النار قيل هو الأعراف (له) لذلك السور (باب) لأهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق
الذي يلي الجنة (فيه الرحمة) أي النور أو الجنة (وظاهره) ما ظهر لأهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أي الظلمة أو النار
(ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين (ألم نكن

---

لك وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها وأن تكتم الصدقة ما أمكنك
وأن لا تتبعها المن والأذى وأن تقصد بها وجه الله ولا تراءي بها الناس وأن تستحقر ما تعطي وتتصدق به
وإن كان كثيراً وأن يكون من أحب أموالك إليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة
أوصاف إذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضاً حسناً (فيضاعفه له) يعني يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً
(وله أجر كريم) يعني وذلك الأجر كريم في نفسه ﴿قوله عز وجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعني
على الصراط (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) أي عن أيمانهم وقيل أراد جميع الجوانب فعبر بالبعض
عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين
من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا
موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم
من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الآية يسعى
نورهم بين أيديهم أي يعطون كتبهم بأيمانهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أي انتظرونا
(نقتبس من نوركم) أي نستضيء من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المؤمنين
نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم فبينا هم يمشون إذ بعث
الله ريحاً وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى
بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل
يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا
نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا
وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا إلى الدنيا فاعملوا فيها أعمالاً يجعلها الله لكم نوراً وقيل معناه لا نور لكم
عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) أي اطلبوا لأنفسكم هنالك (نوراً) أي لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا
فيرجعون في طلب النور ولا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله
تعالى (فضرب بينهم) أي بين المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) أي لذلك السور
(باب باطنه فيه الرحمة) أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أي من قبل
ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروي عن عبد الله بن عمر قال إن السور الذي ذكر في القرآن هو سور بيت
المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في
الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس إنه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية
(ينادونهم) يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة (ألم نكن

معكم) يريدون من أنفسهم في الظاهر (قالوا) أي المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم في التوحيد (وغرتكم الأماني) طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار (حتى جاء أمر الله) الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم أو بأنه لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يؤخذ) وبالتاء شامي (منكم) أيها المنافقون (فدية) ما يفتدى به (ولا من الذين كفروا مأواكم النار) مرجعكم (هي مولاكم) هي أولى بكم وحقيقة مولاكم محراكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم أي مكان لقول القائل إنه لكريم (وبئس المصير) النار (ألم يأن) من أنى الأمر يأني إذا جاء إناه أي وقته وقيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا وأصابوا الرزق والنعمة فتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن أبي بكر رضي الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزّل وما بمعنى الذي والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وإنه حق نازل من السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء رويس على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الأمد) الأجل أو الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين أي وقليل منهم مؤمنون (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها

---

معكم) أي في الدنيا نصلي ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها بالنفاق وا... واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) أي بالإيمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه (وارتبتم) أي شككتم في نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الأماني) أي الأباطيل وذلك ما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعني الموت وقيل هو إلقاؤهم في النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أي عوض وبدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم إيمان ولا توبة (ولا من الذين كفروا) يعني المشركين وإنما عطف الكفار على المنافقين وإن كان المنافق كافرا في الحقيقة لأن المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (مأواكم النار) أي مصيركم (هي مولاكم) أي وليكم وقيل هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لأنها ملكت أمركم وأسلمتم إليها فهي أولى بكم من كل شيء وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لأن من كانت النار مولاه فلا مولى له (وبئس المصير) ﴿قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك أحسن القصص فأخبرهم أن القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله ألم يأن للذين آمنوا يعني في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت في المؤمنين وذلك أنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس إن الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن يعني أما حان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم أي ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله أي لذكر الله (وما نزل من الحق) يعني القرآن (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعني اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) أي الزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى أن الله نهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روي عن أبي موسى الأشعري أنه بعث إلى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعني الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿قوله عز وجل (اعلموا أن الله يحيي الأرض) أي بالمطر (بعد موتها) أي يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على إحياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة

يبين لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض (ان المصدقين والمصدقات)
بتخفيف الصاد وحده مكي وابو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو
اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء في الصاد وقرئ على الاصل (واقرضوا الله قرضا حسنا) هو عطف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام
بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة
النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكي وشامي (ولهم اجر كريم) اي الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون والشهداء عند ربهم) يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله (٢٤٧) بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى
التصديق واستشهدوا في سبيل الله (لهم اجرهم ونورهم) اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (في الاموال والاولاد) اي مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث
فاستوى وقوي واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما
عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفي الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة
من الله ورضوان) للمؤمنين يعني ان الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما
الآخرة فما هي الا امور عظام وهو العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف في كمثل غيث في محل رفع على انه خبر بعد خبر اي
الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان
طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل في غيرها ولما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد
من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) اي بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل

---

يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات) اي الدالة
على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا) اي بالصدقة
والنفقة في سبيل الله (يضاعف لهم) اي ذلك القرض (ولهم اجر كريم) اي ثواب حسن وهو الجنة (والذين
آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون) اي الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو
صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة في كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة في ثمانية نفر من
هذه الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل اراد
بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم
ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون
على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله (لهم اجرهم) اي بما عملوا من
العمل الصالح (ونورهم) يعني على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) لما ذكر
حال المؤمنين اتبعه بحال الكافرين ﷺ قوله عز وجل (اعلموا انما الحياة الدنيا) اي مدة الحياة في هذه الدار
الدنيا وانما اراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته
خير كلها ثم وصفها بقوله (لعب) اي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان (ولهو) اي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب
(وزينة) اي منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعني انكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به
بعضكم على بعض (وتكاثر في الاموال والاولاد) اي مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل
تكاثرا به ويتطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله تعالى واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى
(كمثل غيث اعجب الكفار) اي الزراع وانما سمي الزراع كفارا لانهم يكفرون الارض بالبذر (نباته) اي ما نبت
من ذلك الغيث (ثم يهيج) اي ييبس (فتراه مصفرا) اي بعد خضرته (ثم يكون حطاما) اي يتحطم ويتكسر
بعد يبسه ويفنى (وفي الآخرة عذاب شديد) اي لمن كانت حياته بهذه الصفة قال اهل المعاني زهد الله
بهذه الآية في العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل
للآخرة بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) اي لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة
من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) اي لمن عمل
لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة فهي له بلاغ الى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن

سارعوا لمسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال السدى كعرض سبع السموات
وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله أبسط وأزيد
البسطة وهذا ينفى قول من يقول ان الجنة فى السماء الرابعة لان التى فى احدى السموات لاتكون فى عرض السموات والارض (أعدت
للذين آمنوا بالله ورسله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون
وفيه دليل على انه لايدخل أحد الجنة الا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من



مصيبة فى الارض) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الارض فى موضع الجر أى ما أصاب من مصيبة ثابتة فى الارض (ولا فى أنفسكم) من الامراض والاوصاب وموت الاولاد (الا فى كتاب) فى اللوح وهو فى موضع الحال أى الا مكتوبا فى اللوح (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق الانفس (ان ذلك) أى تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغيكم (على ما فاتكم) من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) أعطاكم من الايتاء أبو عمرو أتاكم أى جاءكم من الاتيان يعنى انكم اذا علمتم ان كل شئ مقدر مكتوب
عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم ان ماعنده مفقود لامحالة لم يتفاقم جزعه عند
فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لايفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس أحد
يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافى
للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر (والله لايحب كل مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر
به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من كل مختال فخور كانه قال لايحب الذين يبخلون يريد ان الذين يفرحون
الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (ويأمرون الناس

لم يشتغل فيها طالب الآخرة ﴿ قوله عز وجل (سابقوا الى مغفرة من ربكم) معناه ليكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ما أنتم عليه بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة والمعنى سابقوا مسارعة المسابقين فى المضمار الى مغفرة أى الى ما يوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قيل لو جعلت السموات السبع والارضين السبع صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى عرضها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولاشك ان الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها أضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وأفكارهم وأكثر ما يقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفونه (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لانه ذكر ان الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله فى سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فبين انه لايدخل أحد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله (والله ذو الفضل العظيم) (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل ﴿ قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الارض) يعنى قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا فى أنفسكم) يعنى الامراض وفقد الاولاد (الا فى كتاب) يعنى فى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة (ان ذلك على الله يسير) أى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) أى تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أى لاتبطروا (بما آتاكم) أى أعطاكم قال عكرمة ليس أحد الا يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لايحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فأما الحزن الذى لايكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس به والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لايرده اليك الموت ومالك تفرح بموجود لايتركه فى يديك الموت (والله لايحب كل مختال) أى متكبر بما أوتى من الدنيا (فخور) أى يفخر به على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى

ويحثون غيرهم على البخل ويرغبونهم فى الامساك (ومن يتول) يعرض عن الانفاق أوعن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتى (فان الله هو الغنى) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحميد) فى أفعاله فان الله الغنى بترك هو مدلى وشامى (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى أرسل الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى وقيل الرسل الانبياء والاول أولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحد أحدا (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن أنزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم (٢٤٩) فما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (ان الله قوى) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط بعزته جاش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الاحكام والحدود ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع عما باآلة يقع بها التعامل ويحصل بها

التساوى والتعادل وهى الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعها ما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) خصا بالذكر لانهما أبوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا فى ذريتهما) أولادهما (النبوة والكتاب) الوحى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم أى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أى خرج عن الطاعة والغلبة للفساق (ثم قفينا على آثارهم) أى نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) تعطفا على اخوانهم كما قال فى صفة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هى ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة

لا يحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم أنهم بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وانها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن الايمان (فان الله هو الغنى) أى عن عباده (الحميد) أى الى أوليائه ۞ قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أى بالدلالات والآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) أى المتضمن للاحكام وشرائع الدين (والميزان) يعنى العدل أى وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل أيضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) أى ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) قيل ان الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل أنزلنا بمعنى أنشأنا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه بأس شديد) أى قوة شديدة فمنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهى آلة الضرب (ومنافع للناس) أى ومنه ما ينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه (وليعلم الله) أى وأرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله (من ينصره) أى من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أى الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى) فى أمره (عزيز) فى ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى الا من نسلهما (فمنهم) أى من الذرية (مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) أى أتبعنا (على آثارهم برسلنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى أن انتهت الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) أى على دينه (رأفة ورحمة) يعنى انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس عطفا على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل أنفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والصيران والديرة فرارا من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى

المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها عليهم (الا ابتغاء
رضوان الله) أي لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) يعني انهم لم يرعوا تلك
الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين
ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى
(فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين
تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن
[مسعود] قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين
فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم وفرقة
لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في
البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم
من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون وعنه قال كنت
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنو اسرائيل
الرهبانية قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان
فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد
يدعو اليه تعالى فتعالوا نتفرق في الارض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية
ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم أي من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه
وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج
والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية
هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة
والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤون التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم
هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا
قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة
منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة
دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة
ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل
الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب
فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان
وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها
الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم
يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم قال فلما بعث النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من
ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين
أجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم به ويجعل
لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين

الى الرهبان وهو الخاتم فعلان من رهب كخشيان من خشي وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أي أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) أي أهل الرأفة والرحمة والذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون

من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلي أصيب به من شئت أي أعطيه من شئت (خ) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فان ما بقي من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر قوماً أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفاً﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فأرادها فأبت عليه فقال أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى اذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه وتنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه أبو ولدي وأحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي طالت له صحبتي ونثرت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وان لي صبية صغاراً ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم أشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي وهذا كان أول ظهار في الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآية وأما تفسير الآية فقوله قد سمع الله قول التي تجادلك أي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها أي في أمر زوجها (وتشتكي الى الله) شدة حالها وفاقتها ووحدتها (والله يسمع تحاوركما) أي مراجعتكما الكلام (ان الله سميع) لمن يناجيه ويتضرع اليه (بصير) أي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون

تحاورك وقرئ بها وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني أي كثر ولدي جعلني عليه كأمه وروي انها قالت ان لي صبية صغاراً ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي في أمرك شيء وروي أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقاً وانما هو أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (في زوجها) في شأنه ومعناه (وتشتكي الى الله) تظهر ما بها من المكروه (والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما الكلام من حار اذا رجع (ان الله سميع) يسمع شكوى المضطر (بصير) بحاله (الذين يظاهرون) عاصم يظهرون حجازي وبصري غيرهم يظاهرون وفي (منكم) توبيخ للعرب لانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (من

نسائهم) يعني يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا (ماهن أمهاتهم) أي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهن كالأمهات بأمهات والمعنى ليس هن بأمهاتهم (ان أمهاتهم) أي ما أمهاتهم (الا اللائي ولدنهم وانهم) يعني المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) يعني لا يعرف في الشرع (وزورا) يعني كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الأم محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم ﴿فصل في أحكام الظهار وفيه مسائل﴾ ﴿المسئلة الأولى﴾ في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو ومنه هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر بأعلى من سائر الأعضاء التي هي مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهار الذي هو العلو لان امرأة الرجل مركبه وظهر يدل عليه قول العرب في الطلاق نزلت عن امرأتي أي طلقتها وفي قولهم أنت علي كظهر أمي حذف واضمار لان تأويله ظهرك علي أي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كعلوي أمي وعلاوة عليها حرام ﴿المسئلة الثانية﴾ كان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية لانه في التحريم آكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرائع لا في أحكام الجاهلية وعاداتهم ﴿المسئلة الثالثة﴾ في الالفاظ المستعملة لهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقهاء الأصل في هذا قوله أنت علي كظهر أمي وأنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي وكذا لو قال أنت علي كبطن أمي أو كرأس أمي أو كيد أمي أو قال بطنك أو رأسك أو يدك علي كظهر أمي أو شبه عضوا منها بعضو من أعضاء أمه يكون ذلك ظهارا وقال أبو حنيفة ان شبهها ببطن أمه أو بفرجها أو بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الأعضاء لا يكون ظهارا ولو قال أنت علي كأمي أو كروح أمي وأراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال أنت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت علي كظهر أختي أو عمتي أو خالتي أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الأصح ﴿المسئلة الرابعة﴾ فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال أبو حنيفة لا يصح احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج أبو حنيفة بأن هذا خطاب المؤمنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين وأجيب عنه بأن هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين ۞ قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم) يعني يتسمون بهذا اللفظ من نسائهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء في معنى العود في قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد أولا من بيان أقوال أهل العربية ثم بيان أقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق في اللغة بين أن يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال أبو علي الفارسي كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله وأوحي الى نوح وبأن ربك أوحى لها وأما لفظة ما في قوله لما فهي بمعنى الذي والمعنى يعودون الى الذي قالوا أو في الذي قالوا وفيه وجهان أحدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثاني ان المراد بما قالوا أي المقول فيه وهو الذي حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا أي يعودون الى شيء وذلك الشيء هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الأول يجوز أن يكون المعنى عاد لما فعل أي فعله مرة أخرى وعلى الوجه الثاني يجوز أن يقال عاد لما فعل أي نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيئا ثم أراد أن يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا لمن فعل شيئا ثم أراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بأن يفعلوا مثله مرة أخرى

نسائهم) زوجاتهم (ماهن أمهاتهم) أمهاتهم مفعول الأول حجازي والثاني تميمي (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) يريد ان الأمهات الحقيقية الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة ولذا قال (وانهم ليقولون منكرا من القول) أي تنكره الحقيقة والأحكام الشرعية (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منهم (والذين يظاهرون من نسائهم) بين في الآية الأولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين في الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الأول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثاني وان عدتم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا أتيته وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفي واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أي يعودون لنقض ما قالوا أو لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلب يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف أيضا غير انه أراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض ماذا يحصل فعند مالك بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعي بمجرد الامساك وهو أن لا يطلقها عقيب الظهار

(فتحرير رقبة) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذي أدى شيأ (من قبل أن يتماسا) الضمير
مادل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم)
(توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا
عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي واذا وضع موضع أنت عضوا منها يعبر

به عن الجملة ومكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ أو مكان الام ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو ابنتها فهو مظاهر واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة أن ترافعه وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فان مس قبل أن يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رضي الله عنه (فمن لم يجد) الرقبة (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) الصيام (فاطعام) فعليه

اطعام (ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن
لا يستأنف ان جامع في خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) أي لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل بشرائعه
من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك) أي الاحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة (حدود الله) التي لا يجوز تعديها
(وللكافرين) الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم

ويحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فانه تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول أبي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك أنه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله أنت علي كظهر أمي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول أبي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلماء والعود المذكور ههنا بأنه صالح للجماع أو للعزم عليه أو لا الأمر الذي قاله الشافعي هو أقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذي يسمى العود وأما الباقي فزيادة لا دليل عليه وأما الاحتمال الاول في قوله ثم يعودون أي يفعلون مثل فعلهم فعلى هذا الاحتمال في الآية وجوه أيضا الاول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه في الجاهلية وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا أي الى ما فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قال أبو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد والا لم يكن عودا وهذا قول أهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما قالوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالى (فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفر (ذلكم توعظون به) يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه (والله بما تعملون) أي من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال (فمن لم يجد) أي الرقبة (فصيام شهرين) أي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) أي الصيام (ف) كفارته (اطعام ستين مسكينا ذلك) أي الفرض الذي وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) أي لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله (وتلك حدود الله) يعني ما وصف من الكفارة في الظهار (وللكافرين) أي لمن جحد هذا وكذب به (عذاب أليم) أي في نار جهنم يوم القيامة

﴿فصل في أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار﴾ وفيه مسائل ﴿المسألة الاولى﴾ اختلفوا فيما يحرم بالظهار فللشافعي قولان أحدهما أنه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر أنه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول أبي حنيفة ﴿المسألة الثانية﴾ اختلفوا فيمن ظاهر من أربع نسوة فقال الشافعي وأبو حنيفة لكل

كفارة فأن تكون في مجلس واحد وأراد التكرار فلنا كفاه عليه كفارة واحدة وقال مالك من
ظاهر من امرأته في مجالس متفرقة فليس عليه إلا كفارة واحدة *(المسألة الثالثة)* الآية تدل على
إيجاب الكفارة قبل المماسة سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام وعند مالك إن أراد
التكفير بالإطعام جاز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الإطعام
من قبل أن يتماسا ودل على ذلك وعند الآخرين الإطلاق في الإطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فإن
جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه إلا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك وأبي حنيفة والشافعي
وأحمد وسفيان وقال بعضهم إن واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي *(المسألة
الرابعة)* كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال أبو حنيفة هذه الرقبة تجزي سواء كانت
مؤمنة أو كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة وهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا أنا أجمعنا على أن
الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالإيمان فكذا هاهنا وحمل المطلق على المقيد أولى (المسألة الخامسة) الصوم
من لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فإن أفطر يوما متعمدا أو نسي النية يجب عليه استئناف
الشهرين ولو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة
لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين (المسألة السادسة)
إن عجز عن الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكينا كل
مسكين مد من الطعام الذي يقتات به أهل البلد من حنطة أو شعير أو أرز أو ذرة أو تمر أو نحو ذلك وقال
أبو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر ولو أطعم
مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزي به عند الشافعي وقال أبو حنيفة يجزي به حجة الشافعي ظاهر الآية وهو أن الله
تعالى أوجب إطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة أبي حنيفة أن المقصود دفع الحاجة وهو
حاصل والجواب عنه أن إدخال السرور على قلب ستين مسكينا أولى من إدخال السرور على قلب مسكين
واحد (المسألة السابعة) إذا كانت له رقبة إلا أنه يحتاج إلى الخدمة أو له ثمن الرقبة لكنه يحتاج إليه لنفقته
ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم وقال مالك والأوزاعي يلزمه الإعتاق إذا كان واجد الرقبة أو ثمنها وإن
كان محتاجا إليه وقال أبو حنيفة إن كان واجد العين الرقبة يجب عليه إعتاقها وإن كان محتاجا إليها وإن كان
واجد الثمن الرقبة لكنه يحتاج إليه فله أن يصوم *(المسألة الثامنة)* قال أصحاب الشافعي الشبق المفرط
والغلمة الهائجة عذر في الانتقال من الصيام إلى الإطعام والدليل عليه ما روي عن سلمة بن صخر البياضي قال
كنت امرءا أصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئا
يتتابع بي حتى أصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينا هي تخدمني ذات ليلة إذ انكشف لي منها
شيء فلم ألبث أن نزوت عليها فلما أصبحت خرجت إلى قومي فأخبرتهم الخبر فقلت امشوا معي إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أنت بذاك يا سلمة
قلت أنا بذاك يا رسول الله مرتين وأنا صابر لأمر الله فاحكم بما أمرك الله به قال حرر رقبة قلت والذي بعثك
بالحق نبيا ما أملك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل أصبت الذي
أصبت إلا من الصيام قال فأطعم وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لا نملك
لنا طعاما قال فانطلق إلى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل أنت
وعيالك بقيتها فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند النبي صلى الله
عليه وسلم السعة وحسن الرأي وقد أمر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق أخرجه أبو داود قوله
نزوت عليها أي وثبت عليها وأراد به الجماع وقوله يتتابع بي التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يخالفون ويشاقون (كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) من أعداء الرسل (وقد أنزلنا

آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب

بمهين و باضمار اذكر تعظيما لليوم (الله (٢٥٦) جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما

عملوا) تخجيلا لهم وتو[بيخا]
وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده
المسارعة بهم الى النار لما
يلحقهم من الخزى على
رؤس الاشهاد (أحصاه
الله) أحاط به عددا لم يفته
منه شئ (ونسوه) لانهم
تهاونوا به حين ارتكبوه
وانما تحفظ معظمات
الامور (والله على كل شئ
شهيد) لا يغيب عنه شئ
(ألم تر أن الله يعلم ما في
السموات وما في الارض
ما يكون) من كان التامة
أى ما يقع (من نجوى
ثلاثة) النجوى التناجى
وقد أضيفت الى ثلاثة أى
من نجوى ثلاثة نفر (الا
هو) أى الله (رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم ولا
أدنى) ولا أقل (من ذلك
ولا أكثر الا هو معهم) يعلم
ما يتناجون به ولا يخفى
عليه ما هم فيه وقد تعالى
عن المكان علوا كبيرا
وتخصيص الثلاثة والخمسة
لانها نزلت في المنافقين
وكانوا يتحلقون للتناجى
مغايظة للمؤمنين على
هذين العددين وقيل ما
يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة

ولا أدنى من عددهم ولا أكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون ولان أهل التناجى في العادة طائفة
من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة ودل بذكر الادنى
من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يقارب هذا العدد (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجازيهم
عليه (ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى

ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن لطعام وأوحش الرجل اذا جاع وعن خولة
بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه ويقول اتقى الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القر[آن]
قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين
متتابعين قلت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شئ
يتصدق به قال فانى سأعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله أنا أعينه بعرق آخر قال قد أحسنت اذهبى
فأطعمى عنه ستين مسكينا وارجعى الى ابن عمك أخرجه أبو داود وفي رواية قالت ان أوسا ظاهر منى وذكرت
أن به لمما وقالت والذى بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان له في منافع وذكرت نحوه والعرق
العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من
الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال
لم يلزمه شئ بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله أعلم ۞ قوله عز وجل (ان
الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما (كبتوا) أى
أخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) أى كما أخزى من كان قبلهم من أهل الشرك (وقد أنزلنا
آيات بينات) يعنى فرائض وأحكاما (وللكافرين) أى الذين لم يعملوا بها وجحدوها (عذاب مهين
يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله) أى حفظ الله أعمالهم (ونسوه) أى نسوا ما كانوا
عملوا في الدنيا (والله على كل شئ شهيد) ۞ قوله تعالى (ألم تر) أى ألم تعلم (أن الله يعلم ما في
السموات وما في الارض) يعنى ان الله سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في
السماء ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) أى من أسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة
والمعنى ما من شئ يناجى به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا (الا هو رابعهم)
بالعلم يعنى يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى
معهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت أقل ما يكفى في المشاورة
ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفى والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم
بينهما فتتم تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما
مقبول القول وقيل ان العدد الفرد أشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولا أدنى
من ذلك ولا أكثر) يعنى ولا أقل من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد (الا هو معهم أينما كانوا)
بالعلم والقدرة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم) ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى
الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون
الى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون
ويقولون ما نراهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم
ويحزنهم فلما طال ذلك على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا

المؤمنين فلم ينتهوا فأنزل الله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى أى عن المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لما نهوا عنه) أى يرجعون الى المناجاة التى نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعنى ذلك السر الذى كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين أو شئ يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان (ومعصيت الرسول) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصى بعضهم بعضا بمعصية الرسول (واذا جاؤك) يعنى اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه بانهم يسلمون عليه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون فى أنفسهم) يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخارى أن اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا قال أولم تسمعى ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى السام الموت قال الخطابى عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم أهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوه ص دودا عليهم بعينه واذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردى من القول

❁ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) فى المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وذلك أنه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان وبمعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم وأن يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثانى وهو الاصح أنه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كأنه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بالطاعة وترك المعصية (واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) أى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول (ليحزن الذين آمنوا) أى انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابى داود (وليس بضارهم شيأ) يعنى ذلك التناجى وقيل الشيطان ليس بضارهم شيأ (الا باذن الله) أى الا ما أراد الله تعالى وقيل الا باذن الله فى الضر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فليكل المؤمنون أمرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل

---

ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم فى نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته ويتنجون حرة وهو بمعنى الاول (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) يعنى انهم يقولون فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبى (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أى يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) حال أى يدخلونها (فبئس المصير) المرجع جهنم (يا أيها الذين آمنوا) بالسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر أنه خطاب للمؤمنين (اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أى اذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر) باداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصى (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شر (انما النجوى) بالاثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) أى الشيطان نافع بضم الياء (الذين آمنوا وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيأ الا باذن الله) بعلمه وقضائه وقدره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى يكلون أمرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان

(يأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه فى المجالس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة
مقاتل هى صلاة الجمعة (فافسحوا) فتوسعوا (٢٥٨) (يفسح الله لكم) مطلق فى كل ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان و

والصدر والقبر وغير ذلك (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتم بالنهوض عنه أو انهضوا الى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدنى وشامى وعاصم غير حماد (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (والذين أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفى الدرجات قولان أحدهما فى الدنيا فى المرتبة والشرف والآخر فى الآخرة وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه صلى

الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة
شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم
والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى
أى شىء أدرك من فاته العلم وأى شىء فات من أدرك العلم وعن الزهرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فاشرفها أشر

على الله لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) الآية قيل فى سبب نزولها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم فسلموا ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فاقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة فى سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا فى مجلسهم فامرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فى الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا فى المجلس لمن أراد الجلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس فى الاخذ منه وقرئ فى المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل فى مجلسه فافسحوا أى وان كان فى المجلس أمروا بان يوسعوا فى المجالس لغيرهم (يفسح الله لكم) أى يوسع الله لكم فى الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدى فى أفراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدى وقيل فى معنى الآية ان هذا فى مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتى القوم وهم فى الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فى الشهادة فامروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر وذلك لان كل من وسع على عباد الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه خيرى الدنيا والآخرة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أى اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة اذا نودى لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودى الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أى بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم (والذين أوتوا العلم) أى ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم (درجات) أى على من سواهم فى الجنة قيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع فى الناس أخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن

الآية (وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدي بالعالم في أقواله وفي أفعاله (د) عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال أما قدمت في تجارة قال لا قال ما جئت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر أخرجه الترمذي ولابي داود نحوه (ق) عن معاوية ابن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) يعني اذا أردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا أمام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فأما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيئا وأما الاغنياء وأهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن أبي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الآية قال فبي خفف الله عن هذه الامة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة أي وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها أحد غيره قلت هو كذلك وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة أولى بان

(يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) اذا أردتم مناجاته (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي قبل نجواكم وهي استعارة ممن له يدان كقول عمر رضي الله عنه أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته

(ذلك) التقديم (خير لكم) في دينكم (وأطهر) لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) في ترك المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال علي رضي الله عنه هذه آية من كتاب ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فأجابني عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علي قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسي قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه (فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) أي خفف عنكم وأزال التشكم

تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله) أي فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ما هم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أي ويقولون والله انا لمسلمون لا منافقون

(وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) أي انهم كانوا في الزمان الماضي مصرين على سوء العمل أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس في خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) في الآخرة انهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) في الدنيا على ذلك (ويحسبون انهم) في الدنيا (على شئ) أو يحسبون انهم على شئ من النفع ثم بايمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا

تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم ۞ وقوله (ذلك خير لكم) يعني تقديم الصدقة على النجوى لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله (وأطهر) أي لذنوبكم (فان لم تجدوا) يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعني أنه تعالى رفع عنهم ذلك (أأشفقتم) قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله (أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا) أي ما أمرتم به (وتاب الله عليكم) أي تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ (فأقيموا الصلاة) أي المفروضة (وآتوا الزكوة) أي الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله) أي فيما أمر ونهى (والله خبير بما تعملون) أي انه محيط بأعمالكم ۞ قوله عز وجل (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين اليهم فأراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ما هم) يعني المنافقين (منكم) أي من المؤمنين في الدين والولاء (ولا منهم) يعني ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) أي انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فأنزل الله (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) يعني الكاذبة (جنة) أي يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعني انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام (فلهم عذاب مهين) يعني في الآخرة (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم) يوم القيامة (من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انه ينفع في الآخرة أيضا (ويحسبون أنهم على شئ)

(ألا انهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فأنساهم ذكر الله) قال شاه الكرماني علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (أولئك حزب الشيطان) جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين) في جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) في اللوح (لأغلبن أنا ورسلي) بالحجة والسيف أو بأحدهما (ان الله قوي) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم (٢٦١) الآخر يوادون) هو مفعول ثان لتجد أو حال أو صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) أي من الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في التوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) وبقوله (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) أي أثبته فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وأيدهم بروح منه) أي بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان أي بروح من الايمان على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري أنه كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبي رواد أنه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه وأخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا (أولئك حزب الله) أنصار حقه ودعاة خلقه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الباقون في النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

من أيمانهم الكاذبة (ألا انهم هم الكاذبون) يعني في أقوالهم وأيمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) أي غلب واستولى عليهم وملكهم (فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين) يعني في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) أي قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمن بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوي) أي على نصر رسله وأوليائه (عزيز) أي غالب على أعدائه قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أخبر الله تعالى أن ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وأن من كان مؤمنا لا يوالي من كفر لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب عدوه فان قلت قد أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) يعني ان الميل الى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح هذا الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى أهل مكة وسيأتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) أي أثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لأنها موضعه (وأيدهم بروح منه) أي قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لأن به يحيى أمرهم وقيل بالايمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمة (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لأنه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم أتبعه بما يوجب ترك المودة لأعداء الله سبحانه وتعالى فقال (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) والله أعلم بمراده

## (تفسير سورة الحشر)

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية أربع وعشرون وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبي الامي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب بن الاشرف في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان وأمر بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله وأخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على إثر واعية وباكية على إثر باكية فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وآذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهم أن لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة من بني النضير الى أخيها وهو رجل مسلم من الانصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل أن يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن

---

(سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) روي ان هذه السورة نزلت بأسرها في بني النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هذا النبي الذي نعته في التوراة فلما انهزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب ابن الاشرف في أربعين راكبا الى مكة فحالف أبا سفيان عند الكعبة فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الشام الى اريحاء واذرعات (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني يهود بني النضير (من ديارهم) بالمدينة واللام في

الحشر) تتعلق باخرج وهي اللام في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي وقوله جئته لوقت كذا أي أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ان هذا أول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام أو هذا أول حشرهم و آخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنهما من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثاني وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا امضوا فانكم أول الحشر ونحن على الاثر قتادة اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى أرض الشام وبها تقوم عليهم القيامة وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه أن في تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم (فأتاهم الله) أي أمر الله وعقابه وفي الشواذ فآتاهم الله أي فآتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد أخيه رضاعا (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) يخربون أبو عمرو والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الازقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فداعيهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين انهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه

بأ ثلث الابل من أموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لاول الحشر) قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام في أيام عمر وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ما ظننتم) يعني أيها المؤمنون (أن يخرجوا) أي من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فأتاهم الله) أي أتاهم أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما يستحسنونه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فاعتبروا يا أولي الأبصار) أي فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي استحقوا به ذلك فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا (١)
وهو دليل على جواز القياس (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الأهل والولد (لعذبهم في الدنيا) بالقتل كما فعل ببني
بني قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (في الآخرة عذاب النار) الذي لا أشد منه (ذلك بأنهم) أي ذلك بسبب أنهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله) ورسوله (فإن الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة) هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قيل أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله تعالى (أو تركتموها) لأنه في معنى اللينة واللينة النخلة من الألوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (قائمة على أصولها فبإذن الله) فقطعها وتركها بإذن الله (وليخزي الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها (وما أفاء الله على رسوله) جعله فيأه خاصة (منهم) من بني النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الإبل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم
لأنه على ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) يعني أن ما خول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة منهم لفقرهم (والله على كل شيء قدير)

(فاعتبروا) أي فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم (يا أولي الأبصار) أي يا ذوي العقول والبصائر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) يعني الخروج من الوطن (لعذبهم في الدنيا) يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة (ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك) أي الذي لحقهم ونزل بهم (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) ﴿قوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) الآية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وأن ذلك بإذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم لموضع نخل بني النضير وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم إلا العجوة وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الألوان وقيل النخل كلها لينة إلا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه هي لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبه إليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف وأحب إليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين إنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فأخبر الله أن قطعها كان بإذنه (وليخزي الفاسقين) يعني اليهود والمعنى ولأجل إخزاء اليهود أذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الآية على أن حصون الكفار وديارهم لا بأس أن تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها ﴿قوله عز وجل (وما أفاء الله على رسوله) أي ما رد الله على رسوله (منهم) يعني من يهود بني النضير (فما أوجفتم عليه) يعني أوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) يعني الإبل التي تحمل القوم وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى في هذه الآية أنها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة وإنما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشيا ولم يركب إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من أعدائه (والله على كل شيء قدير) أي فهي له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة (ق) عن مالك بن أوس النصري أن عمر دعاه إذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فأدخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل

وعلي يستأذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال مالك بن أوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلى قال أنشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بني النضير فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض أتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم حينئذ وأقبل على علي وعباس وقال تذكران ان أبا بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من امارتي أعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم اني فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لي أن أدفعه اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا أقضي فيه قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الي فاني أكفيكماه ﴿ قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعني من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذي القربى) يعني بني هاشم وبني المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم تفسيره في سورة الأنفال في حكم الغنيمة وقسمتها أما حكم الفيء فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم الاهم فالاهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم الى انه يخمس فخمسه لاهل خمس الغنيمة وأربعة أخماسه للمقاتلة أو للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله في هذا الفيء حق الا ما ملكت أيمانكم (كيلا يكون) الفيء (دولة) والدولة اسم الشيء الذي يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعني بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي بعد ما يشاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمر به (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي من مال الفيء والغنيمة (وما نهاكم عنه) أي من الغلول وغيره (فانتهوا) وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الاولى نزلت في أموال بني النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية في غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفي الآية بيان مصرف خمسها فهي مبتدأة (كيلا يكون دولة) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة ما يدول للانسان أي يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الاغنياء منكم) لئلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) أي ما أعطاكم من قسمة غنيمة أو فيء (فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه (فانتهوا) عنه ولا تطلبوه

(واتقوا الله) ان تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود ان
عاما فى كل ما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفىء داخل فى عمومه (للفقراء) بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف
والذى منع الابدال من الله وللرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله
وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل (الذين أخرجوا من ديارهم
وأموالهم) بمكة وفيه دليل
على أن الكفار يملكون
بالاستيلاء أموال المسلمين
لان الله تعالى سمى
المهاجرين فقراء مع انه
كانت لهم ديار وأموال
(يبتغون) حال (فضلا من
الله ورضوانا) أى يطلبون
الجنة ورضوان الله
(وينصرون الله ورسوله)
أى ينصرون دين الله
ويعينون رسوله
(أولئك هم الصادقون)
فى ايمانهم وجهادهم
(والذين) معطوف على
المهاجرين وهم الانصار
(تبوؤا الدار) توطنوا
المدينة (والايمان)
وأخلصوا الايمان كقوله
* علفتها تبنا وماء باردا *
أو وجعلوا الايمان مستقرا
ومتوطنا لهم لتمكنهم
واستقامتهم عليه كما جعلوا
المدينة كذلك أو أراد دار
الهجرة ودار الايمان فأقام
لام التعريف فى الدار مقام
المضاف اليه وحذف المضاف
من دار الايمان ووضع
المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوىء دار الدنيا والايمان وقيل
من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احداهما
لرجل من المهاجرين (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) ولا يعلمون فى أنفسهم طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون
وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شىء منه تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما أعطى
من الفىء حيث خصهم النبى صلى الله عليه وسلم به وقيل لا يجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ما أوتوا الخذف المضاف (و...

أو نهى عن محرم فيدخل فيه الفىء وغيره (ق) عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب
تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله ومالى لا ألعن
من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف
فقال ان كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوا...
غرز العضو من الانسان بالابرة ثم حشى بكحل والمستوشمة هى التى تطلب ان يفعل بها ذلك والمتنمصة
التى تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هى التى تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل هى الـ...
مشبهها فكل ذلك منهى عنه (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث
فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد عن أبى رافع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى
ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن الاريكة كل ما اتكئ
عليه من سرير أو فراش أو منصة أو نحو ذلك (واتقوا الله) أى فى أمر الفىء (ان الله شديد العقاب)
على ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه ثم بين من له الحق فى الفىء فقال عز وجل (للفقراء
المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) يعنى ألجأهم كفار مكة الى الخروج (يبتغون فضلا من الله)
أى رزقا وقيل ثوابا من الله (ورضوانا) أى خرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل (وينصرون الله
ورسوله) أى بأنفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته (أولئك هم الصادقون) فى
ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا
الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع
وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة
بأربعين خريفا وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام
يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود * قوله
(والذين تبوؤا الدار والايمان) يعنى الانصار توطنوا الدار وهى المدينة واتخذوها مسكنا (من قبلهم) يعنى
انهم أسلموا فى ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين وتقدير الآية
والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوأ (يحبون من هاجر اليهم)
وذلك انهم أنزلوا المهاجرين فى منازلهم وأشركوهم فى أموالهم (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) أى حزازة
وغيظا وحسدا (مما أوتوا) أى أعطى المهاجرون من الفىء دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم
أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة فطابت أنفس الانصار بذلك (ويؤثرون

على أنفسهم) أي ويؤثر الأنصار المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون به (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء ثم أرسل به إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء ونوميهم فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة وزاد في رواية فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة قال قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا (خ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها فقال أما لا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فإنه سيصيبكم أثرة بعدي وفي رواية ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الأثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة وإسكان الثاء والأول أشهر ومعناه الاستئثار وهو أن يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الأمر نصيب وقيل هو من آثر إذا أعطى أراد أنه يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفيء والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل الأثرة الشدة والأول أظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بما أرادوا وروي أن رجلا قال لابن مسعود إني أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال إني أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله بإعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم * عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود الهلع أشد الجزع والمراد منه أن الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته أو يخرج من يده والخالع الذي يخلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا أخرجه النسائي * قوله تعالى (والذين جاؤوا من بعدهم) يعني من بعد المهاجرين والأنصار وهم التابعون لهم

على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقر وأصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال أي مفروضة خصاصتهم روي أنه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام وأطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو وعن أنس أهدي لبعضهم رأس مشوي وهو مجهود فوجهه إلى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد إلى الأول أبو يزيد قال لي شاب من أهل بلخ ما الزهد عندكم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ بل إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا والشح اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع وأما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح أضر من الفقر لأن الفقير يتسع إذا وجد بخلاف الشحيح (والذين جاؤوا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون بإحسان وقيل من بعدهم إلى يوم القيامة قال عمر رضي الله

الاسلام بغل الواو لتصحب فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا
فمن دخل في هذا الفئ كل من هو مولود الى يوم القيامة عائشة رضي الله عنها أمروا بان يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل في قلوب
الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون (ربنا انك رؤف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وطلحة والز
حقدا (للذين آمنوا) يعني الصحابة
أقول ما قوله الله وتلا
هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله
(ألم تر الى الذين نافقوا)
أي الم تريا محمد الى عبد الله
ابن أبي وأشياعه (يقولون
لاخوانهم الذين كفروا
من أهل الكتاب) يعني
بني النضير والمراد اخوة
الكفر (لئن أخرجتم)
من دياركم (لنخرجن
معكم) روى ان ابن أبي
وأصحابه دسوا الى بني النضير
حين حاصرهم النبي صلى
الله عليه وسلم لا تخرجوا من
الحصن فان قاتلوكم نحن
معكم لا نخذلكم ولئن
أخرجتم لنخرجن معكم
(ولا نطيع فيكم) في قتالكم
(أحدا أبدا) من رسول
الله والمسلمين ان حملنا عليه
أو في خذلانكم واخلاف
ما وعدناكم من النصرة
(وان قوتلتم لننصرنكم
والله يشهد انهم لكاذبون) وفيه
دليل على صحة النبوة
لانه اخبار بالغيب (لئن
أخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا
ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا
ينصرون) وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت
ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون
بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين

ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أخبر انهم يدعون لا
الى يوم القيامة (يقوهم بالايمان (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا
ولاخوانهم الذين سبق من كان في قلبه غل أو بغض لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رؤف رحيم) فمن عنا الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون
على جميعهم فانه ليس بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان
بعدهم الانصار ثم فليس له في المسلمين نصيب وقال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء
من أقسام المؤمنين الايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه الثلاث
والذين تبوؤا الدار قال الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان أحدكم أنفق
(ق) عن أبي سعيد مدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن أختي أمروا أن
أحد ذهبا ما بلغ مد صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى
لاصحاب رسول الله أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي
وسلم يقول الله الله في ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الت
ومن آذاهم فقد أبغض أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه غل
مالك بن أنس من ثم تلا هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم
حق في فيء المسلمين قول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت
رحيم وقال مالك بن أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا حواري عيسى وسئلت
خير أهل ملتكم قالوا فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم و
من شر أهل ملتكم لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة وقد وا نار الحرب أطفاها
عليهم الى يوم القيامة في شملهم وادحاض حجتهم أعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة وروي عن جابر
بسفك دمائهم وتفريق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون
لعائشة ان ناسا يتناولون والله أن لا يقطع عنهم الاجر وروي ان ابن عباس سمع رجلا ينال من أحد
انقطع عنهم العمل فأ فقال له أمن المهاجرين الاولين أنت قال لا قال فمن الانصار أنت قال لا قال
الله صلى الله عليهم باحسان قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نافقوا) يعني أظهروا خلاف ما أضمروا
عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود
قريظة وبني النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) أي من المدينة (لنخرجن
معكم) أي منها (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) يعني ان سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم
قوتلتم لننصرنكم) أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم (والله يشهد انهم) يعني المنافقين (لكاذبون) أي
قالوا ووعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن
لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك فانهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم
نصروهم ليولن الادبار) يعني لو قصدوا نصرهم أو لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون

يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصروهم (لأنتم) يعني يا معشر المسلمين (أشد رهبة في صدورهم من الله) أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أي الخوف منكم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة) أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (أو من وراء جدار) وقرئ جدر (بأسهم بينهم شديد) أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم لبعض شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) أي متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم يجتمعون في عداوة أهل الحق وقيل أراد أن دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ثم ضرب لليهود مثلاً فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريباً) يعني مشركي مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم) أي في الآخرة ثم ضرب مثلاً آخر للمنافقين واليهود جميعاً في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) أي مثل المنافقين مع بني النضير وخذلانهم إياهم كمثل الشيطان (إذ قال للإنسان اكفر) وذلك ما روي عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وإن إبليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه إلى أقصى أرض الهند لإبليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام مرة فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائماً يصلي في هيئة الرهبان فلما رأى ذلك في حاله ندم في نفسه أي لام نفسه حين لم يجبه فقال له إنك ناديتني وكنت مشتغلاً عنك فما حاجتك قال الأبيض حاجتي أني جئت لأكون معك فأتأدب بأدبك وأقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك قال برصيصا إني لفي شغل عنك فإن كنت مؤمناً فإن الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيباً إن استجاب لي ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوماً فلما انفتل بعدها رآه قائماً يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الأبيض قال له ما حاجتك قال له حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك فأذن له فارتفع إليه في صومعته فأقام حولاً يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً مرة ولا ينفتل عن صلاته إلا كذلك وربما مد إلى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا إني منطلق فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده فلما ودعه الأبيض قال له إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا أنا أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلاً وإني أخاف إن علم الناس شغلوني عن العبادة فلم يزل به الأبيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال فانطلق الأبيض فتعرض

(لأنتم أشد رهبة) أي أشد مرهوبية مصدر رهب المبني للمفعول وقوله (في صدورهم) دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم (من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعاً) مجتمعين يعني اليهود والمنافقين (إلا) كائنين (في قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) جدار مكي وأبو عمرو (بأسهم بينهم شديد) يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لأن الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم) أي اليهود والمنافقين (جميعاً) مجتمعين ذوي ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها يعني أن بينهم إحناً وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك) التفرق (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أي مثلهم كمثل أهل بدر فحذف المبتدأ (قريباً) أي استقروا من قبلهم زمناً قريباً (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا (ولهم عذاب أليم) أي ولهم مع ذلك في الآخرة

(كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر

رجل خنقته ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهلها ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فعالجه قال
لهم انى لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده
الاسم الذى اذا دعا به أجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان
الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من
بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عم تلك الجارية
ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم أعالجها قالوا نعم
فقال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون
دعا لها فاذا علمتم أنها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا أن يجيبنا الى
وهو أعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا
فضعوها فى صومعتها وقولوا هذه أمانة عندك فاحتسب أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا
صومعة على ما أمرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة
عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هى عليه من الجمال
فوقعت فى قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان
عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض
الشيطان وقال له ويحك واقعها فلن تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها
فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها
وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقدر عليها فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل
الشيطان وهو يدفنها بالليل فأخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل
على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا
يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم
مكروبون جاء الشيطان الى أكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها فى
موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث
به فانطلق الشيطان الى أوسطهم فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم
ذلك فقال الاصغر لاخوته والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله قد رأيت مثله فقال الاكبر
والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا فقال أليس
فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها
لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوه فى
فمشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا
به للملك فأقر على نفسه وذلك ان الشيطان أتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران
قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا
أتعرفنى فقال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات وكنت اذا دعوت بهن يستجاب لك و
ما اتقيت الله فى أمانتك خنت أهلها وانك زعمت انك أعبد بنى اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره
حتى قال فى آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس وفضحت
نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح أبدا ولن يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال
خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى

الله) كرر الامر بالتقوى تأكيدا واتقوا الله في أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد وقوله (ان الله خبير بما تعملون) فيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع منه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكر الله عز وجل وما أمرهم به (فأنساهم أنفسهم) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه للناس وايذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وان الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الاليم مع أصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبنا عن مثل هذا في أصول الفقه والكافي (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أي من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل في الجبل تمييز وانزل عليه القرآن لخشع أي لخضع وتطأطأ وتصدع أي تشقق من خشية الله وجاز أن يكون هذا تمثيلا كما في قوله انا عرضنا الامانة ويدل عليه قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهي اشارة الى هذا المثل والى أمثاله في مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من أشرك وشبهه بخلقه فقال (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) أي السر والعلانية أو الدنيا والآخرة أو المعدوم والموجود (هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك) الذي لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبائح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذي سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (المؤمن)

---

الله ان الله خبير بما تعملون) قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله في أداء الواجبات ومعنى الثاني واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أي تركوا أمر الله (فأنساهم أنفسهم) أي أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده (أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لما أرشد المؤمنين الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فأنساهم أنفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوي أصحاب النار يعني الذين هم في العذاب الدائم وأصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم الدائم أتبعه بقوله أصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل في الجبل تمييز وعقلا كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع أي تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله وحذر من ان لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كأنه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب بأحسن بيان وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه أوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله تعالى له تمييزا وعقلا يدل على انه تمثيل قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص انعامه بالمؤمنين (هو الله الذي لا اله الا هو الملك) أي المتصرف بالامر والنهي في جميع خلقه فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أي الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته (السلام) أي الذي سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فان الذي يطرأ عليه شيء من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام أي سلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به

من عذابه وقيل هو المصدق رسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس أى الشهيد على عباده بأعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل القائم على خلقه برزقه وأنشد في معناه

ألا ان خير الناس بعد نبيه ° مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

أى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الأمين والمؤتمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فى أبيات منها

حتى احتوى بيتك المهيمن من ° خندف علياء تحتها النطق

وقيل المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده ° ولقد تعالى عن عقول أولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم ° والوصف يعجز عن مليك لا يرى

(العزيز) أى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر بمعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لا ينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كاذبا فى فعله فكان مذموما فى حق الناس وأما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان أظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى كبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون أى من ادعاء الكبر لانفسهم (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجده وهو سبحانه وتعالى قدر أفعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارئ) أى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) أى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريد وقيل الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد بخلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وأنشأه على صور مختلفة وأشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فاولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات (له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان كذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله أعلم

﴿سورة الممتحنة مدنية﴾

وهى ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

وعن الزجاج الذى أمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه من أطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الاأن همزته قلبت هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه أو العظيم الشأن فى القدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) فى الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد على فأعدت عليه فأعاد على

﴿سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) الآية (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي فما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمراء الأسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والأول أصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك أن سارة مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسلمة جئت قالت لا قال أمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد ... لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها وأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها الى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب الى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع

(بسم الله الرحمن الرحيم) روى ان مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بني ... فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل ... حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى ... وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ... ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال لها أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) عدوي اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي وأولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر أوقع على الجمع ايقاعه على ... وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان

ين) حال من الضمير في لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين (اليهم بالمودة) أو مستأنف بعد وقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء في بالمودة زائدة مؤكدة للتعدي كقوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) حال من لا تتخذوا أو من تلقون أي لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم (بما جاءكم من الحق) دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول واياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أي يخرجونكم من مكة لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا أي لا تتولوا أعدائي ان كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله **(٢٧٥)** هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما

قبله عليه (جهادا في سبيلي) مصدر في موضع الحال أي ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي (وابتغاء مرضاتي) ومبتغين مرضاتي (تسرون اليهم بالمودة) أي تفضون اليهم بمودتكم سرا أو تسرون اليهم أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) والمعنى أي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي وأنا مطلع رسولي على ما تسرون (ومن يفعله) أي هذا الاسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (ان يثقفوكم) أي يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصي

العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذا موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم والماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل ودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وهو أضار عندهم وأولها لعلمهم ان الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أهم شيء عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلي والفاعل هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل

---

والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا اجردتك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ لي عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء يعني أصدقاء وأنصارا (تلقون اليهم بالمودة) أي بأسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) أي وحالهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعني القرآن (يخرجون الرسول واياكم) يعني من مكة (ان تؤمنوا) أي لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا الشرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ۞ وقوله (تسرون اليهم بالمودة) أي بالنصيحة (وأنا أعلم بما أخفيتم) أي من المودة للكفار (وما أعلنتم) أي أظهرتم بألسنتكم منها (ومن يفعله منكم) أي الاسرار والقاء المودة اليهم (فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ طريق الهدى ثم أخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى (ان يثقفوكم) أي يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أي بالضرب والقتل والشتم والسب (وودوا) أي تمنوا (لو تكفرون) أي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى أن أعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم ولا توادوهم (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) أي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فانه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) أي يفصل

(والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم (قد كانت لكم أسوة) قدوة في التبري من الاهل (حسنة في ابراهيم) أي في
استثنى منها الاقوال ابراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) جمع برئ ككظريف وظ
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)
عداوتكم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه أي اقتدوا به في أقواله ولا تتأسوا به في الاستغفار ل
(وما أملك لك من الله من شئ) أي من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم
ولكن المراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار
توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من • جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من ا
يقولوا (واليك أنبنا) أقبلنا
(واليك المصير) المرجع
(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا) أي لا تسلطهم
علينا فيفتنونا بعذاب
(واغفر لنا ربنا انك أنت
العزيز الحكيم) أي الغالب
الحاكم (لقد كان لكم فيهم
أسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الآخر) ثم كرر
الحث على الائتساء بابراهيم
عليه السلام وقومه تقريرا
وتأكيدا عليهم ولذا جاء
به مصدرا بالقسم لانه الغاية
في التأكيد وأبدل من قوله
لكم قوله لمن كان يرجوا الله
أي ثوابه أي يخشى الله
وعقبه بقوله (ومن يتول)
يعرض عن أمرنا ويوال
الكفار (فان الله هو
الغني) عن الخلق (الحميد)
المستحق للحمد فلم يترك
نوعا من التأكيد الا جاء به
ولما نزلت هذه الآيات
وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع أقاربهم من المشركين أطمعهم في تحول الحال الى خلافه فقال
(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من أهل مكة من أقربائكم (مودة) بان يوفقهم للايمان
الله بانجيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا
للمحتاج في تمام ذلك أو أريد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل أسباب المودة (
رحيم) لمن أسلم من المشركين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) تكرموهم وتحسنوا
وفعلا وعل أن تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقضوا
وتعدلوا وهم واذا نهى عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم (ان الله يحب المقسطين)

أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) قوله تعالى (قد كانت لكم
في ابراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه
أهل الايمان (اذ قالوا لقومهم) يعني المشركين (انا برآء منكم) جمع برئ (ومما تعبدون من دون
كم) أي جحدنا كم وأنكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا با
والمعنى ان ابراهيم عليه السلام وأصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فأمر حاطبا والمؤمنين
بهم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) يعني لكم ان تتأسوا بابراهيم في جميع أموره الا في الاست
المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبر
أملك لك من الله من شئ) هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله
وأشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين (ر
توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم
وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك (
ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) يعني في ابراهيم ومن معه (أسوة حسنة) أي اق
(لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن
أي يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغني) أي عن خلقه (الحميد) أي الى
وأوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا
والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذ
أي من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء واخوانا
وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله
على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم وأسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا
ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبـ
أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر
يحب المقسطين) أي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى
على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أسما

بنت أبي بكر وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرطا وسمنا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي على بيتي حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أمي قدمت على وهي راغبة أفأصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فأنزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركوا مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) ﴿قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن الى ولاهم يحلون لهن قال عروة فأخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ولا يبايعهن الا بقوله وقال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من أتاه من أهل مكة رده اليهم ومن أتى مكة من أصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد رد على امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها أن تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض الى أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاء من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا أو عموما فقيل قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وانما أطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم

انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولي غير موضعه (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة أو لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) نصب على الحال (فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

(الله أعلم بإيمانهن) منكم فإنكم وإن رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فإن علمتموهن مؤمنات) العلم
يلمه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وتسمية الظن علما يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضي إليه القياس جار مجرى العلم
غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فلا ترجعوهن إلى الكفار) فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين (لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن) أي لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من
المهور نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد على مكة من جاء مؤمنا منهم فأنزل الله هذه الآية بيانا

ان ذلك في الرجال لا في النساء لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن لان المهر أجر البضع وبه احتج أبو حنيفة رضي الله عنه على ان لا عدة على المهاجرة (ولا تمسكوا) ولا تمسكوا بصري (بعصم الكوافر) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدة أي لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (واسألوا ما أنفقتم) من مهور
أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا للمهاجرين
(ذلكم حكم الله) أي جميع ما ذكر في هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو
الحكم جعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم (والله عليم حكيم وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار)
انفلت أحد منهن إلى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أحد (فعاقبتم) فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم من
(فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من

(الله أعلم بإيمانهن) أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي إذا أقررن بالإيمان فلا تردوهن إلى الكفار لان الله لم يبح
لكافر (وآتوهم) يعني أزواجهن (ما أنفقوا) أي عليهن من المهر الذي دفعوه إليهن (ولا جناح عليكم
أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب
إلى دار الإسلام وإن كان لهن أزواج كفار في دار الحرب لان الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار
ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال الأوزاعي والليث بن
سعد ومالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولا تمسكوا بعصم الكوافر)
عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله
تعالى وإن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت
الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية
ابن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي أم عبد
الله فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد
المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الإسلام بينهما فتزوجها
في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص
مشركا ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسألوا) أي أيها المؤمنون
(ما أنفقتم) يعني إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها
منهم (وليسألوا) يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ما أنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم
(ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين قريش لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت
هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله تعالى وأدوا ما أمروا به من أداء نفقات المشركين على نسائهم وأبى
المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فأنزل الله عز وجل (وإن فاتكم) أيها
المؤمنون (شيء من أزواجكم إلى الكفار) أي فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه غزوتم فغنمتم وأصبتم
من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) أي
إلى الكفار (مثل ما أنفقوا) معناه أعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا
عليها من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين

المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري ١ وفاطمة بنت
أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع
بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت
أبي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن
رجعن عن الاسلام فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف
في رد مهر من أسلمت من النساء المتزوجها هل كان واجبا أو مندوبا وأصل هذه المسألة أن الصلح هل
كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان أحدهما أنه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روي أنه لا يأتيك
منا أحد الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد
المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روي عن علي أنه قال لا يأتيك منا رجل وان كان
على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك
اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت وأكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر
باظهار الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمأنينة القلب عليها ولا يخشى ذلك على الرجل
لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال
اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال
قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما أنفقوا ﴿ قوله تعالى (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون يا أيها
النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ
من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت
عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعكن (على أن لا يشركن بالله شيأ) فرفعت هند رأسها وقالت والله انك
لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط
فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله
هنات فما أدري أيحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال
(ولا يزنين) فقالت هند أوتزني الحرة فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم
كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) فقالت هند والله ان البهتان
لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك في معروف) فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا
وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجملة من أحصي من
المبايعات أربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن
لا يشركن بالله شيأ وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها وأما تفسير الآية فقوله تعالى
ولا يقتلن أولادهن أراد به وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا
يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط
المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي
عن الزنا قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا

(واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) هو حال (على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك في معروف) طاعة الله ورسوله

١ قوله فاطمة تقدم أن اسمها قريبة فالأولى اسمها حلافا وذكر الخطيب أولا أن اسمها قريبة وثانيا فاطمة كما هنا والله أعلم اه

(فبايعهن واستغفر لهن الله) عما مضى (ان الله غفور) بتمحيق ما سلف (رحيم) بتوفيق ما ائتلف وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنع بحمزة فقال عليه السلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيأ فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أوتزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في شئ وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قد يئسوا من الآخرة) من ثوابها لانهم ينكرون البعث (كما يئس الكفار) أي كما يئسوا الا أنه وضع الظاهر موضع الضمير (من أصحاب القبور) ان يرجعوا اليهم أو كما يئس أسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة أي هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود أي مغضوب عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الذين قبروا من خير الآخرة لانهم قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم ﴿سورة الصف مدنية وهي أربع عشرة آية﴾

---

يعصينك في معروف أي في كل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه وقيل في كل أمر وافق طاعة الله وكل أمر رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المرأة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء أخرجه البخاري (ق) عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا أريد أن أجزيها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن أسيد بن أسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذي أخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا أخرجه أبو داود ✱ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله نساء أسعدننا في الجاهلية أفنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام أخرجه النسائي (م) عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه أبو داود ✱ وقوله تعالى (فبايعهن) يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) عن أميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن قلنا الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ۞ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا من الآخرة) يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من أن يكون لهم ثواب أو خير في الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا الى القبور من أن يكون لهم ثواب في الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الصف وفيها قولان أحدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) روي أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام أو غيرها كشيء واحد وهو كثير الاستعمال في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا قال * على ما قام يشتمني جرير * والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) قصد في كبر التعجيب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم ما لا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فقال أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كأنهم بنيان مرصوص) لاصق بعضه ببعض وقيل أريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رص بعضه الى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب باذكر (قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) بجحود الآيات والقذف بما ليس فيّ (وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علما يقينا (أني رسول الله اليكم) [illegible] بذلك توقيري وتعظيمي لا أن تؤذوني (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) من الهداية أو لما تركوا أوامره نزع نور الايمان من قلوبهم أو ولما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم أي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي من سبق في علمه أنه فاسق (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (اني ر)سول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) أي أرسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قيل سبب نزولها ما روي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله لعملناه فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأنزل الله هل أدلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فأنزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب أهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) أي عظم بغضا عند الله (أن تقولوا ما لا تفعلون) معناه ان يعدوا من أنفسهم شيئا ولم يفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) أي قد رص بعضه ببعض وألزق بعضه الى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ۞ قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) أي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل (يا قوم لم تؤذونني) قيل انهم كانوا يؤذونه بأنواع من الاذى والتعنت منها قولهم أرنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة (وقد تعلمون أني رسول الله اليكم) يعني تؤذونني وأنتم عالمون علما قطعيا أني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) أي عدلوا ومالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أي أمالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان أذاهم يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن [illegible] (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم) أي اني رسول أرسلت اليكم بالوصف [illegible] التوراة (مصدقا لما بين يدي من التوراة) أي اني مقر معترف بأحكام التوراة وكتب الله [illegible] من قد تقدم (ومبشرا برسول يأتي من بعدي) أي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكأنه قيل [illegible] اسمه فقال (اسمه أحمد) عن أبي موسى قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يأتوا النجاشي

من التوراة وهي حال (ومبشراً برسول يأتي من بعدي) يعني ان ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر بعديَ حجازي وأبو
عمرو وأبو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقاً ومبشراً بما في الرسول من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى عليه
السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حمزة وعلي (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله
لا يهدي القوم الظالمين) وأي الناس أشد ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته
اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يريدون ليطفئوا

نور الله بأفواههم) هذا تهكم
بهم في ارادتهم ابطال
الاسلام بقولهم في القرآن
هذا سحر مثلت حالهم
بحال من ينفخ في نور
الشمس بفيه ليطفئه
والمفعول محذوف واللام
للتعليل والتقدير يريدون
الكذب ليطفئوا نور الله
بأفواههم أي بكلامهم
(والله متم نوره) مكي
وحمزة وعلي وحفص متم
نوره غيرهم أي متم الحق
ومبلغه غايته (ولو كره
الكافرون هو الذي أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق)
أي الملة الحنيفية (ليظهره)
ليعليه (على الدين كله)
على جميع الأديان المخالفة له
ولعمري لقد فعل فما بقي
دين من الأديان الا وهو
مغلوب مقهور بدين
الاسلام وعن مجاهد اذا
نزل عيسى لم يكن في الارض
الا دين الاسلام (ولو كره
المشركون يا أيها الذين
آمنوا هل أدلكم على تجارة

وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد أن محمداً رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا
ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام
قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قال أبو داود المدني قد بقي في البيت موضع
أخرجه الترمذي عن كعب الأحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من أمة
قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم في الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى
الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي
خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على
يوم القيامة وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله تعالى رؤوفاً رحيماً وأحمد يحتمل معنيين أحدهما
أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الأنبياء كلهم حامدون لله عز وجل وهو أكثر حمداً لله من غيره
مبالغة من المفعول ومعناه أن الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع
للفضائل والمحاسن والأخلاق التي يحمد بها من غيره (فلما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه
السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أي ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على
الله الكذب) أي ومن أقبح ظلماً ممن بلغ افتراؤه أن يكذب على الله وذلك أنهم علموا أن ما نالوه من نعمة من
ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية أي الناس أشد ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى
الله عليه وسلم الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله
سحر مبين (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم قوله عز وجل (يريدون
ليطفئوا نور الله بأفواههم) يعني ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعني
الحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله) أي ليعليه على الأديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الأديان
الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم أي الأعمال أحب الى الله عز وجل
لعملناه وانما سماه تجارة لأنهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة
فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم) أي الذي
أمرتكم به من الايمان والجهاد في سبيله (ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون لأن معناه معنى الأمر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله أي اذا

تنجيكم من عذاب أليم) تنجّيكم شامي (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند ... يغفر
سيبويه ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب
الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم) أي ما ذكر
من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم كان خيراً لكم حينئذ لأنكم
واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتخلصون وتفلحون (يغفر لكم ذنوبكم

٢ قوله قال نعم الخ كذا في نسخة وفي أخرى قال نعم أمة أحمد حكماء اهـ مصحح

يغفر لكم ذنوبكم (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعني هذا الجزاء الذي ذكر هو الفوز العظيم (وأخرى تحبونها) أي ولكم تجارة أخرى وقيل لكم نعمة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) أي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) أي مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وكانوا اثني عشر رجلاً أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حواري الزبير (فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أي غالبين وقيل معناه فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى روح الله وكلمته والله أعلم بأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الجمعة﴾

وهي مدنية وإحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين) يعني العرب وكانت العرب أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الأمي هو الذي على ما خلق عليه كأنه منسوب إلى أمه (رسولاً منهم) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل أمياً مثلهم وإنما كان أمياً لأن نعته في كتب الأنبياء النبي الأمي وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب إلى صدقه (يتلو عليهم آياته) أي التي تبين رسالته وقيل آياته التي يميز بها الحلال من الحرام

…ونه (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن) أي إقامة وخلود يقال عدن بالمكان إذا أقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل وقال صاحب الكشاف معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم قال نصر أي هي نصر (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قوم إذ قيل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أي أنصار دينه أنصاراً لله حجازي وأبو عمرو (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) ظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى من قال لهم من أنصاري إلى الله ومعناه من جندي متوجهاً إلى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً وحواري الرجل صفيه وخالصته من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها (فآمنت طائفة من بني إسرائيل) بعيسى (وكفرت …) به (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقوينا مؤمنيهم على كفارهم (فأصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولي المؤمنين والله أعلم

سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح إما أن يكون تسبيح خلقة يعني إذا نظرت إلى كل شيء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الأشياء أو تسبيح معرفة بأن يجعل الله بلطفه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى وينزهه ألا ترى إلى قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح ضرورة بأن يجري الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هو الذي بعث) أرسل (في الأميين رسولاً منهم) أي بعث رجلاً أمياً في قوم أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله والأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار (يتلو عليهم آياته) القرآن

(ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة أو الفقه في الدين (وإن كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) كفر وجهالة وإن مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى أعظم منه (وآخرين منهم) مجرور معطوف على الأميين يعني أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين (لما يلحقوا بهم) أي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين وقيل هم العجم أو منصوب معطوف على المنصوب في ويعلمهم (٢٨٤) أي يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذي أعطاه محمدا وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) إعطاءه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) أي كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل في محل النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم يتبعوا بآياتها كذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا فيما من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي وقت اختيارهم الظلم أو لا يهدي من سبق في علمه أن يكون ظالما (قل يا أيها الذين هادوا) هاد يهود إذا تهود (إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التي

والحق من الباطل (ويزكيهم) أي يطهرهم من دنس الشرك (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) قيل هي السنة (وإن كانوا من قبل) أي من قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين وآخرين منهم) أي من المؤمنين الذين ظهروا ويدينون بدينهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم أمة واحدة وقيل أراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء أخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة (لما يلحقوا بهم) لم يدركوا ولكنهم يجيئون بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شأو الصحابة (وهو العزيز) أي الغالب الذي قهر الجبابرة (الحكيم) أي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعني الإسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) أي على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ۞ قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) هم اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر وإنما هو من الحمالة والتكميل (ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهي الكتب العظام من العلم سمي سفرا لأنه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود لما أعرضوا عن العمل بالتوراة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا إذ لم ينتفعوا بما في التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) أي بئس مثلا مثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لأنهم كذبوا بها حين تركوا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظالما وقيل معنى الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب أنبياء الله وأنبيائه (قل) أي قل يا محمد (يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) أي من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) أي ادعوا على أنفسكم بالموت (إن كنتم صادقين)

فإن زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه لأن الآخرة خير لأولياء الله من الدنيا (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) أي لا ينفعكم الفرار منه (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة) أي أذن لها (من يوم الجمعة) أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة لأنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان إذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد في رواية فثبت الأمر على ذلك ولأبي داود قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا اليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام والنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة الآية عن كعب بن مالك أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد ابن زرارة قال لأنه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر أصحاب السير أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول حين اشتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا إلى المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) أي فامضوا إليه واعملوا له وليس المراد من السعي الإسراع في المشي وإنما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا إلى ذكر الله وقال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا إلى الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الآية فاسعوا إلى ذكر الله قال السعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعي قال فلما مشى معه (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا وفي رواية فإذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة وذكر زاد مسلم فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا إلى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الإمام (وذروا البيع) يعني البيع والشراء لأن البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني وقال الزهري عند خروج الإمام وقال الضحاك إذا زالت الشمس حرم البيع ... الدنيا وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير

منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم (قل إن الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فإنه ملاقيكم) لا محالة والجملة خبر إن ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) النداء الأذان ومن بيان لإذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الأيام وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر (فاسعوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعي والمضي والذهاب واحد وليس المراد به السرعة في المشي (إلى ذكر الله) أي إلى الخطبة عند الجمهور وبه استدل أبو حنيفة رضي الله عنه على أن الخطيب إذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من

السعي والشراء (ذلكم) أي الذي ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء (خير لكم) من
ذلك الوقت (إن كنتم تعلمون) أي مصالح أنفسكم والله تعالى أعلم

(فصل في فضل الجمعة وأحكامها وإثم تاركها) وفيه مسائل • (المسألة الأولى) في فضلها (م) عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم
آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها زاد في رواية ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة (ق) عنه أن ر
صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله
أعطاه إياه وأشار بيده يقللها (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم
الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة
راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة
راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذ
وفي رواية إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا
جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل
كغسل الجنابة (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى
واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا قوله
من مس الحصى فقد لغا معناه أنه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن
قال أدركني أبو عبس وأنا ذاهب إلى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ا
قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار • عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت إلى الطور
كعب الأحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم ا
آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من
تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي
الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبا
حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أي ساعة هي قال أبو هريرة فقلت أخبرني بها
عني وفي رواية ضن علي قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة فقلت وكيف تكون آخر ساعة في
الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى
الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى
أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطأ والنسائي (خ) عن سلمان قال قال ر
الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من
بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين
الأخرى • عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل
وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها
أبو داود والنسائي قال أبو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده • (المسألة
في إثم تاركها) (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى ا
على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين •

(ذلكم) أي السعي إلى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء (إن كنتم تعلمون

الجمعة

لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا
كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فإنه يجوز غير أنه يكره إلا أن
يكون سفره سفر طاعة كحج أو غزو وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي
يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية
فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم
لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم أخرجه الترمذي وروي أن عمر رأى رجلا عليه
السفر وسمعه يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر أخرج فإن الجمعة لا تحبس عن سفر و
شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم ۞ قوله عز وجل (فإذا
قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) أي إذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة وا
في حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعني الرزق وهذا أمر إباحة قال ابن عباس إن شئت فاخرج وإن
شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر وقيل قوله فانتشروا في الأرض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مر
وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك أنه كان
إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت
كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) أي إذا فرغتم من الصلاة ور
التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة وقيل لا تكون من الذاكرين الله ك
حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا (لعلكم تفلحون) ۞ قوله تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا
إليها وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير تحمل
طعاما فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية وإذا رأوا تجارة
أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشام و
نحوه وفيه إلا اثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سو
قال فخرج الناس إليها فلم يبق إلا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثني
عشر رجلا وأجيب عنه بأنه ليس فيه بيان أنه أتم بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد قال
ابن عباس في رواية عنه لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع و
سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما ر
بالبقيع قاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنز
هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الو
نارا وقال المقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من
الشام بالتجارة وكان إذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة إلا أتته وكان يقدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبر وزيت
و ينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج
الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على ا
فخرج إليه الناس ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقي في
فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من ا
الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل وكانت العير إذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى
أي تفرقوا عنه وانفضوا إليها والضمير في إليها راجع إلى التجارة لأنها أهم إليهم وتركوك

فإذا قضيت الصلوة) أي
أديت (فانتشروا في
الأرض) أمر إباحة
(وابتغوا من فضل الله)
الرزق أو طلب العلم أو عيادة
المريض أو زيارة أخ في
الله (واذكروا الله كثيرا)
واشكروه على ما وفقكم
لأداء فرضه (لعلكم
تفلحون وإذا رأوا تجارة
أو لهوا انفضوا إليها)
تفرقوا عنك إليها وتقديره
وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها
أو لهوا انفضوا إليه فحذف
أحدهما لدلالة المذكور عليه
وإنما خص التجارة لأنها
كانت أهم عندهم روي أن
أهل المدينة أصابهم جوع
وغلاء فقدم دحية بن
خليفة بتجارة من زيت
الشام والنبي صلى الله عليه
وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا
إليه فما بقي معه إلا ثمانية
أو اثنا عشر فقال صلى الله
عليه وسلم والذي نفس محمد
بيده لو خرجوا جميعا
لأضرم الله عليهم الوادي
نارا وكانوا إذا أقبلت
العير استقبلوها بالطبل
والتصفيق فهو المراد باللهو
(وتركوك) على المنبر
(قائما) تخطب وفيه دليل
على أن الخطيب ينبغي أن
يخطب قائما

هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا قال أما تقرؤن وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة الى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافا لأبي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح أنه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب أن يصلي تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لأبي حنيفة ومالك

﴿ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام﴾

(ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد في رواية عن حدثك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن ابن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد أبو داود يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس * عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أخرجه أبو داود والترمذي ولأبي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وفي رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن به وله أخرجه أبو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالي وعلي * عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام يخطب فقد لغوت * عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فاصمتوا صلاة الجمعة ركعتان يجهر فيهما بالقراءة وجواز الجمعة خمس

شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب أن يصلى ظهرا ولا يجوز للامام أن يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو أربعون عند الشافعى فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة وانتقض العدد لا يجوز أن يصلى بهم الجمعة بل يصلى الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح أقوال الشافعى ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل أن يسلم يجب على الباقين أن يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو انه ان بقى معه اثنان أتمها جمعة وقيل ان بقى واحد أتمها جمعة وعند المزنى ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة أتمها جمعة وان بقى وحده وان كان فى الاولى يتمها أربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة لكن فى العدد الذى يشترط كالمسبوق ان أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام أتمها جمعة وان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا (خ) عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن أبى رافع قال استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد الجمعة سورة الجمعة فى الاولى واذا جاءك المنافقون فى الثانية قال فادركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان على بن أبى طالب يقرأ بهما فى الكوفة فقال أبو هريرة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما فى الصلاتين ٭ عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبو داود والنسائى ۞ قوله تعالى (قل ما عند الله) أى ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (خير من اللهو ومن التجارة) الذى جاء بها دحية (والله خير الرازقين) يعنى أنه تعالى موجد الارزاق وأسبابها فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى أعلم

## ﴿تفسير سورة المنافقين﴾

وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ قوله عز وجل (اذا جاءك المنافقون) يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (قالوا نشهد انك لرسول الله) وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم انك لرسوله) أى هو الذى أرسلك فهو عالم بك (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) يعنى فى قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم أضمروا خلاف ما أظهروا وذلك لان حقيقة الايمان أن يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شئ واعتقد خلافه أو أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم جنة) أى سترا يستترون بها من القتل ومعنى أيمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله (فصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى حيث آثروا الكفر على الايمان (ذلك بانهم آمنوا) أى فى الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين أقروا بالايمان (ثم كفروا) أى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

(قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى لا يفوتهم رزق الله بترك البيع والله أعلم ﴿سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) أرادوا بشهادتهم واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم (والله يعلم انك لرسوله) أى والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فى ادعاء المواطأة أو انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أو انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا أيمانهم جنة) وقاية من السبى والقتل وفيه دليل على أن أشهد يمين (فصدوا) الناس (عن سبيل الله) عن الاسلام بالتنفير والقاء الشبه (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون أى ذلك القول الشاهد عليهم بانهم أسوأ الناس أعمالا (بانهم) بسبب أنهم (آمنوا ثم كفروا) أو الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أى ذلك كله بسبب انهم آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير

أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع الله على قلوبهم) ختم عليها حتى لايدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لايفقهون) لايتدبرون أولايعرفون صحة الايمان والخطاب فى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لرسول الله أولكل من يخاطب (وان يقولوا تسمع لقولهم) كان ابن أبى رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع (كأنهم خشب) رفع على هم كأنهم خشب أوهو كلام مستأنف لامحل له (مسندة) فى الحائط شبهوا فى استنادهم وماهم الا أجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف أوجدار أوغيرهما من مظان الانتفاع ومادام متروكا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع أو لانهم أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام خشب أبو عمرو وغير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول أول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعنى اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة لان أعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولاتغترر بظاهرهم (قاتلهم الله) دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من (٢٩١) جهلهم وضلالتهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع (ورأيتهم يصدون) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لوأمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلاتنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه دعنى أضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتمونى أن أومن فآمنت وأمرتمونى أن أزكى مالى فزكيت ومابقى لى الا أن أسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا أياما حتى اشتكى ومات

---

لكاذبون (فطبع الله على قلوبهم) أى بالكفر (فهم لايفقهون) أى الايمان وقيل لايتدبرون القرآن (واذا رأيتهم) يعنى المنافقين مثل عبد الله بن أبى ابن سلول (تعجبك أجسامهم) يعنى ان لهم أجساما ومناظر حسنة (وان يقولوا تسمع لقولهم) أى فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبى ابن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم قوله (كأنهم خشب مسندة) أى أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام شبههم بالخشب المسندة الى جدار وليست بأشجار مثمرة ينتفع بها (يحسبون كل صيحة عليهم) يعنى انهم لايسمعون صوتا فى العسكر بان ينادى مناد أو تنفلت دابة أو تنشد ضالة الا ظنوا لجبنهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد أتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من أن ينزل فيهم أمر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى (هم العدو فاحذرهم) أى لاتأمنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك أعداء لك فاحذرهم ولاتأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم أسرارك (قاتلهم الله) أى لعنهم الله (أنى يؤفكون) أى يصرفون عن الحق ۞ قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أى أمالوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عما دعوا اليه (وهم مستكبرون) أى عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم

(سواء عليهم أستغفرت لهم) أي يا محمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم

﴿ذكر القصة في سبب نزول هذه الآية﴾

قال محمد بن اسحق وغيره من أصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق
يجمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل
فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بني المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى
الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس
ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه
وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ
الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن
أبي لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعني أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبي وعنده رهط من قومه فيهم
زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي أفعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا
كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل
على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله
لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى
ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من
الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبي اسكت فانما كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني أضرب عنقه
يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن
أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد الله بن أبي والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت
شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من أصحابه
يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم
وفشت الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه
وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله
عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم
قال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أبي فقال أسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة
أخرج الاعز منها الاذل فقال أسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال
يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد استلبته
ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا أحمل اليك رأسه فوالله لقد
علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي
أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي على الارض فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك

(سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) أي ما داموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف ا... لان أم المعادلة تدل عليه (ان الله لا يهدي القوم الفاسقين)

يحي

ليلته حتى أصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن أبي الذي كان منه بالأمس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما أزعم أني أعلم الغيب ولا أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فإذا هي كما قال فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق وحسن إيمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فأنزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن أرقم وتكذيب عبد الله بن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد وقال يا زيد إن الله قد صدقك وأوفى بأذنك (ق) عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله تصديقي إذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤوسهم وقوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالاً أجمل شيء (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصارياً فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا وقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شأنهم فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري فقال دعوها فإنها خبيثة وقال عبد الله بن أبي ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال ولينصر الرجل أخاه ظالماً كان أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره أو أنا عمن فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر أنك أنت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال أصحاب السير وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها اعترضه ابنه عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك قال ويلك ما لك قال لا والله لا تدخلها أبداً إلا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل فشكا عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل عنه يدخل فقال عبد الله أما إذ جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل فلما نزلت هذه السورة وبان كذب المنافقين قيل يا أبا حباب إنه قد نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم وقوله (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) أي يتفرقوا عنه (ولله

هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله

خزائن السموات والارض) أى وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة ان ينفقوا عليهم (ولكن ا
لا يفقهون) ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة
المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) أى الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولمن أعزه الله وأيده
ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى
رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزع
ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (ولكن المنافقين لا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) لا

(أموالكم) هو التصرف فيها والسعى فى تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عن ذكر الله) أى عن الصلوات الخمس أو عن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن اصلاح معاده (فأولئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما يأيس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أخرت موتى (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق)
فأتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون
أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (
أجلها) المكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد ويحيى والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما
اليه وانه هاجم لا محالة والله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الوا
لقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب ﴿سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿(
فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك

خزائن السموات والارض) يعنى بيده مفاتيح الرزق فلا يعطى أحد أحدا شيأ الا باذنه ولا يمنعه الا
(ولكن المنافقين لا يفقهون) يعنى ان أمر الله اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (يقولون لئن ر
الى المدينة) يعنى من غزوة بنى المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل) فرد الله عليهم بقوله (ولله ا
ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار
الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) أى ذلك
ما قالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى ابن سلول لم يلبث الا أياما قلائل
اشتكى ومات على نفاقه ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) أى لا تشغلكم (أموالكم ولا أ
ذكر الله) يعنى عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر
(ومن يفعل ذلك) أى ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله (فأولئك هم الخاسرون) أى فى تجار
آثروا الفانى على الباقى (وأنفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل أ
أحدكم الموت) أى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتنى) أى هلا
وقيل لو أخرت أجلى (الى أجل قريب فأصدق) أى فأزكى مالى (وأكون) وقرئ وأكن (من
أى من المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية فى المنافقين ويدل على هذا أن المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل نزل
المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من أحد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته أو أطاق
ولم يحج الا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين أى أحج وأزكى (ولن يؤ
نفسا اذا جاء أجلها) يعنى انه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته (والله خبير بما تعملون) يعنى
لو رد الى الدنيا وأجيب الى ما سأل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير أو شر
سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة التغابن﴾

وهى مدنية فى قول الاكثر وقيل هى مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزو
وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد) يعنى انه تعالى
كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان أصول النعم كلها منه وهو ا
ولا محمود فى جميع الاحوال الا هو (وهو على كل شئ قدير) يعنى أنه سبحانه وتعالى يفعل ما يشا

بالذات مبدئ كل شيء والقائم به وكذا الخذلان أصول النعم وفروعها منه وأما ما غيره فتسليط منه واستدعاء وحده غيره اعتقادا بأن
إعانة بجرت على يده (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له ويدل عليه قوله
(والله بما تعملون بصير) أي عالم بصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق
والإيجاد عن العدم وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب
عليهم والأكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخالق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به



(خلق السموات والأرض بالحق) بالحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) أي جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن أحسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان (وإليه المصير) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور أن شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعني قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) أي ذاقوا وبال كفرهم في الدنيا (ولهم عذاب أليم) في العقبى (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة (بأنه) بأن الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الإيمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم (والله غني) عن خلقه

---

بلا نعم ولا مدائع (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس إن الله تعالى خلق بني آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب ذلك وهو في بطن أمه وقال جماعة في معنى الآية إن الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا في تأويلها فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال فمنكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر في العاقبة وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر أي بأن الله خلقه وهم الدهرية وأصحاب الطبائع ومنكم مؤمن أي بأن الله خلقه وجملة القول فيه أن الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وإيمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية (والله بما تعملون بصير) أي إنه عالم بكفر الكافر وإيمان المؤمن (خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم) أي إنه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والنظر من حسن القدة والمناسبة في الأعضاء وقد علم بهذا أن صورة الإنسان أحسن صورة وأكملها (وإليه المصير) أي المرجع في القيامة (يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) معناه أنه لا تخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قوله تعالى (ألم يأتكم) يخاطب كفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعني خبر الأمم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) أي جزاء أعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا (ولهم عذاب أليم) أي في الآخرة (ذلك) أي الذي نزل بهم من العذاب (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) معناه أنهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة أحلامهم ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا (فكفروا) أي جحدوا وأنكروا (وتولوا) أي أعرضوا (واستغنى الله) أي عن إيمانهم وعبادتهم (والله غني) أي عن خلقه (حميد) أي في أفعاله ثم

على صنعه

(زعم الذين كفروا) أى أهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (أن لن يبعثوا) ان مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين
انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد لن وهو البعث (وربى لتبعثن) أكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شىء انكروه
قلت هو جائز لان التهدد به أعظم موقعا فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث على الله (يسير)
هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شىء فيهتدى به كما بالنور (والله بما
تعملون خبير) فراقبوا أموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الأولون
والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل
الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (يكفر عنه سيآته ويدخله) وبالنون فيهما مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل أو شىء تقتضي
همًا (الا باذن الله) بعلمه وتدبيره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكر وان ظلم غفر (والله بكل شىء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فانما على رسولنا البلاغ المبين) أى عليه التبليغ وقد فعل (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) أى ان من الازواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو أو للازواج والاولاد جميعا أى لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم

أخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) أى قل يا محمد (بلى وربى لتبعثن) أى يوم القيامة (ثم لتنبؤن) أى لتخبرن (بما عملتم وذلك على الله يسير) أى أمر البعث والحساب يوم القيامة (فآمنوا بالله ورسوله) لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العقوبة قال فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن سماه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة (والله بما تعملون خبير) يعنى أنه عليكم عالم بأحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه ﴿ قوله عز وجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فى المجازاة والتجارة وذلك انه اذا أخذ الشىء بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة وذلك لان كل كافر له أهل ومنزل فى الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وقيل ان قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة يتنعمون فلا غبن أعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون فى الدنيا فصار فى الآخرة غابنا لظالمه وأصل الغبن فى البيع والشراء وقد ذكر الله فى حق الكافرين أنهم خسروا وغبنوا فى شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال فى حق المؤمنين هل أدلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) أى يصدق بما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) أى فى ايمانه الى أن يموت على ذلك (يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا) أى بوحدانية الله وقدرته (وكذبوا بآياتنا) أى الدالة على البعث (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) أى بقضاء الله وقدره وارادته (ومن يؤمن بالله) أى يصدق أنه لا يصيبه مصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه (يهد قلبه) أى يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شىء عليم وأطيعوا الله) أى فيما أمر (وأطيعوا الرسول) أى فيما جاء به عن الله وما أمركم به (فان توليتم) أى عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو) أى لا معبود ولا مقصود الا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ﴿ قوله (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال

ن تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) تستروا ذنوبهم (فان الله غفور
رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا
لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو (انما
أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء  أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أي في
الآخرة وذلك أعظم من
منفعتكم بأموالكم وأولادكم
ولم يدخل فيه من كما
في العداوة لان الكل لا يخلو
عن الفتنة وشغل القلب
وقد يخلو بعضهم عن
العداوة (فاتقوا الله ما
استطعتم) جهدكم ووسعكم
قيل هو تفسير لقوله حق
تقاته (واسمعوا) ما
توعظون به (وأطيعوا)
فيما تؤمرون به وتنهون عنه
(وأنفقوا) في الوجوه التي
وجبت عليكم النفقة فيها
(خيرا لانفسكم) أي انفاقا
خيرا لانفسكم وقال
الكسائي يكن الانفاق
خيرا لانفسكم والاصح ان
تقديره ائتوا خيرا لانفسكم
وافعلوا ما هو خير لها وهو
تأكيد للحث على امتثال
هذه الاوامر وبيان لان
هذه الامور خير لانفسكم
من الاموال والاولاد وما
أنتم عاكفون عليه من
حب الشهوات وزخارف
الدنيا (ومن يوق شح
نفسه) أي البخل بالزكاة
والصدقة الواجبة (فأولئك
هم المفلحون ان تقرضوا
الله قرضا حسنا) بنية واخلاص وذكر القرض تلطف في الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم
بالواحدة عشرا أو سبعمائة الى ما شاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطي الجزيل (حليم) يقيل الجليل من ذنب
المؤمن أو يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) أي يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أي ما انتشر من
خطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) في الاخبار عن الغيوب والله أعلم ﴿سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية﴾

...أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم ولا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم أي ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا) يعني من أقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فأمره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فأنزل الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أي ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا أي فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده أجر عظيم) يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من التبعيض فقال ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من في قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم اني أعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع الى أهل ومال وولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

قوله عز وجل (فاتقوا الله ما استطعتم) أي ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا وأطيعوا) أي لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وأنفقوا) أي من أموالكم حق الله الذي أمركم به (خيرا لانفسكم) أي ما أنفقتم في طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعني ان تنفقوا أي تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه بالانفاق (يضاعفه لكم) أي يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما يشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعني يحب المتقربين اليه (حليم) أي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم

﴿تفسير سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لانه السيد المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لأمتك القول اذا طلقتم النساء أي اذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) أي لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ولمسلم عن أبي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن ٢ في قبل عدتهن

﴿فصل﴾ اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقوله صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل أن يمس والطلاق السني أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلق الصغيرة التي لم تحض أو الآيسة بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها أو طلق التي لم تر الدم لا يكون بدعيا ولا سنيا ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل أن يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لامره أن يتعرف الحال ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فأمر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي وأحمد وذهب بعضهم الى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأي قوله تعالى (وأحصوا العدة) أي عدد أقرائها فاحفظوها قيل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) أي واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به (لا تخرجوهن من بيوتهن) يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج له بملك أو كراء وان

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبي والمؤمنين ومعنى اذا طلقتم النساء اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان تطليق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الازواج لغفلة النساء (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى واجبة

٢ قوله في قبل عدتهن قال ... في شرح مسلم هي قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة لا تثبت قرآنا بالاجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اهـ

لمثبت بدخول دار يسكنها فلان يثبت الحنث فيما اذا حلف لا يدخل دار — أن لا يخرجن من البيوت غضبا عليهن وكراهة
لمساكنهن أو لحاجة لهم الى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا أثر له في رفع الحظر (ولا يخرجن)
بانفسهن ان أردن ذلك (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قيل هي الزنا الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء
العدة فاحشة في نفسه (وتلك حدود الله) أي الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري) ايها



عليها بمعنى كان على الزوج أن يكري لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذي طلقها فيه (ولا يخرجن) يعني ولا يجوز للمرأة أن تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة أثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما أو غرقا جاز لها أن تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل أو شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا ... في بيوتنا فأذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة الى بيتها وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر ... طلقها زوجها أن تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة في السفر تعتد في أهلها ذاهبة وراجعة والبدوية ... أهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقوله تعالى (الا أن يأتين ...) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة (وتلك حدود الله) يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) أي يطلق لغير السنة أو تجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) أي ضر نفسه (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنه المراجعة * عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق أخرجه أبو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أي اذا قربن من انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) أي راجعوهن (بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم (وأشهدوا ذوي عدل منكم) أي على الرجعة وعلى الفراق أمر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق * عن عمران بن حصين أنه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد أخرجه أبو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة كما في قوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها وأن لا يموت أحد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل أمر بالاشهاد للاحتياط مخافة أن تنكر المرأة المراجعة فتنقضي العدة وتنكح زوجا غيره (وأقيموا الشهادة) يعني أيها الشهود (لله) أي طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى أشهدوا بالحق وأدوها على الصحة (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله ... السنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر ابن له يسمى مالكا

المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها أو من الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) قاربن آخر العدة (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أي فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوي عدل منكم) من المسلمين (وأقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض

سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي انما ينتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص

(ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي مخرجا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها عوف بن مالك أسر المشركون ابنا له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبروا كثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان ذلك فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (ومن يتوكل على الله) يكل أمره إليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فهو حسبه) كافيه في الدارين (إن الله بالغ أمره) حفص منفذ أمره وغيره بالغ أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شيء قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت (إن ارتبتم) أي أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أي فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائي لم يحضن) من الصغائر وتقديره واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت لدلالة المذكور عليها (وأولات الأحمال أجلهن) عدتهن (أن يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا إليه أيضا الفاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبروا كثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه قد غفل عنه العدو فأصاب منهم إبلا وجاء بها إلى أبيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي في ابنه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يعني ما ساق من الغنم وقيل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شيء ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شيء وقيل مخرجا مما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يعني من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا (إن الله بالغ أمره) أي منفذ أمره وممض في خلقه قضاءه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي جعل لكل شيء من شدة أو رخاء أجلا ينتهي إليه وقال مسروق في هذه الآية إن الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل غير أن المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا قوله عز وجل (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) لما نزلت والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري يا رسول الله عدة من تحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم القواعد اللائي قعدن عن الحيض فلا يرجى أن يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض (إن ارتبتم) أي شككتم في حكمهن ولم تدروا ما عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) يعني الصغائر اللائي لم يحضن بعد فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود الشافعي وأصحاب الرأي وحكي عن عمر أنها تتربص تسعة أشهر فإن لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول وقال الحسن تتربص سنة فإن لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كله في عدة الطلاق وأما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (ق) عن كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل ابن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وأنت والله ما

ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) أي ما علم من حكم هؤلاء المعتدات
أنزله إليكم) من اللوح المحفوظ (ومن يتق الله) في العمل بما أنزله من  هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه

نكحي حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي لفظ البخاري ومسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى بأسا أن تتزوج حين وضعت وإن كانت في دمها غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أي ذلك الذي ذكر من الأحكام (أمر الله أنزله إليكم) أي لتعملوا به (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) ۞ قوله تعالى (أسكنوهن) يعني مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم من وجدكم) أي من سعتكم وطاقتكم فإن كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وإن كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) أي لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعني في مساكنهن فيخرجن (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أي فيخرجن من عدتهن

(فصل في حكم الآية) اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فإن كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة وإن كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكتري لها دارا تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروي عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها إلا أن تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق النفقة إلا أن تكون حاملا لقوله تعالى وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وأما الدليل على ذلك من السنة فما روي عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده فإذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم ولا حجة فيه لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها وكان في لسانها ذرابة وأما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملا وأما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروي عن علي أن لها النفقة إن كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان أحدهما أنه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء وهو قول أبي حنيفة والثاني أن لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن

(يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) ثم بين التقوى في قوله ومن يتق الله فكأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هي من التبعيضية مبعضها محذوف أي أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها بت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج (وإن كن أولات حمل) ذوات أحمال (فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة شرط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان أن مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم

(فإن أرضعن لكم) يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أ
حكمهن في ذلك حكم الأظآر ولا يجوز الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن خلافا للشافعي رحمه الله (وأتمروا بينكم) أي تشاور
التراضي في الأجرة وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن في المروءة فلا يماكس الأب ولا
الأم لأنه ولدهما وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه (وإن تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الأم بما ترضع به الأجنبية ولم يز
ذلك (فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة

للأب أي سيجد الأب غير
معاسرة ترضع له ولده إن
عاسرته أمه (لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه
رزقه فلينفق مما آتاه الله)
أي لينفق كل واحد من
الموسر والمعسر ما بلغه وسعه
يريد ما أمر به من الإنفاق
على المطلقات والمرضعات
ومعنى قدر عليه رزقه
ضيق أي رزقه الله على
قدر قوته (لا يكلف الله
نفسا إلا ما آتاها) أعطاها
من الرزق (سيجعل الله
بعد عسر يسرا) بعد ضيق
في المعيشة سعة وهذا وعد
لذي العسر باليسر (وكأين
من قرية) من أهل قرية
(عتت) أي عصت (عن
أمر ربها ورسله) أعرضت
عنه على وجه العتو والعناد
(فحاسبناها حسابا شديدا)
بالاستقصاء والمناقشة
(وعذبناها عذابا نكرا)
نكرا مدني وأبو بكر
منكرا عظيما (فذاقت وبال
أمرها وكان عاقبة أمرها
خسرا) أي خسارا وهلاكا
والمراد حساب الآخرة
وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي لأن المنتظر من وعد الله ووعيده
ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أ
العذاب (فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولي الألباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه.
إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون
صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (قد أنزل الله إليكم ذكرا) أي القرآن وانتصب (رسولا) بفعل مضمر تقديره أرسل ر

مرويه قال مالك والثوري وأحمد وإسحق واحتج من أوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة
ابنة سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن
أهلها في بني خدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه
فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة فإن زوجي لم يتركني في مسكن
ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة ناداني ر
الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأ
فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان
أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به أخرجه أبو داود والترمذي فمن قال بهذا القو
لم يثبته أولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ومن لم يو
قال أمرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا ۞ قوله عز وجل (فإن أرضعن لكم) يعني أ
(فآتوهن أجورهن) يعني على إرضاعهن وفيه دليل على أن اللبن وإن كان قد خلق لأ
ملك للأم وإلا لم يكن لها أن تأخذ عليه أجرا وفيه دليل على أن حق الرضاع والنفقة على الأزواج في
الأولاد (وأتمروا بينكم بمعروف) أي ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف وقيل تراضوا
على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا أمرهم أن يأتوا بالمعروف وما هو الأحسن ولا يقصدوا
وقيل المعروف ههنا أن لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه (وإن تعاسر
أي في حق الولد وأجرة الرضاع فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرة رضاعها وأبت الأم أن ترضعه
إكراهها على إرضاعه بل يستأجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذ
سعته) أي على قدر غناه (ومن قدر) أي ضيق (عليه رزقه) فكان بمقدار القوت (فلينفق مما آ
أي على قدر ما آتاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) أي في النفقة (إلا ما آتاها) يعني من المال
لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أي بعد ضيق وشدة غنى
۞ قوله تعالى (وكأين من قرية عتت) أي عصت وطغت والمراد أهل القرية (عن أمر ربها ورسله
وأمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) أي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها في الكفر فجا
وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) أي منكرا فظيعا وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازه
بالجوع والقحط والسيف وسائر أنواع البلاء وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا (فذاقت و
أي شدة أمرها وجزاء كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي خسرانا في الدنيا والآخرة (أ
شديدا) يخوف كفار مكة أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية (فاتقوا الله يا أولي الألباب)
العقول ثم نعتهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا) يعني القرآن (رسولا) أي وأر

ذكرا كأنه في نفسه ذكر أو على تقدير حذف المضاف أي قد أنزل الله اليكم ذا ذكر رسولا أو أراد بالذكر الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك أي ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام (يتلوا) أي الرسول أو الله عز وجل (عليكم آيات الله مبينات ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج الذين علم انهم يؤمنون من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر أو الجهل الى نور الايمان أو العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله) وبالنون مدني وشامي جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذي خلق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) **(٣٠٣)** أجمع المفسرون على ان السموات سبع (ومن الارض مثلهن) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وبين كل سماء بين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم سبعة (يتنزل الامر بينهن) أي يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) اللام يتعلق بخلق (وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) هو تمييز أو مصدر من غير لفظ الاول أي قد علم كل شيء علما وهو علام الغيوب

*(سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك ان أبا بكر وعمر يملكان أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه وعشرين ليلة في بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغي مرضات أزواجك) تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة لانه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك

---

رسولا (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات بالخفض أي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي وقرئ بالنصب ومعناه أنها واضحات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل رزق طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة (الله الذي خلق سبع سموات) يعني بعضها فوق بعض (ومن الارض مثلهن) أي في العدد (يتنزل الامر بينهن) أي الوحي الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته وينقلهم من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل سماء من سمواته وأرض من أرضيه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة في علمه والله تعالى أعلم

## ﴿تفسير سورة التحريم﴾

﴿وهي مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)

* (ذكر سبب نزولها) *

(ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي أجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير

قال لا قالت فما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يا أسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له اني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت يا تحرم ما أحل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا بل شربت عسلا ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا زاد في رواية يبتغي بذلك مرضاة

﴿شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما﴾ قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب والعسل الحلواء بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الحلواء تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت أنا وحفصة هكذا الرواية وأصلها فتواطأت أي اتفقت أنا وحفصة قولها اني لأجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء وياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة و يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمرة خبيثة الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء والسين أي أكلت نحله العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله تعالى وأكمل فائدة يريد قوله وان تظاهرا عليه وهما اثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه أن الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي أيضا وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي اسكتي فهي علي حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل

تحلة الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها

حه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول الآية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية وأما التفسير فقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك أي من العسل أو ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وليس التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي مرضات أزواجك أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أي غفر لك ذلك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي بين وأوجب لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المائدة فأمر الله أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته فأعتق رقبة (والله مولاكم) أي وليكم وناصركم (وهو العليم) أي بخلقه (الحكيم) أي فيما فرض من حكمه

(فصل) اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته أنت علي حرام أو قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيئا ففيه قولان للشافعي أحدهما انه يلزمه كفارة اليمين الثاني لا شيء عليه وانه لغو ولا يترتب عليه شيء من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطؤها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وفي رواية اذا حرم امرأته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لفظ الحميدي ۞ قوله تعالى (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) يعني سر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك أحدا وقال ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أسر اليها ان أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي بعدي وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة أراد أن يتراضاها فأسر اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في أبي بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به) أي أخبرت بذلك حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) أي أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بأن طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها قيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فأتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) أي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس (فلما نبأها به) أي أخبر حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) يعني حفصة (من أنبأك هذا) أي من أخبرك بأني أفشيت السر (قال نبأني العليم) أي بما تكنه الضمائر (الخبير) أي بخفيات الامور ۞ قوله عز وجل (ان تتوبا

ثم تحليلها بالكفارة او تحمّل لان شاء الله عقيبها حتى لا تحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولي أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) بما أحل وحرم (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه) يعني حفصة (حديثا) حديث مارية وامامة الشيخين (فلما نبأت به) أفشته الى عائشة رضي الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) أي أعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لها ألم تكتمي على قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها (فلما نبأها به) نبأ النبي حفصة بما أفشت (قالت) حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هذا قال نبأني العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا

الى الله) يخاطب عائشة وحفصة أى من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له (فقد صغت
قلوبكما) أى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما أن تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم أزل حريصا على أن أسأل عمر
ابن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل إن تتوبا الى
الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة
فتبرز ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى صلى الله عليه
وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهرى
والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش
قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان
منزلى فى بنى أمية بن زيد بالعوالى فغضبت يوما على امرأتى فاذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت
ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل
فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت أتهجره
احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن احداكن أن
يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا تسأليه شيأ وسلينى ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هى أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينزل يوما وأنزل يوما فيأتينى بخبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل
صاحبى الانصارى يوم نوبته ثم أتانى عشاء فضرب بابى ثم نادانى فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت
جاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة
وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على
حفصة وهى تبكى فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدرى ها هو ذا معتزل فى
المشربة فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت
حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكى بعضهم فجلست قليلا ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن
لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت
استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل فقد
أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر فى جنبه
فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه الى وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر
قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت
على امرأتى يوما فاذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبى
صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر
أفتأمن احداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هى أوسم
وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست
فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله أن يوسع
على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب
أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل على

الى الله) خطاب لحفصة
وعائشة على طريقة
الالتفات ليكون أبلغ فى
معاتبتهما وجواب الشرط
محذوف والتقدير ان تتوبا
الى الله فهو الواجب ودل
على المحذوف (فقد صغت)
مالت (قلوبكما) عن
الواجب فى مخالصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
حب ما يحبه وكراهة ما
يكرهه

(وإن تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفي وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وإفشاء سره (فإن الله هو مولاه) وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين أي كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقوله (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله) يبدله مدني وأبو عمرو فالتشديد للكثرة (أزواجا خيرا منكن) فإن قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين قلت إذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب أو راجعات إلى الله وإلى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات أو صائمات وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره (ثيبات وأبكارا) إنما وسط العاطف بين الثيبات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات

شهرا من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر يكون تسعا وعشرين زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ثم قال يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ إلى قوله عظيما قالت عائشة قد علم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية أن عائشة قالت لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم إن الله أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

(شرح بعض ألفاظه) قوله وعدلت معه بالإداوة أي ملت معه بالركوة فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الأرض لقضاء الحاجة العوالي جمع عالية وهي أماكن بأعلى أراضي المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة أوسم منك أي أكثر حسنا وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول هو أن يفعله الإنسان مرة ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فإذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير إذا ضفرته ونسجته والمراد به أنه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الأهبة ثلاثة الأهبة والأهب جمع إهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب

قوله تعالى (وإن تظاهرا عليه) أي تعاونا على إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم (فإن الله هو مولاه) أي وليه وناصره (وجبريل) يعني وجبريل وليه وناصره أيضا وإنما أفرده وإن كان داخلا في الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته (وصالح المؤمنين) روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الأنبياء (والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أي أعوان النبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه (عسى ربه) أي واجب من الله (إن طلقكن) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبدله أزواجا خيرا منكن) ثم وصف الأزواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال (مسلمات) أي خاضعات لله (مؤمنات) أي مصدقات بتوحيد الله تعالى (قانتات) أي طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات (تائبات) أي تاركات للذنوب لقبحها أو كثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادة (سائحات) صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (ثيبات) جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت من الزوج (وأبكارا) أي عذارى جمع بكر وهذا من باب الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال إن طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته أنه إن طلقهن أبدله أزواجا خيرا منهن تخويفا

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نارا وقودها الناس
نوعا من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلي أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعني الز
عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) في أجرامهم غلظة وشدة أو غلاظ الأقوال شداد الأفعال (لا يعصون الله) في
على النعت (ما أمرهم) في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون) وليست الجملتان في معنى واحد إذ معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) صادقة عن الأخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح إذا خلص من الشمع وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خلك ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على
مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا وجاء مرفوعا أن التوبة النصوح (ويدخلكم
أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب إلى أن يعود اللبن في الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب
عباس رضي الله عنه هي الاستغفار باللسان والندم بالجنان والإقلاع بالأركان (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) هذا على
عادة الملوك من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت

---

طن ۞ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه وا
طاعته (وأهليكم) يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك (نارا
الناس والحجارة) يعني الكبريت لأنه أشد الأشياء حرا وأسرع إيقادا (عليها ملائكة) يعني خزنة النار
الزبانية (غلاظ) أي فظاظ على أهل النار (شداد) يعني أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الوا
ألفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما أمرهم) أي لا يخالفون الله فيما أمر
(ويفعلون ما يؤمرون) أي لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامره والانتقام من أعدائه (يا أيها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم) أي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لا
والاعتذار فلا ينفعهم الاعتذار لأنه غير مقبول بعد دخول النار (إنما تجزون ما كنتم تعملون) يعني
أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب ۞ قوله (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أي ذات نصح
صاحبها بترك العود إلى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح
يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادما
على أن لا يعود إليه وقال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد
سماه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها أربعة
الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان

(فصل) وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء
أو كبيرة فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط أحدها أن يقلع
المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا فإذا اجتمعت هذه الشروط
التوبة كانت نصوحا وإن فقد شرط منها لم تصح توبته فإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أر
هذه الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت المعصية مالا ونحوه رده إلى صاحبه وإن
حد قذف أو نحوه مكنه من نفسه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب العبد من
الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب أهل ا
تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة (م) عن الأغر بن يسار المزني
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة (خ) عن أبي هر
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليو
من سبعين مرة (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتو
عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة الحديث (م) عن أبي موسى الأشعري
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار
مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ۞ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى
وسلم قال إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ۞ وقوله تعالى (عسى
أن يكفر عنكم سيئاتكم) هذا إطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجو

الكفر (يوم) ... (يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) في موضع الخبر (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) ... الذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن أخزاهم الله
(واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل بإقامة الحدود
(واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا
امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار



مع الداخلين) مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بإفشاء أسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أي عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج إغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هي آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالأوتاد الأربعة (إذ قالت) وهي تعذب

(ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أي لا يعذبهم بدخول
النار (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) يعني على الصراط (يقولون ربنا) يعني إذا انطفأ نور المنافقين
(أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم
وبئس المصير) تقدم تفسيره ٭ قوله تعالى (ضرب الله مثلا) أي بين شبها وحالا (للذين كفروا امرأت
نوح) واسمها واعلة (وامرأت لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة ووالهة (كانتا تحت عبدين من
عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا إضافة تشريف وتعظيم (فخانتاهما)
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما وكانت
امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت الجبابرة من قومها وأما امرأة لوط فإنها كانت
تدل قومها على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار وإذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك
وقيل إنهما أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) أي لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما
عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وأنه
لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وإن كانت القرابة متصلة بينهم وإن القريب كالأجانب
بل أبعد وإن كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان
الرسولان عن امرأتيهما شيأ فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفي هذا
المثل تعريض بأمي المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده ٭ ثم ضرب
مثلا آخر يتضمن أن معصية الغير لا تضره إذا كان مطيعا وأن وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى
(وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى
السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في
الشمس فكانت تعذب في الشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة (إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في
الجنة) فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل إن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها
بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فألقيت
الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقيل رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة وهي تأكل وتشرب فيها
(ونجني من فرعون وعمله) يعني وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه (ونجني من القوم الظالمين) يعني
الكافرين (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) أي عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنا فيه)
أي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا) إضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله
(وصدقت بكلمات ربها) يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه (وكتبه) يعني
الكتب المنزلة على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القانتين) يعني كانت من

(ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكأنها أرادت الدرجة العالية لأنه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (ونجني
من فرعون وعمله) أي من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني
من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين
(ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (فيه) في الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت
بكلمات ربها) أي بصحفه التي أنزلها على إدريس وغيره (وكتبه) بصري وحفص يعني الكتب الأربعة (وكانت من القانتين)

لما كان التنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أ
من القانتين لانهما من أعقاب هرون أخى موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنفعهم
تراجم درزنالهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرا
والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفى طى هذين التمثيلين تعريض بامى المؤمنين المذكورتين فى أول ا
وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه واشارة الى أن من حقهما أن
الاخلاص ككاتين المؤمنتين وأن (٣١٠) لا يتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية﴾

وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) أى تصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء (وهو على كل شئ) من المقدورات أو من الانعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال (الذى خلق الموت) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الذى قبله (والحيوة) أى ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بامره ونهيه فيما بين الموت الذى يعم الامير والاسير والحياة التى لا تفى بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) أى أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصو أن يكون على السنة والمراد انه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين فقدم لانه فيما يرجع الى المسوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذى هو أثر صفة القهر على الحياة التى هى أثر اللطف قدم صفة اللطف بقوله

القوم اثنتين أى الطيبين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة لله ❊ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الملك﴾

مكية وهى ثلاثون آية وثلثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلثمائة وثلاثة عشر حرفا

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ولابى داود وفيه تشفع لصاحبها ❊ عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائى على قبر انسان وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ... النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

❊ قوله عز وجل (تبارك الذى بيده الملك) أى له الامر والنهى والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شئ قدير) أى من الممكنات (الذى خلق الموت والحيوة) قيل أراد موت الانسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه أقرب الى الانسان وقيل قدمه لانه أقدم وذلك لان الاشياء كانت فى الابتداء فى حكم الموتى كالتراب والنطفة ا ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ويجد ريحها شئ الا حيى وهى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها فألقاها فى العجل فخار وحيى وقيل ان ا وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهى القوة الحساسة مع وجود الروح فى الجسد وبه سمى الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف فى هذه الدار وحال المجازاة فى دار القرار والحياة أيضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم أحد فى ولم يصل اليه الثواب فى الآخرة (ليبلوكم) أى ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا) عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعته وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال أيضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان

العزيز) أى الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) الستور الذى لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذى خلق سبع سموات
طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا
(ما ترى) جملة فى موضع الصفة لطباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن ونبيها على
سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) رده الى
أيضا حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثم ارجع
البصر كرتين) كرر النظر مرتين أى كرتين مع الاولى وقيل سوى الاولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على
مرتين بل أراد به التكرير
بكثرة أى كرر نظرك ودققه
هل ترى خللا أو عيبا
وجواب الامر (ينقلب)
يرجع (اليك البصر خاسئا)
ذليلا أو بعيدا مما تريد
وهو حال من البصر (وهو
حسير) كليل معيي ولم تر فيها
خللا (ولقد زينا السماء
الدنيا) القربى أى السماء
الدنيا منكم (بمصابيح)
بكواكب مضيئة كاضاءة
الصبح والمصابيح السرج
فسميت بها الكواكب
والناس يزينون مساجدهم
ودورهم بايقاد المصابيح
فقيل ولقد زينا سقف
الدار التى اجتمعتم فيها
بمصابيح أى بأى مصابيح
لا توازيها مصابيحكم اضاءة
(وجعلناها رجوما
للشياطين) أى لاعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات
يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن
ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنى أو يخبله لان الكواكب لا تزول عن أماكنها لانها قارة فى الفلك على حالها (واعتدنا
لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم
أى ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (اذا ألقوا فيها) طرحوا فى جهنم كما يطرح الحطب
فى النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمير وشبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم
غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) أى تتميز يعنى تتقطع وتتفرق (من الغيظ) الله على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم
(كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم

هو الصواب اذا كان على السنة وقيل أيكم أزهد فى الدنيا (وهو العزيز) أى الغالب المنتقم ممن عصاه
(الغفور) أى لمن تاب اليه ورجع عن اساءته ۞ قوله تعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا) يعنى طبقا
على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقبية على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار
سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور
(ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى ما ترى يا ابن آدم فى شئ مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا
تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر) أى كرر النظر (هل ترى من فطور) أى شقوق
وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) أى ينصرف (اليك) ويرجع
(البصر خاسئا) أى صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى (وهو حسير) أى كليل منقطع لم يدرك ما طلب
(ولقد زينا السماء الدنيا) أى القربى من الارض وهى التى يراها الناس (بمصابيح) أى بكواكب كالمصابيح
فى الاضاءة وهى أعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة
للسماء وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى (وجعلناها رجوما
للشياطين) قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة
للسماء يقتضى بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضى زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت
قالوا ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمى
الشياطين بتلك الشعلة وهى الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهى على حالها (وأعتدنا لهم)
أى وأعتدنا للشياطين بعد الاحتراق فى الدنيا (عذاب السعير) أى فى الآخرة وهى النار الموقدة (وللذين
كفروا بربهم) أى ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم
وبئس المصير) ثم وصفهم فقال تعالى (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق الحمار
وذلك أقبح الاصوات (وهى تفور) أى تغلى بهم كغلى المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب
القليل (تكاد تميز) أى تتقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم (كلما ألقى فيها فوج) أى جماعة (سألهم

خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخا لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) بعدل الله واقرار بانه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه (فكذبنا) أى فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شئ مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى قال الكفار للمنذرين ما أنتم الا فى خطأ عظيم فالنذير بمعنى الانذار ووصف به منذروهم لغلوهم فى الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو سموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان أو كلام الرسل للخزنة أى قالوا لهم هذا فى الدنيا (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (أو نعقل) عقل متأمل (ما كنا فى أصحاب السعير) فى جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فسحقا لأصحاب السعير) فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو جحدوا فان ذلك لا ينفعهم وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أى الجنة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) ظاهره الامر بأحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستوى عندكم اسراركم واجهاركم فى علم الله بهما روى أن مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله بقوله (انه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به (ألا يعلم من خلق) من فى موضع رفع بانه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها وصفته انه اللطيف أى العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق أفعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتجا بهذا على نفى خلق الافعال (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع المشى فيها (فامشوا فى مناكبها) جوانبها استدلالا واسترزاقا أو جبالها أو طرقها (وكلوا من رزقه) أى من رزق الله فيها (واليه النشور) أى واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أأمنتم من فى السماء) من ملكوته فى السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه أو لانهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الارض) كما خسف بقارون (فاذا هى تمور) تضطرب وتتحرك (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل

خزنتها) يعنى سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم نذير) أى رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) يعنى للرسول (ما نزل الله من شئ) وهذا اعتراف منهم بانه أزاح عللهم ببعثة الرسل وأنهم كذبوا وقولنا ما نزل الله من شئ (ان أنتم الا فى ضلال كبير) فيه وجهان أحدهما وهو الاظهر أنه من قول الكفار للرسل والثانى يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم فى الدنيا فى ضلال (وقالوا لو كنا نسمع) أى من الرسل ما جاؤا به (أو نعقل) أى نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به (ما كنا فى أصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يتدبر ويتفكر ما كنا فى أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو فى معنى الجمع أى بتكذيبهم وقولهم ما نزل الله من شئ (فسحقا) أى بعدا (لأصحاب السعير) ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) أى لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى ثواب أعمالهم الصالحة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) قال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لا يسمع إله محمد فأخبره الله أنه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى (انه عليم بذات الصدور) ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) يعنى ألا يعلم من خلق مخلوقه وقيل ألا يعلم الله من خلق والمعنى ألا يعلم الله ما فى صدور من خلق (وهو اللطيف) أى باستخراج ما فى الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة ﴿ قوله تعالى (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شئ والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشى فيها بالحزونة (فامشوا فى مناكبها) أمر اباحة وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذى سهل لكم السلوك فى جبالها وهو أبلغ التذليل من رزقه أى مما خلقه الله لكم فى الارض (واليه النشور) أى واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف الكفار فقال تعالى (أأمنتم من فى السماء) قال ابن عباس يعنى عقاب من فى السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور) أى تتحرك باهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى أسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم أى تجئ وتذهب (أم أمنتم من فى السماء أن

حاصبا) حجارة أن يرسل بدل من من بدل الاشتمال وكذا ان يخسف (فستعلمون كيف نذير) أى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف
انذارى حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم اذ أهلكتهم ثم نبه على
قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله (أولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند
طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى أى يصففن ويقبضن أو صافات
وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والهواء للطائر كالماء
للسابح والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ بلفظ
الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الا
الرحمن) بقدرته والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن

عليكم حاصبا) يعنى ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) أى عند الموت فى الآخرة (كيف نذير)
أى انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية
(فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا ❁ قوله عز وجل (أولم يروا الى الطير
فوقهم صافات) أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممن أجنحتهن اذا ضربن
بها جنوبهن بعد البسط (ما يمسكهن) أى حال القبض والبسط (الا الرحمن) والمعنى أن الطير مع ثقلها
وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظها (انه بكل شئ
بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية (أمن هذا الذى هو جند لكم) استفهام انكار أى لا جند لكم
ينصركم) أى يمنعكم (من دون الرحمن) أى من عذاب الله قال ابن عباس أى من ينصركم منى ان أردت
عذابكم (ان الكافرون الا فى غرور) أى من الشيطان يغرهم ان العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذى
يرزقكم ان أمسك رزقه) يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر ان أمسكه الله عنكم (بل لجوا) أى تمادوا
فى عتو) أى تبرّر وتكبر (ونفور) أى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى
(أفمن يمشى مكبا على وجهه) أى كالمنكس رأسه فى الضلالة والجهالة أعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا
شمالا وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى) أى
أرشد (أمن يمشى سويا) أى قائما معتدلا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعنى المؤمن يمشى
يوم القيامة سويا (قل هو الذى أنشأكم) أى خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى
ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه
ولا تأملتم ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم واستعملتموها فى غير ما خلقت له فلهذا قال (قليلا
ما تشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته
فما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم (فى الارض
واليه تحشرون) أى يوم القيامة والمعنى أن القادر على الابداء قادر على الاعادة (ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين) هذا السؤال يحتمل وجهين أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى أنه

مستأنف وان جعل حالا
من الضمير فى يقبضن يجوز
(انه بكل شئ بصير) يعلم
كيف يخلق وكيف يدبر
العجائب (أمن) مبتدأ
خبره (هذا) ويبدل من
هذا (الذى هو جند لكم)
ومحل (ينصركم من دون
الرحمن) رفع نعت لجند
محمول على اللفظ والمعنى من
المشار اليه بالنصر غير الله
تعالى (ان الكافرون الا
فى غرور) أى ما هم الا فى
غرور (أمن هذا الذى
يرزقكم ان أمسك رزقه)
أم من يشار اليه ويقال
هذا الذى يرزقكم ان
أمسك رزقه وهذا على
التقدير ويجوز أن يكون
اشارة الى جميع الاوثان
لاعتقادهم أنهم يحفظون
من النوائب ويرزقون



ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (فى
عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه)
يقال أكببته فكب وأكب على وجهه يعثر كل ساعة ويمشى معتسفا وخبر من (أهدى) أرشد وأكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب (أمن يمشى سويا)
قائما سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة أهدى عليه وعن الكلبى يعنى
أبا جهل والسوى النبى عليه السلام (قل هو الذى أنشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها
آلات العلم (قليلا ما تشكرون) هذه النعم لانكم تشكرون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة
عن العدم (قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) أى الكافرون للمؤمنين استهزاء
(متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (ان كنتم صادقين) فى كونه فاعلموا زمانه

(قل انما العلم) أى علم وقت العذاب (عند الله وانما انا نذير) مخوف (مبين) أبين لكم الشرائع (فلما رأوه) أى الوعد يعنى
(زلفة) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة وغشيتها
القترة والسواد (وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا
من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) أى أماتنى
كقوله ان امرؤ هلك (ومن معى) من أصحابى (أو رحمنا) أو أخر فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو وانتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه (قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم اليه الرحمن (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه أمورنا (فستعلمون) اذا نزل بكم العذاب وبالياء على (من هو فى ضلال مبين) نحن أم أنتم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر
كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل اليه من أراده وتليت عند ملحد وقال يأتى بالمعول والمعن فذهب ماء عينيه فى تلك الليلة وعمى وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

﴿سورة ن مكية وهى اثنان وخمسون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ن) الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه
الذى عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لابد له من الاعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم والسكون دليل على انه من

سؤال عن يوم القيامة فاجاب الله عن ذلك بقوله (قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين) أى
العلم الى الله تعالى وتبليغ ما أوحى اليه (فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة على قول أكثر المفسرين وقيل
يعنى العذاب ببدر (زلفة) أى قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى
قبحت وجوههم بالسواد (وقيل) لهم أى وقالت لهم الخزنة (هذا الذى كنتم به تدعون) من الدعاء
أى تتمنون وتطلبون أن يعجله لكم وقيل من الدعوى أى تدعون أنه باطل (قل) يا محمد لمشركى مكة الذين
يتمنون هلاكك (أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى) أى من المؤمنين (أو رحمنا) أى فأبقانا وأخر آجالنا
(فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى الآية قل أرأيتم ان أهلكنى
الله أى فعذبنى ومن معى أو رحمنا أى فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لان حكمه
لله فينا فمن يجيركم أو يمنعكم من عذاب أليم وأنتم كافرون وهذا قول ابن عباس (قل) أى قل يا محمد
لمنكرك عليهم ولو يسخط لهم (هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أى نحن آمنا به وعبدناه وأنتم كفرتم به
(فستعلمون) أى عند معاينة العذاب (من هو فى ضلال مبين) أى نحن أم أنتم وهذا تهديد لهم ثم ذكر
بعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم) قيل بئر زمزم وبئر ميمون
غير هاما من المياه (غورا) أى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى ولا الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) أى
تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال ابن عباس معين أى جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين
ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبرونى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض فمن
يأتيكم بماء معين فلابد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شئ
شريكا له فى العبودية وهذا محال والله أعلم

﴿تفسير سورة ن﴾

مكية وهى اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ۏ قوله عز وجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الارض وعنه أن أول ما خلق الله القلم فجرى
بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض
فأثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون
ليوثا وقيل لوثيا وعن على بلهوت قال أصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث
من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه
قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على
سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها
بين سنام الثور الى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخراه
فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار

صخرة كذا لها سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا ليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث لله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم ● ألقت النون بالدمع السجام

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا ان نون آخر حروف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة (والقلم) هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه (وما يسطرون) أي وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع (ما أنت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون (وان لك لاجرا غير ممنون) أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد ● عبس كواسب ما يمن طعامها ● أي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك أجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وأفعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم

---

الموح أو قلم الملائكة والذي يكتب به الناس أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) أي ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة أو مصدرية وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) أي انعامه عليك بالنبوة وغيرها فالنت اسم ما وخبرها (بمجنون) وبنعمة ربك اعترض بين الاسم والخبر والباء في بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي وهو جواب يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع أو غير ممنون عليك به (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو ما أمره الله تعالى به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن أي ما فيه من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما

لا دين أحب الي ولا أرضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو أدب القرآن سئلت عائشة رضي الله
عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر
أوامر الله وينتهي عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل
سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والله
سبحانه وتعالى أعلم

*(فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم)* من ذلك ما روي عن جابر أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق
والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس * عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت ر
الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم أخرجه أبو داود * وعنها قالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكمل الناس ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم باهله أخرجه الترمذي
حديث حسن * عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن
القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
* وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أحبكم الى الله وأقربكم مني
يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا (ق) عن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن
الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي ا
قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحاسنكم أخلاقا (ق) عن
أنس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي أف قط ولا قال لشيء
كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس
خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان
أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى
عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية ويجيب اذا دعي * وعنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن
وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له أخرجه الترمذي (ق)
عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسر
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط
تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا
الا أن يجاهد في سبيل الله تعالى (ق) عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد
نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى ا
عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء (ق) عنه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى
وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل
كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور الا أنه أحمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته قالت كان يكون في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج
الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول

ويبصرون) أي عن قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم (بأيكم المفتون) المجنون لأنه فتن أي محن بالجنون والباء زائدة أو المفتون مصدر كالمعقول أي بأيكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى في تقول كنت ببلد كذا أي في بلد كذا والتقدير في أيكم المفتون أي الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام أو فريق الكفر (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أي هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) أي هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم أرادوا أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) لو تلين لهم (فيدهنون) فيلينون لك

عليه وسلم أخرجه الترمذي ﴿ قوله تعالى (فستبصر) أي يا محمد (ويبصرون) يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قال ابن عباس معناه بأيكم المجنون وقيل الباء بمعنى في معناه فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أو فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فأعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية انهم تمنوا أن تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وقيل معناه ودوا لو تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف بالباطل (مهين) أي ضعيف ذليل وقيل هو من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الأول لأن الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الأسود بن عبد يغوث وقيل هو الأخنس بن شريق (هماز) أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز بأخيه في المجلس (مشاء بنميم) أي قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) أي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا (معتد) أي ظلوم يتعدى الحق (أثيم) أي فاجر يتعاطى الاثم (عتل) أي غليظ جاف وقيل هو السيء الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل الأكول الشروب القوي الشديد ولا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا في النار دفعة واحدة (بعد ذلك) أي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة (زنيم) وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم قيل انما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة (أن كان ذا مال وبنين) قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين أي لا تطعه لماله وقرئ أأن كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه ألأن كان ذا مال وبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال

ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمني لأنه عدل به الى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون أي فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير في الرأي والتمييز من المهانة وهي القلة والحقارة أو كذاب لأنه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من

(معتد) مجاوز في الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعدما عد له من المثالب (زنيم) قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية ... منها وروي انه دخل على أمه وقال ان محمدا وصفني بعشر صفات وجدت تسعا فيّ فأما الزنيم فلا علم لي به فان ... بت عنقك فقالت ان أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسي فأنت من ذلك ... أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع أي ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده ... ذا مال (وبنين) كذب بآياتنا يدل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال

أساطير الاولين) ولا يعمل فيه قال لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أأن حزه وأبو بكر أى لأن كان ذا مال كذب أن شاء الله ويعقوب وسهل قالوا المراد الوليد النبي صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فان كان من أن يجزى المسيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فعل ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا (سنسمه على الخرطوم) على أنفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه أبشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر خرطومه (انا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف (كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة قرب

لما صر وان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فأحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (اذ اقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وسمى استثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لأخرجن ان شاء الله لأخرج الا أن يشاء الله

(وطاف عليها طائف من ربك) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها (وهم نائمون) أى في حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) أى كالليل المظلم أى احترقت فاسودت أو كالصبح أى صارت أرضا بيضاء بلا شجر أو كالمصرومة أى كأنها صرمت لهلاك ثمرها (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرثكم) لان الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه أو ضمن الغدو معنى الاقبال أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (ان كنتم صارمين) مريدين صرامه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلنها) أى الجنة وان مفسرة وقرئ بدونها على اضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها (اليوم عليكم مسكين) والنهي عن دخول المساكين نهي عن التمكين أى لا تمكنوه من الدخول (وغدوا على حرد) على جد في المنع (قادرين) عند أنفسهم على المنع كذا عن نفطويه أو الحرد القصد والسرعة أى

أساطير الاولين) أى جعل مجازاة النعم التى خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لأن كان ذا مال وبنين تطيعه ثم أوعده فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) أى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به فى الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه أى سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه كالسمة لا تمحى ولا يعفى أثرها وقد ألحق الله به عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كمن يوسم على الخرطوم الذى لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه ۞ وقوله تعالى (انا بلوناهم) أى اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) روى عن ابن عباس فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو أيضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر منه فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فأما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع أن نفعل هذا فتحالفوا بينهم يوما أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى (اذ أقسموا) أى حلفوا (ليصرمنها) أى ليقطعن ثمرها (مصبحين) أى اذا أصبحوا قبل أن يخرج اليهم المساكين وقيل أى وقت الصباح (ولا يستثنون) أى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل لا يستثنون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طائف من ربك) أى عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها وهو قوله تعالى (فأصبحت) أى الجنة (كالصريم) أى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة (فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما أصبحوا (أن اغدوا على حرثكم) يعنى الثمار والزروع والاعناب (ان كنتم صارمين) أى قاطعين ثماركم (فانطلقوا) أى مشوا اليها (وهم يتخافتون) أى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) أى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) أى عند أنفسهم على

[illegible] غدا قادرين عند أنفسهم على صرامها وزي منفعتها عن المساكين أو وعلى الجنة أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها (فلما رأوها) أي جنتهم محترقة (قالوا) في بديء وصولهم (انا لضالون) أي ضللنا جنتنا وما هي بها الدار أو من هلا كيف الما [illegible] عرفوا انها هي قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا [illegible]ن) أي هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل [illegible] التفويض والتنزيه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك [illegible] اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد [illegible] البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به أولى وأقروا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن أن يكون ظالما [illegible] (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ورحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا) وبالتشديد مدني وأبو عمرو (خيرا منها) من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجعون لعفوه عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم أخلصوا فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) أي مثل ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه ([illegible] لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضي الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أي في الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لو كان [illegible] حقا فنحن نعطى في الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما في الدنيا فقيل لهم أنحيف في الحكم أفنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل [illegible] على طريقة الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصي كأن أمر الجزاء مفوض اليكم [illegible] فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن في ذلك الكتاب (ان لكم فيه لما تخيرون) أي ان ما [illegible] لكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام في خبرها [illegible] يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) [illegible] كدة بالايمان (بالغة) نعت أيمان ويتعلق (٧) قوله وانما كسرت اللام لمجيء اللام اه

[illegible] ثمارها الا بعد يوم وبينها أحد (فلما رأوها) أي رأوا الجنة محترقة (قالوا انا لضالون) أي لمخطئون الطريق وأضللنا مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) أي قال بعضهم قد حرمنا خيرها [illegible] لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) أي أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لا يقدر أحد على شيء الا بمشيئته وعلى التفسير الثاني ان الاستثناء بمعنى لا يتركون شيأ [illegible] المساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون أي تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم [illegible] منعتكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم [illegible] نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا [illegible]) أي بمنعنا المساكين حقوقهم (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا (قالوا [illegible] يا ويلنا) دعوا على أنفسهم بالويل (انا كنا طاغين) أي في منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا [illegible] نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي كفعلنا بهم [illegible] من تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا [illegible]) ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى (ان المتقين عند ربهم جنات النعيم) أي عند ربهم [illegible] الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا [illegible] المشركين (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل [illegible] يعطى أفضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) يعني هذا الحكم المعوج (أم لكم كتاب) أي نزل من عند الله (فيه) أي في ذلك الكتاب (تدرسون) أي تقرؤن (ان لكم فيه) أي في ذلك الكتاب (لما تخيرون) أي تختارون [illegible] (أم لكم أيمان علينا بالغة) معناه ألكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا

(الى يوم القيامة) أي لا تنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة (ان لكم) أي في ذلك العهد (لما تحكمون) أي لانفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم أيهم بذلك زعيم) أي أيهم كفيل لهم بان لهم في الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء) أي بل لهم شركاء يعني ما كانوا يجعلونه لله شركاء وانما أضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) أي في دعواهم (يوم يكشف) أي فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم (عن ساق) أي عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة في القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع في أمر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك اذا قام في ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق ٭ وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وأنشد أهل اللغة أبياتا في هذا المعنى فمنها ما أنشده أبو عبيدة لقيس بن زهير

فان شمرت لك عن ساقها ٭ فدنها ربيع ولا تسأم

ومنها قول جرير

ألا رب ساهي الطرف من آل مازن ٭ اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا و

(الى يوم القيامة) بالغة أي انها تبلغ ذلك وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم أو بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم وهو جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد (سلهم) أي المشركين (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) كفيل بانه يكون ذلك (أم لهم شركاء) أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) في دعواهم يعني ان أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يوم يكشف عن ساق) ناصب الظرف فليأتوا أو اذكر مضمرا والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدة الامر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كني به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما تقول للاقطع الشحيح يده معلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو كناية عن البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان ولو كان الامر ... ويحجه ...

ويعجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر أو أخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه

(فصل في شرح ألفاظ الحديث وما يتعلق به) أما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتي الكلام عليها في موضعها إن شاء الله تعالى قوله حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها وفي رواية أبي هريرة فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره اعلم أن هذا الحديث من أكبر أحاديث الصفات وأعظمها وللعلماء فيه وفي أمثاله قولان أحدهما وهو قول معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا وقيل الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه إتيانا وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا الوجه أشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة أنا ربكم رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون بذلك أنه ليس ربهم ويستعيذون بالله منه وأما قوله فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه

وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لا يشبه شيأ من مخلوقاته وقد علموا أنه لا يشبه شيأ من مخلوقاته فيعلمون
بذلك أنه ربهم فيقولون أنت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم
ذكر الصورة وقوله في حديث أبي سعيد أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها معنى رأوه فيها أي
علموها صفته المعلومة للمؤمنين وهي أنه لا يشبهه شيء وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله انما استعاذوا منه
لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري يكشف ربنا
عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال أبو سليمان الخطابي فيحتمل أن يكون
معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه أي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد
تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ما روى عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد
العزيز وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها ومولى عمر بن عبد العزيز كثيرون فهو
مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف
قال القاضي عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة
عظيمة وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه
كشف الخوف وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك
ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي هي في
الجنة لكرامة أولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من
تلقاء نفسه الا أذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة وا
هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة أي فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على
السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد
ازال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم
وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن
فيها قوله دحض مزلة أي تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي
الشئ وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك
عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم معناه أنهم ثلاثة أقسام
يسلم فلا يناله شئ أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس أي يلقى ويسقط في جهنم وفي هذه
اثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة وأهل الحق وهو جسر ممدود يجعل على متن جهنم وهو أرق من الشعر
وأحد من السيف يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم وأعمالهم والآخرون
يسقطون في جهنم أعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار
لهم وقوله فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضي
عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح أن معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو
التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح أو ذكر خفي أو عمل من أعمال
شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى أو نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك أقل المقادير
وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا أي صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع
وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا

كلام التشبيه لكان من حق الساق أن يعرف لانها ساق معهودة عنده (ويدعون) أى الكفار ثم (الى السجود) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصياصى البقر لا تنثنى عند الخفض والرفع (خاشعة) ذليلة حال من الضمير فى يدعون (أبصارهم) أى يدعون فى حال خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا يدعون) على ألسن الرسل (الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) أى وهم أصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثم (فذرنى) بدل ذرنى وإياه أى كله الى فانى أكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كل أمره الى وخل بينى وبينه فانى عالم بما ينبغى أن يفعل به مطيق له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا أى استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصى (من حيث لا يعلمون) من الجهة التى لا يشعرون أنه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها قال عليه السلام اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج وتلا الآية (وأملى لهم) وأمهلهم (ان كيدى متين) قوى شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز أن يسمى الله كائدا وماكرا ومستدرجا (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفى أى لست تطلب أجرا على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ عند الجمهور (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم لانهم وان أمهلوا لم يهملوا (ولا تكن كصاحب الحوت) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف على الحوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أى اذكر (اذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بلا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه (لولا أن تداركه نعمة) رحمة (من ربه) أى لولا أن الله أنعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء

هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فأرحم لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة أى جمع جماعة قوله قد عادوا حمما أى سارو فحما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة جمع فوهة وهى أول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ أى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه أنه يعلق فى رقابهم أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم ﴿ قوله تعالى (ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصى البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة (وقد كانوا يدعون الى السجود) يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك أنهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) يعنى أنهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم أصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعة ﴿ قوله عز وجل (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى دعنى والمكذبين بالقرآن وخل بينى وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الى فانى أكفيك اياهم (سنستدرجهم) أى سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر واذا أذنب ذنبا أن يعاجله بالاستغفار والتوبة (وأملى لهم) أى أمهلهم وأطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم الى الموت فلا أعاجلهم بالعقوبة (ان كيدى متين) أى عذابى شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدى الى العذاب (أم تسألهم أجرا) أى على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم الغرامة والمعنى أتطلب منهم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار (فاصبر لحكم ربك) أى اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف (ولا تكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) يعنى يونس بن متى (اذ نادى) ربه أى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) أى مملوء غما (لولا أن تداركه نعمة من ربه) أى حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) أى

(وهو مذموم) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المكملين
لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من  الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى

وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وبفتح الياء مدني ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه أي قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة أن يزيلوك بابصارهم عن مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا هلك فاريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة في أمره وتنفيرا عنه (وما هو) أي القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعني انهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر أي ذكره عليه السلام وما هو أي محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله أعلم

(سورة الحاقة احدى وخمسون آية مكية) (بسم

لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) أي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الآية لولا أن تداركه نعمة من ربه للبث في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة أي بارضها وفضائها ان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها ان كلمة لولا دلت على أنه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتباه ربه) والفاء للتعقيب أي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه (فجعله من الصالحين) أي النبيين ﴿ق﴾ قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى ان كانت الناقة والبقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وانما أراد أنهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني أو يكاد يهلكني يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) لانهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة فيحدون النظر اليه بالبغضاء (ويقولون انه لمجنون) أي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم (وما هو) يعني القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من أصابته العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة أن العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى أن الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شيء الا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر والله أعلم

## ﴿تفسير سورة الحاقة﴾

مكية وهي اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف واربع وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر أي وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ما هي أي أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها أي حقها أن يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التهويل (وما أدراك) وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده في موضع نصب لانها مفعول ثان لادرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من أسماء القيامة وسميت بها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعاقبة أي بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح) أي بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عاتية) شديدة العصف أو عتت على خزانها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على أعداء الله (سخرها) سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) وكان ابتداء العذاب يوم الاربعاء آخر الشهر الى الاربعاء الاخرى (حسوما) أي متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) أيها المخاطب (القوم فيها) في مهابها أو في الليالي والايام (صرعى) حال جمع صريع (كأنهم) حال أخرى (أعجاز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة ذابلة (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصري وعلى أي ومن عنده من أتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط فهي ائتفكت أي انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو بالافعال ذات الخطأ العظيم (فعصوا) أي قوم لوط

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (الحاقة) يعني القيامة سميت بذلك من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال أي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم أي تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى أي شيء هي الحاقة (وما أدراك ما الحاقة) أي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة أمر لا تبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهي أعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) أي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت في المرور لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها (عاتية) أي عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) أي أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب ففي هذا المذهب بقوله سخرها عليهم ويبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية أيام) ذات برد ورياح شديدة قال وهب هي الايام التي تسميها العرب العجوز لانها أيام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتي في عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فاتبعتها الريح حتى قتلتها (حسوما) أي متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن أهلها أي تقطعه والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحدا (فترى القوم فيها) أي في تلك الليالي والايام (صرعى) أي هلكى جمع صريع وقد صرعهم الموت (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) أي من نفس باقية قيل انهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر فلم يبق منهم أحد ۞ قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء أي ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعني قرى قوم لوط ويريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) أي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعصوا

(رسول ربهم) لوطا (فأخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح

أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا (حملناكم) أي آباءكم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) أي ال

وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (أذن) بضم الذال وغير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهي أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) هي النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون (وحملت الارض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكتا دكة واحدة) دقتا وكسرتا أي ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهي القيامة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) فتحت أبوابا (فهي يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو أعظم من الملائكة (على أرجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهي مسكن الملائكة فيلجؤن الى أطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك

الذين على أرجائها (يومئذ ثمانية) منهم واليوم يحمله أربعة وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة وعن ... مسيرة

الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية أصناف

---

ورسول ربهم) قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذ
الامتين جميعا (فأخذهم أخذة رابية) يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (إنا
طغى الماء) أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه الصلاة والسلا
وهو الطوفان (حملناكم في الجارية) يعني حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجار
أي السفينة التي تجري في الماء (لنجعلها) أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من
حملنا معه (لكم تذكرة) أي عبرة وموعظة (وتعيها) أي تحفظها (أذن واعية) أي حافظة لما جاء من
الله وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمر
صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل (فإذا نفخ في الصور نفخة) واحدة يعني النفخة
الاولى (وحملت الارض والجبال) أي رفعت من أماكنها (فدكتا دكة واحدة) أي كسرتا وفتتا حتى صار
هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت
القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) أي ضعيفة لتشققها (والملك) يعني الملائكة (على أرجائها)
يعني نواحيها وأقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الر
فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي فوق رؤسهم يعني الحملة (يو
أي يوم القيامة (ثمانية) يعني ثمانية أملاك وجاء في الحديث انهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم
الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال
تيوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال ان الصخرة التي تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق
على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه انسان ووجه أسد ووجه ثور
ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال
العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة
الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي
الصلت في شيء من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث برصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن
أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه
أبو داود باسناد صحيح غريب * عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت
جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين
السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون
سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر
أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق
ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك أخرجه الترمذي
وأبو داود زاد في رواية وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء * عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض

(يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله (لا تخفى منكم خافية) سريرة كانت تخفى في الدنيا وبالياء كوفي غير عاصم وفي الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (فأما) تفصيل للعرض (من أوتي كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هاؤم) اسم للفعل أي خذوا



(اقرؤا كتابيه) تقديره هاؤم كتابي اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثاني عليه والعامل في كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون الاقرب والهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثبوتها في المصحف (اني ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهي تفضي الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (اني ملاق حسابيه) معاين حسابي (فهو في عيشة راضية) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (في جنة عالية) رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة ممن يريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيهما ولا أذى أو هنئتم هنيئا على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هي في الصائمين أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) لما يرى فيه من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) أي يا ليتني لم أعلم ما حسابي (يا ليتها) يا ليت الموتة التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة لامري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى

---

مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال حملة العرش قرون ما بين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) أي على الله تعالى للحساب (لا تخفى منكم خافية) أي فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر أحوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله تعالى (فأما من أوتي) أي أعطي (كتابه بيمينه فيقول هاؤم) أي تعالوا (اقرؤا كتابيه) والمعنى انه لما بلغ الغاية في السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله وأقربائه (اني ظننت) أي علمت وأيقنت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن في الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام (أني ملاق حسابيه) أي في الآخرة والمعنى اني كنت في الدنيا أستيقن أني أحاسب في الآخرة (فهو في عيشة راضية) أي في حالة من العيش مرضية وذلك بأنه لقي الثواب وأمن من العقاب (في جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) أي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما أو قاعدا أو مضطجعا يقطفونها كيف شاؤا (كلوا) أي يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا بما أسلفتم) أي بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) أي الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتي كتابه بشماله) قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما يحصل له من الخجل والافتضاح (ولم أدر ما حسابيه) أي لم أدر أي شيء حسابي لانه لا طائل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له (يا ليتها كانت القاضية) تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة أي ما أحيا

( ماأغنى عنى ماليه ) أى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا فانى والمفعول محذوف أى شيأ ( هلك عنى سلطانيه ) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى أى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم ( خذوه فغلوه ) أى اجمعوا يديه الى عنقه ( ثم الجحيم صلوه ) أى ادخلوه يعنى ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى أو نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه ( ثم فى سلسلة ذرعها ) طولها ( سبعون ذراعا ) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله ( فاسلكوه ) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى



تقديم الجحيم على التصلية ( انه ) تعليل كأنه قيل ماله يعذب بهذا العذاب الشديد فأجيب بانه ( كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم أى انه مع كفره لا يحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أبى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لا يرحمون لانه قسم الخلق صنفين فجعل صنفا منهم أهل اليمين ووصفهم بالايمان فحسب بقوله انى ظننت أنى ملاق حسابيه وصنفا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجاز أن الذى يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه ( فليس له اليوم ههنا حميم ) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه ( ولا طعام الا من غسلين ) غسالة أهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة أو يدبه هما ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم ( لا يأكله الا الخاطئون ) الكافرون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب ( فلا أقسم بما تبصرون ) من الاجسام والارض والسماء ( وما لا تبصرون ) من الملائكة والارواح والحاصل انه أقسم بجميع الاشياء

---

بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده أكره منه اليه أى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من الموت ( ماأغنى عنى ماليه ) أى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيأ ( هلك عنى سلطانيه ) أى ضلت عنى حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا ( خذوه ) أى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه ( فغلوه ) أى اجمعوا يديه الى عنقه ( ثم الجحيم صلوه ) أى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى الدنيا ( ثم فى سلسلة ) وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة ( ذرعها ) أى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها ( سبعون ذراعا ) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله أعلم أى ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت فى رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرصاص الحصباء الصغار وقوله مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو أشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ۞ وقوله تعالى ( فاسلكوه ) أى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره ( انه كان لا يؤمن بالله العظيم ) أى لا يصدق بوحدانية الله وعظمته ( ولا يحض على طعام المسكين ) أى ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يأمر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية أدركت أقواما يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يأمر أهله بتكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الثانى بالاطعام ( فليس له اليوم ههنا حميم ) أى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه ويشفع له ( ولا طعام الا من غسلين ) يعنى صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله أهل النار ( لا يأكله الا الخاطئون ) أى الكافرون ۞ قوله عز وجل ( فلا أقسم ) قيل ان لا صلة والمعنى أقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى أقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كأنه قال لا أقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكأنه لوضوحه استغنى عن القسم ۞ وقوله ( بما تبصرون وما لا تبصرون ) يعنى بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون وما لا تشاهدون أقسم بالاشياء كلها فيدخل

(انه) أي ان القرآن (لقول رسول كريم) أي محمد صلى الله عليه وسلم أو جبريل عليه السلام أي قول رسالة من عند الله (وماهو بقول شاعر) كما تدعون (قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن) كما تقولون (قليلا ما تذكرون) وبالياء فيهما مكي وشامي ويعقوب وسهل وبتخفيف الدال كوفي غير أبي بكر والقلة في معنى العدم يقال هذه أرض قلما تنبت أي لا تنبت أصلا والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل) ولو ادعى علينا شيأ لم نقله (لأخذنا منه باليمين) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو مناط القلب اذا قطع مات صاحبه (فما منكم) الخطاب للناس أو للمسلمين (من أحد) من زائدة (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين) وان كان وصف أحد لانه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله (وانه) وان القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتقين وانا لنعلم أن منكم

فيه جميع المكونات والموجودات وقيل أقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض وما لا تبصرون أي ما في بطنها وقيل بما تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل بما تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما أظهره الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ﴿ ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول أصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم أهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت أما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به وأما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما أوحى اليه ولهذا أكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما أراد انه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفي الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله تعالى ﴿ وقوله تعالى (وماهو بقول شاعر) يعني أن هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه (قليلا ما تؤمنون) أراد بالقليل عدم ايمانهم أصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن) أي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليلا ما تذكرون) يعني لا تتذكرون البتة (تنزيل) أي هو تنزيل يعني القرآن (من رب العالمين) وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم أتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال ﴿ قوله تعالى (ولو تقول علينا) أي اختلق علينا محمد (بعض الاقاويل) يعني أتى بشئ من عنده لم نقله نحن ولم نوحه اليه (لأخذنا منه باليمين) أي لأخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين أي بالحق قال ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

اذا ما راية رفعت لمجد ❊ تلقاها عرابة باليمين

أي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ في ميامنه والمعنى لأخذنا منه اليمين أي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لأذللناه وأهناه كفعل السلطان بمن يريد أن يهينه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فأقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه أشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى أنه لو كذب علينا وتقول علينا ما لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما أن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما أن نميته (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي مانعين يحجز ويمنع عن عقوبته والمعنى أن محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه أنه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد ردا الى معناه (وانه) يعني القرآن وذلك انه لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى (لتذكرة) أي لعظة (للمتقين) أي لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم أن منكم

مكذبين (وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) بالمكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به (وانه) وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله ﴿سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ (سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أو هو النبي صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدي تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همزة مدني وشامي وهو من السؤال أيضا الا أنه خفف بالتليين وسائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب أي بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع أي واقع من عنده أو بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذي المعارج) أي مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال (تعرج) تصعد وبالياء علي (الملائكة والروح) أي جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه أو خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا أو أرواح المؤمنين عند الموت (اليه) الى عرشه ومهبط أمره (في يوم) من صلة تعرج (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك أو من صلة واقع أي يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما أن يكون استطالة لشدته على الكفار واما على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وقدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر

---

مكذبين) فيه وعيد لمن كذب بالقرآن وانه يعني القرآن (لحسرة على الكافرين) يعني يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه أنه حق يقين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أي نزه ربك العظيم واشكره على أن جعلك أهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة سأل سائل﴾

وتسمى المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول أنه لغة في السؤال والثاني أنه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن أي عن عذاب (واقع) أي نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافرين) وذلك ان أهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أي هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) أي ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه أما في الدنيا بالقتل وأما في الآخرة لان العذاب واقع بهم في الآخرة لا يدفعه عنهم دافع (من الله) أي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذي المعارج) قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة فيها وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان أفضاله وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام وانما أفرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التخويف والتهويل أفرد الروح بالذكر وهذا يقتضي أن الروح أعظم الملائكة (اليه) أي الى الله عز وجل (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أي من سني الدنيا والمعنى أنه لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة الى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة أو أقل من ذلك وذكر أن مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون

(فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه (صبرا جميلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (يرونه) أى العذاب أو يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب (يوم تكون السماء) بقريبا أى يمكن فى ذلك اليوم أو هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت أو كالفضة المذابة فى تلونها (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزى والبرجمى بضم الياء أى لا يسأل قريب عن قريب أى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة أى حميما مبصرين معرفين اياهم أو مستأنف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهو ضمير الحميم الثانى أى يبصر الاحماء الاحماء ولا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتمنى المشرك وهو مستأنف أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (لو يفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه وصاحبته) زوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الادنين (التى تؤويه) تضمه انتماء اليها وبغير همز يزيد (ومن فى الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيه) الافتداء عطف على يفتدى (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة

---

غيره من الايام لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود ولا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعا وهذا الطول فى حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وروى البغوى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين ألف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وقال الكلبى يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه فى ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفيه تقديم وتأخير (فاصبر) أى يا محمد على تكذيبهم اياك (صبرا جميلا) أى لا جزع فيه وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (انهم يرونه) أى العذاب (بعيدا) أى غير كائن (ونراه قريبا) أى كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير فى يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا فان قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه (يوم تكون السماء كالمهل) أى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) أى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات ألوان أحمر وأبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) أى لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله الشفاعة ولا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله فى الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) أى يرونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن أو انس الا وهو نصب عين صاحبه أى يبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم أى يعرفونهم أما المؤمن فيعرف ببياض وجهه وأما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) أى يتمنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ) أى عذاب يوم القيامة (ببنيه وصاحبته) أى زوجته (وأخيه وفصيلته) أى عشيرته وقيل قبيلته وقيل أقرباءه الاقربين (التى تؤويه) أى تضمه ويأوى اليها (ومن فى الارض جميعا) يعنى انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيه) أى ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) أى لا ينجيه من عذاب الله شئ ثم ابتدأ فقال تعالى (انها

(لظى) علم للنار (نزاعة) حفص والنصب على الحال المؤكدة أو على الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان أو على هي نزاعة (للشوى) لأطراف الانسان كاليدين والرجلين أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها ثم تعاد فتفرقها ثم تعود الى ما كانت (تدعو) باسمائهما يا كافر يا منافق الي الي أو تهلك من قولهم دعاك الله أي أهلكك أو نارا كان مصيره اليها جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق



(وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فأوعى) فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعا) عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره ما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد ابن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلاتهم) أي صلواتهم الخمس (دائمون) أي محافظون عليها في مواقيتها عن ابن مسعود رضي الله عنه (والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي بيوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى أبي عمرو أي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء

---

(لظى) يعني النار ولظى اسم من أسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى أي تتلهب (نزاعة للشوى) يعني الأطراف كاليدين والرجلين وما أشبه ذلك والمعنى ان النار تنزع الأطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه (تدعو) يعني النار الى نفسها (من أدبر) أي عن الايمان (وتولى) أي عن الحق فتقول له الي يا مشرك الي يا منافق الي الي قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو أي تعذب قال اعرابي لآخر دعاك الله أي عذبك الله (وجمع فأوعى) يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هلوعا) قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعني اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره قيل أراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى (الا المصلين) وهذا استثناء بالجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع (الذين هم على صلاتهم دائمون) يعني يقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها وأن لا يتركوها في شيء من الأوقات وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه وهذا انما يحصل بأمور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل وأما الأمور المقارنة للصلاة فهي أن لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف وأن يتم ركوعها وسجودها وأما الأمور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترز عن الرياء والسمعة وخوف أن لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى أحوالها وهيآتها وروى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه (والذين في أموالهم حق معلوم) يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بأن يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في أوقات معلومة (للسائل) يعني الذي يسأل الناس (والمحروم) يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أي خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات

(والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم) نسائهم (أو ما ملكت أيمانهم) أي إمائهم (فإنهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحا (وراء ذلك) أي غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لأماناتهم) لأمانتهم مكي وهي تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد (وعهدهم) أي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الأمانات ما تدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاداتهم) حفص وبالتوحيد غيره (قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف وترجيح للقوي على الضعيف إظهارا للصلابة في الدين ورغبة في إحياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلاتهم يحافظون) كرر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم أو لأن إحداهما للفرائض والأخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها أن لا تضيع عن مواقيتها أو الدوام عليها أداؤها في أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها (أولئك) أصحاب هذه الصفات (في جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعا للمصحف عثمان رضي الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال أي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة (إنا خلقناهم مما يعلمون) أي من النطفة المذرة ولذلك أبهم إشعارا بأنه منصب يستحيا من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم أو معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان فلم يطمع أن يدخلها من لا إيمان له (فلا أقسم برب المشارق) مطالع الشمس (والمغارب) ومغاربها (إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين

---

كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي أن يكون العبد بين الخوف والرجاء وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره في سورة المؤمنين ۞ قوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الأمانات إلا أنه خصها بالذكر لفضلها لأن بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل أراد بالشهادة الشهادة بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهذا عاهد عليها (والذين هم على صلاتهم يحافظون) ثم ذكر ما أعد لهم فقال تعالى (أولئك) يعني من هذه صفته (في جنات مكرمون) ۞ قوله تعالى (فمال الذين كفروا) أي فما بالهم (قبلك مهطعين) أي مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزين) يعني أنهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات في تفرقة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذبوا نبيي (كلا) أي لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال تعالى (إنا خلقناهم مما يعلمون) أي من الأشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على أنهم خلقوا من أصل واحد وشيء واحد وإنما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة روى البغوي بإسناد الثعلبي عن بسر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها أصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وأخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا إسناد وقيل في معنى الآية إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه إنا خلقناهم من يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا أقسم) يعني وأقسم وقد تقدم بيانه (برب المشارق والمغارب) يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه (إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) معناه إنا لقادرون على إهلاكهم وعلى أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) أي بمغلوبين عاجزين عن إهلاكهم وإبدالكم بمن

(فذرهم) فدع المكذبين (يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فيه العذاب (يوم) بدل من يومهم (يخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى (من الاجداث) القبور (سراعا) جمع سريع حال أي الى الداعي (كأنهم) حال (الى نصب) شامي وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير يخرجون أي ذليلة (أبصارهم) حتى لا يرفعوها لذلتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) في الدنيا وهم يكذبون به

(سورة نوح عليه السلام مكية وهي ثمان وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (انا أرسلنا نوحا) قيل معناه السرياني الساكن (الى قومه أن أنذر) حرف أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب أو ان مفسرة بمعنى أي لان في الارسال معنى القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة أو الطوفان (قال يا قوم) أضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة (اني لكم نذير) مخوف (مبين) أبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (أن اعبدوا الله) وحدوه وان هذه نحو أن أنذر في الوجهين (واتقوه) واحذروا عصيانه (وأطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه وانما أضافه الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان أو التبعيض لان ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الاسلام كالقصاص وغيره وكذا في شرح التأويلات (ويؤخركم الى أجل مسمى) وهو وقت موتكم (ان أجل الله) أي الموت (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أي لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أي تبلغوا ألف سنة ثم أخبر أن الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على أنفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكأنه عليه السلام أمنهم من ذلك ووعدهم أنهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا أي انكم ان أسلمتم بقيتم الى أجل مسمى آمنين من عدوكم (قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا) دائبا بلا فتور (فلم يزدهم دعائي الا فرارا) عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار في الحقيقة وهو كقوله وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان أبي قد وصاني به (واني كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم)

هو خير مسكم (فذرهم يخوضوا) أي في أباطيلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث) يعني القبور (سراعا) أي الى اجابة الداعي (كأنهم الى نصب) يعني الى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها (يوفضون) أي يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها (خاشعة أبصارهم) أي ذليلة خاضعة (ترهقهم ذلة) أي يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) يعني يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم

## ﴿تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام﴾

مكية وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك) أي بأن خوف قومك وحذرهم (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا أرسلناه لينذرهم العذاب ان لم يؤمنوا (قال يا قوم اني لكم نذير مبين) أي أنذركم وأبين لكم (أن اعبدوا الله) أي وحدوه ولا تشركوا به شيئا (واتقوه) أي وخافوه بأن تعطوا أنفسكم عما يؤثمكم (وأطيعون) أي فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه (يغفر لكم من ذنوبكم) أي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم (ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان أجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشري ان قلت كيف قال ويؤخركم مع الاخبار بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أي الى وقت سماه الله وضرب به أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم أخبر أنه اذا جاء ذلك الاجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان (قال) يعني نوحا عليه الصلاة والسلام (رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا) أي تمادوا وأدبروا عن الايمان (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم) أي

أي ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جعلوا أصابعهم في آذانهم) سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامي (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصروني كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله (وأصروا) وأقاموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتعظموا عن إجابتي وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم إني دعوتهم جهارا) مصدر في موضع الحال أي مجاهرا أو مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لأن الجهار أحد نوعي الدعاء يعني أظهرت لهم الدعوة في المحافل (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) أي خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل أنه دعاهم ليلا ونهارا في السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالأهون ثم بالأشد فالأشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان وثم تدل على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما (فقلت استغفروا ربكم) من الشرك لأن الاستغفار طلب المغفرة فإن كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وإن كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (إنه كان غفارا) لم يزل غفار الذنوب لمن ينيب إليه (يرسل السماء) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدرور ومفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث (ويمددكم بأموال وبنين) يزدكم أموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الأموال والأولاد فحركوا بهذا على الإيمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ وقرأ الآيات وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (ما لكم لا ترجون لله وقارا) لا تخافون لله عظمة عن الأخفش قال والرجاء هنا الخوف لأن مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة أو لا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تؤملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب

---

ليؤمنوا بك فتغفر لهم (جعلوا أصابعهم في آذانهم) لئلا يسمعوا دعوتي (واستغشوا ثيابهم) أي غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يروني (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) عن الإيمان بك (استكبارا) أي تكبرا عظيما (ثم إني دعوتهم جهارا) أي معلنا قال ابن عباس بأعلى صوتي (ثم إني أعلنت لهم) أي كررت لهم الدعاء معلنا (وأسررت لهم إسرارا) قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرا بيني وبينه أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم أي من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه وذلك لأن الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وأن الكفر سبب لهلاك الدنيا فإذا اشتغلوا بالإيمان والطاعة حصل ما يحتاجون إليه في الدنيا وروى الشعبي أن عمر بن الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم إنه كان غفارا الآية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالأثافي تشبيها بالمجدح الذي له شعب وهي عند العرب من الأنواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون أن من شأنها المطر لأنه يقول بالأنواء وعن بكر بن عبد الله أن أكثر الناس ذنوبا أقلهم استغفارا وأكثرهم استغفارا أقلهم ذنوبا وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر إليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم أي يرسل ماء السماء وذلك لأن ماء المطر ينزل من السماء إلى السحاب ثم ينزل من السحاب إلى الأرض وقيل أراد بالسماء السحاب وقيل أراد بالسماء المطر من قول الشاعر

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

يعني المطر مدرارا أي كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا أي متتابعا (ويمددكم بأموال وبنين) أي يكثر أموالكم وأولادكم (ويجعل لكم جنات) أي البساتين (ويجعل لكم أنهارا) وهذا كله مما يميل طبع البشرية إليه (ما لكم لا ترجون لله وقارا) قال ابن عباس أي لا ترون لله عظمة وقيل معناه لا تخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيرا (وقد خلقكم

أطوارا) في موضع الحال أي مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم أطوارا أي تارات وتراب ثم خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم أولا على النظر في أنفسهم لأنها أقرب ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أي في السموات وهو في السماء الدنيا لأن بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السموات وظهورهما مما يلي الأرض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لأنها لطيفة لا تحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج



ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر وأجمعوا على أن الشمس في السماء الرابعة (والله أنبتكم من الأرض) أنشأكم استعير الإنبات للإنشاء (نباتا) فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة (اخراجا) أكده بالمصدر أي أي اخراج (والله جعل لكم الأرض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة أو مختلفة (قال نوح رب انهم عصوني) فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار (واتبعوا) أي السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) أي الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد وولده مكي وعراقي غير عاصم وهو جمع ولد كأسد وأسد (الا خسارا) في الآخرة (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لأنه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل اليه (مكرا كبارا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير (وقالوا) أي الرؤساء لسفلتهم (لا تذرن آلهتكم) على العموم أي عبادتها (ولا تذرن ودا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان صنم على صورة رجل (ولا سواعا) هو على صورة امرأة (ولا يغوث) هو على صورة أسد (ويعوق) هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان لتعريف الفعل ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا أعجميين (ونسرا) هو على صورة نسر أي هذه الأصنام الخمسة على الخصوص وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكونوا

أطوارا) يعني تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم أصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وعظيم قدرته (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعني في سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بني تميم وانما أتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا وأقفيتهما الى الأرض ويروى هذا عن ابن عباس أيضا (والله أنبتكم من الأرض نباتا) أراد مبدأ خلق آدم وأصل خلقه من الأرض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر أي انباتا وقيل تقديره أنبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو قال أنبتكم انباتا كان المعنى أنبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني أولى لأن الإنبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك الإنبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) أي في الأرض بعد الموت (ويخرجكم) أي منها يوم البعث (اخراجا) يعني اخراجا حقا لا محالة (والله جعل لكم الأرض بساطا) أي فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أي طرقا واسعة ۞ قوله تعالى (قال نوح رب انهم عصوني) أي لم يجيبوا دعوتي (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) يعني كبيرا وعظيما يقال كبير وكبار بالتخفيف وكبار بالتشديد والتخفيف والتشديد أشد وأعظم في المبالغة والماكرون هم الرؤساء القادة ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على أذاه وصد الناس عن الإيمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله (وقالوا) يعني القادة للأتباع (لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركن عبادتها (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء آلهتهم وانما أفردها بالذكر وان كانت داخلة في جملة قوله لا تذرن آلهتكم لأنهم كانت لهم أصنام هذه الخمسة المذكورة هي أعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما

ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس أنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وقد أضلوا) أي الأصنام كقوله انهن أضللن كثيرا من الناس أو الرؤساء (ولا تزد الظالمين) عطف على رب انهم عصوني على  حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو

ماتوا كان أبناؤهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك أنشط لكم وأشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صارت الاوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس في قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد وأساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب أنفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء (وقد أضلوا كثيرا) أي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل أضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم ما عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما عليهم بعد ان أعلمه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انما د بالضلال في أمر الدنيا وما يتعلق بها لا في أمر الآخرة (مما خطيئاتهم أغرقوا) أي بالطوفان (فأدخلوا ) أي في حالة واحدة وذلك في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضي التعقيب في قوله تعالى اغرقوا فأدخلوا نارا وهذا على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء معناه انهم سيدخلون نارا في الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يعني تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذي نزل بهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يعني أحدا يدور في الارض فيذهب ويجيء من الدوران وقيل من الدار أي نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق لى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) انما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام النساء وأيبس أصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعوته فأهلكهم جميعا ولم يكن بي وقت العذاب لان الله تعالى أعقمهم قبل العذاب (رب اغفر لي) وذلك أنه لما دعا على الكفار قال لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل وقيل يحتمل أنه حين دعا على الكفار انما دعا عليهم بسبب ه فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس أولانه

النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال (الا ضلالا) هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا (مما خطيئاتهم) خطاياهم أبو عمرو أي ذنوبهم (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) عظيمة وتقديم مما خطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم في النيران الا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء في فأدخلوا للايذان بأنهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) أي أحدا يدور في الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة في النفي العام (انك ان تذرهم) ولا تهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) الا من اذا بلغ فجر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى أخبره بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب اغفر لي

(ولوالدي) وكانا مسلمين واسم أبيه لمك واسم أمه شمخاء فقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتي) منزلي أو مسجدي أو سفينتي (مؤمنا) لأنه علم أن من دخل بيته مؤمنا لا يعود إلى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة خص أولا من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولا تزد الظالمين) أي الكافرين (إلا تبارا) هلاكا فأهلكوا

ترك الأجيال (ولوالدي) وكان اسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم أمه شمخاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء (ولمن دخل بيتي مؤمنا) أي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي (وللمؤمنين والمؤمنات) وهذا عام في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وإنما بدأ بنفسه لأنها أولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لأنهم أحق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ في الدعاء (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) أي هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعا والله أعلم

﴿تفسير سورة الجن﴾

﴿وهي ثمان وعشرون آية ومائتان خمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالأرواح السفلية وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية إلا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل فهم أتباع الرسل فاعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة وقيل إنها جواهر ليست بأجسام ولا جسمانيات ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات لا يعلم عدد أنواعها إلا الله تعالى وقيل إنهم أجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونهم [illegible] حاصلة في الأحياز موصوفين بالطول والعرض والعمق وينقسمون إلى اللطيف والكثيف [illegible] ولا يمتنع في بعض الأجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة لسائر أنواع الأجسام في الماهية وأن تكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة [illegible] وقد نطق الشرع بها وقد يتشكلون بأشكال مختلفة [illegible] وأنه تعالى أجرى عادته على ذلك وقيل إن الأجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الأشعري وجمهور أتباعه وقد نقل عن المعتزلة من هذه الأمة أنه أنكر وجود الجن [illegible] من [illegible] يكون [illegible] وهذا قول منكر وصاحب هذا القول [illegible] العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

﴿فصل﴾ اختلف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فنفاه ابن مسعود وأخرجه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الأحقاف عند قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن وأنكره ابن عباس وأخرجاه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة

قال ابن عباس رضي الله عنهما فدعا نوح عليه السلام بدعوتين إحداهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافرين بالتبار وقد أجيبت دعوته في حق الكفار بالتبار فاستحال أن لا تستجاب دعوته في حق المؤمنين واختلفوا في صغارهم حين أغرقوا فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا وقيل علم الله براءتهم فأهلكوا بغير عذاب والله أعلم

﴿سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل) يا محمد (أوحي إلي أنه) أن الأمر والشأن أجمعوا على فتح أنه لأنه فاعل أوحي و(أن لو استقاموا) و(أن المساجد) للعطف على أنه استمع فإن مخففة من الثقيلة و(أن قد أبلغوا) لتعدي علم إليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فإن له نار جهنم وقالوا إنا سمعنا لأنه مبتدأ محكي بعد القول واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جد ربنا إلى وأنا منا المسلمون ففتحها شامي وكوفي غير أبي بكر عطفا على أنه استمع أو على محل الجار والمجرور في آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا إلى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على إنا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (نفر) جماعة من الثلاثة إلى العشرة (من الجن) جن نصيبين

(فقالوا) لقومهم لما رجعوا اليهم من استماع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر (انا سمعنا قرآنا عجبا) يتعجب منه في فصاحته
الكتاب في حسن نظمه وكثرة معانيه والعجب ما يكون ... وهو مصدر وضع موضع العجيب (يهدي الى



فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما أوحي اليه قول الجن أخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه وعلى هذا فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما أعلمه الله عز وجل بما أوحي اليه من قوله قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون متعبدون بالأحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقتهم وبحالهم وان النبي صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان لكن زاد بعد المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبي والله أعلم عكاظ سوق معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها كل سنة مرة في الجاهلية وأول الاسلام وتهامة كل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من أودية مكة قريب منها وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل أوحي الي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر لأصحابه واقعة الجن وكانه مبعوث الى الانس فهو أيضا مبعوث الى الجن لتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (فقالوا) أي لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغا أي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدي الى الرشد) أي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمان (فآمنا به) أي بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) أي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وأنه تعالى جد ربنا) أي جلال ربنا وعظمته ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل أمر ربنا وقيل فعله وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي انه تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص (وأنه كان يقول سفيهنا) يعني جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) أي كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط مجاوزة الحد في كل شيء (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أي كنا نظن ان الانس والجن صادقون في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله تعالى فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله ﷻ قوله تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فأمسى في أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوارهم حتى يصبح وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى

الرشد) يدعو الى الصواب أو الى التوحيد والايمان (فآمنا به) بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحدا) من خلقه ويجوز أن يكون الضمير في به لله تعالى لان قوله بربنا يفسره (وأنه تعالى جد ربنا) عظمته يقال جد فلان في عيني أي عظم ومنه قول عمر أو أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم في عيوننا (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولدا) كأنه رد لكفار الجن والانس (وأنه كان يقول سفيهنا) جاهلنا أو ابليس اذ ليس فوقه سفيه (على الله شططا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار أي بعدت أو قولا يجور فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) قولا كذبا أو مكذوبا فيه أو نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول أي كان في ظننا ان أحدا لن يكذب على

الله الصاحبة والولد اليه فكنا صدقناهم فيما قالوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من الأرض قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

(فزادوهم) أي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) غشيانا وسفها وكبرا بأن قالوا سدنا الجن والانس أو فزاد الجن الانس رهقا لاستعاذتهم بهم وأصل الرهق غشيان المحظور (وأنهم) وإن الجن (ظنوا كما ظننتم) يا أهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أي أن الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقررتم كما أقروا (وأنا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب أي كواكب مضيئة (وأنا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل البعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد البعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أي يجد شهابا راصدا له ولأجله أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأنا لا ندري أشر) عذاب (أريد بمن في الارض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا ورحمة (وأنا منا الصالحون) الابرار (ومنا) قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان القسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة والقدد جمع قدة وهي القطعة من قددت السير أي قطعته (وأنا ظننا) أيقنا (أن لن نعجز الله) أي لن نفوته (في الارض) حال أي لن نعجزه كائنين في الارض أينما كنا فيها

الله عليه وسلم بمكة وأنا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن (فزادوهم رهقا) وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند. ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل شيئا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون نحن عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وأنهم ظنوا) يعني الجن (كما ظننتم) أي يا معشر الكفار من الانس (أن لن يبعث الله أحدا) يعني بعد الموت (وأنا) يعني تقول الجن وانا (لمسنا السماء) أي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام أهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعني من الملائكة (شديدا وشهبا) أي من النجوم (وانا كنا نقعد منها) أي من السماء (مقاعد للسمع) يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي أرصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فأما الكلمة فتكون حقا وأما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من أمر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فأخبروه فقال هذا الحدث في الارض أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية (وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض) أي برمي الشهب (أم أراد بهم ربهم رشدا) ومعنى الآية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر أريد بأهل الارض أم أريد بهم صلاح وخير (وانا منا الصالحون) أي المؤمنون المخلصون (ومنا دون ذلك) أي الصالحين من نية قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كأهواء الناس وذلك أن الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا أي سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أي علمنا وأيقنا (أن لن نعجز الله في الارض) أي لن

(ولن نعجزه هربا) مصدر في موضع الحال أي ولن نعجزه هاربين منه الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به) بالقرآن أو بالله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف ... (بخسا) نقصا من ثوابه (ولا رهقا) أي ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر



ولا ذلة وفيه دليل على أن العمل ليس من الايمان (وأنا منا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار وأقسط عدل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) طلبوا هدى والتحري طلب الأحرى أي الأولى (وأما القاسطون فكانوا) في علم الله (لجهنم حطبا) وقودا وفيه دليل على أن الجني الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم (وأن) مخففة من الثقيلة يعني وأنه وهي من جملة الموحى أي أوحي الي أن الشأن (لو استقاموا) أي القاسطون (على الطريقة) طريقة الاسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لأنه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن أو التوحيد أو العبادة (يسلكه) بالياء عراقي غير أبي بكر يدخله (عذابا صعدا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا

ان أرادنا سوءا (ولن نعجزه هربا) أي ان طلبنا فلن نعجزه أينما كنا (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) أي لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أي نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه (وأنا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) أي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله أندادا (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أي قصدوا طريق الحق وتوخوه (وأما القاسطون) يعني الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) يعني وقود النار يوم القيامة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمني الجن ثوابا وذلك لأن الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر أن يعذب النار بالنار ۞ قوله عز وجل (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لأنعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا (لأسقيناهم ماء غدقا) أي لوسعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وأن لو استقاموا يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لأسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولأعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لأن الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا أي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الأول أصح لأن الطريقة معرفة بالألف واللام وهي طريقة الهدى والقول بأن الآية في الانس أولى لأن الانس هم الذين ينتفعون بالمطر (ومن يعرض عن ذكر ربه) أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (يسلكه) أي ندخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة ۞ قوله تعالى (وأن المساجد لله) يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى (فلا تدعوا مع الله أحدا) قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فيها فأمر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل أراد بالمساجد بقاع الأرض كلها لأن الأرض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى ... على الأرض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ... الصلاة ونحن ناءون عنك فنزلت وأن المساجد لله وروي عنه أيضا أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى أن هذه الأعضاء التي

فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح أي شق علي (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أي أوحي الي أن المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أي (فلا تدعوا مع الله أحدا) في المساجد لأنها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان

(وأنه لما قام عبد الله) محمد عليه السلام إلى الصلاة وتقديره وأوحي إلي أنه لما قام عبد الله (يدعوه) يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبي الله أو رسول الله لأنه من أحب الأسماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولأنه لما كان واقعا في كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع أو لأن عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله (قل إنما أدعوا ربي) وحده قال غير عاصم وحمزة (ولا أشرك به أحدا) في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون علي (قل إني لا أملك لكم ضرا) مضرة (ولا رشدا) نفعا أو أراد بالضر الغي بدليل قراءة أبي غيا ولا رشدا يعني لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم لأن الضار والنافع هو الله (قل إني لن يجيرني من الله أحد) إن أراد بي منع عذابه أحد إن عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرني من الله إن عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملتجأ (إلا بلاغا من الله) استثناء من لا أملك أي لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا من الله وقل إني لن يجيرني اعتراض لتأكيد الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به يعني لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به فإن ذلك ينجيني وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وإن منفصلة من لا وتقديره إن لا أبلغ بلاغا أي إن لم أبلغ لم أجد من دونه ملتحدا ولا مجيرا لي كقولك إن لا قياما فقعودا والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ (ورسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات أي إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لأنه يقال بلغ عنه إنما هي بمنزلة من في براءة من الله أي بلاغا كائنا من الله (ومن يعص الله ورسوله) في ترك القبول لما أنزل على الرسول لأنه ذكر على أثر تبليغ الرسالة (فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وحد في قوله له وجمع في خالدين للفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى (إذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون أي الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه (قل إن أدري) ما أدري (أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربي) بفتح الياء حجازي وأبو عمرو (أمدا) غاية بعيدة يعني إنكم تعذبون قطعا ولكن لا أدري أهو حال أم مؤجل

---

يلمع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجد وأعليها لغيره (م) عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الأعضاء (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعضاء وأن لا نكفت شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء على الجبهة وأشار بيده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر كفت الشعر جمعه وغرز طرفه في أعلى الضفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل (وأنه لما قام عبد الله) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة (كادوا) يعني الجن (يكونون عليه لبدا) يعني يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه أيضا أنه من قول النفر من الجن الذين رجعوا إلى قومهم فأخبروهم عن طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبد الإنس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره ويظهر هذا الأمر وينصره على من ناوأه وعاداه وأصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض (قال) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الأمر (إنما أدعو ربي) وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم إنما أدعو ربي (ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي لا أقدر على أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق إليكم رشدا وإنما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى (قل إني لن يجيرني من الله أحد) أي لن يمنعني منه أحد إن عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ ألجأ إليه وقيل حرزا أحترز به وقيل مدخلا في الأرض مثل السرب أدخل فيه (إلا بلاغا من الله ورسالاته) أي ففيه الجوار والأمن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل إلا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا عن الله عز وجل فإنما أنا مرسل لا أملك إلا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) يعني ولم يؤمن (فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى إذا رأوا ما يوعدون) يعني العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) أي عند نزول العذاب (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون (قل إن أدري) أي ما أدري (أقريب ما توعدون) يعني العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربي أمدا) أي

... والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل (عالم الغيب) أي هو عالم
ما غاب عن العباد (فلا يظهر) أي فلا يطلع (على غيبه) أي الغيب الذي يعلمه وانفرد به (أحدا) أي من
الناس ثم استثنى فقال تعالى (الا من ارتضى من رسول) يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره
على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته
قال الزمخشري وفي هذا [illegible] ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا أولياء مرتضين
فليسوا برسل [illegible] بالاطلاع على الغيب وفيه أيضا ابطال الكهانة والتنجيم
لان اصحابهما [illegible] سخطا قال الواحدي وفي هذا دليل على أن من ادعى أن
النجوم [illegible] وذلك فقد كفر بما في القرآن قال الزمخشري فأنكر كرامات
الاولياء [illegible] ووافق الواحدي وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة
والتنجيم قال الامام فخر الدين [illegible] نسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من أحكام
النجوم فينبغي أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندي ان الآية لا دلالة فيها على شيء من ذلك
والذي تدل عليه أن قوله فلا يظهر على غيبه أحدا ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر
الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية أنه تعالى
لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى في الآية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيب لأحد ثم انه يجوز أن يطلع
الله على شيء من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي يدل على أن مذهب
أهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز أن يلهم الله بعض أوليائه وقوع بعض
الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير
أن يكونوا أنبياء وان يكن في أمتي أحد فانه عمر بن الخطاب أخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون
ملهمون ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم
محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء
فان قيل اذا جازت الكرامة للولي لم تتميز معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولانسد الطريق الى
معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي ان المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم
المعارضة مقرون بالتحدي ولا يجوز للولي أن يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته
فهذا الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولي أمر خارق للعادة من غير دعواه وهذا أيضا يدل
على ثبوت نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا
لما ظهر الخارق على يد متابعه وأما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبي
صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله
أعلم وقوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) أي من بين يدي الرسول ومن خلفه وذكر
ذلك على جميع الجهات (رصدا) أي حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان أن يسترق
السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحي فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول
وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا أتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه
رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه
شيطان فاحذره وان جاءه ملك قالوا هذا رسول ربك (ليعلم) أي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم (أن) أي ان
قد بلغوا رسالات ربهم وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد بلغوا رسالات ربهم وأن الله قد

(عالم الغيب) هو خبر مبتدأ
أي هو عالم الغيب (فلا
يظهر) فلا يطلع (على غيبه
أحدا) من خلقه (الا من
ارتضى من رسول) الا
رسولا قد ارتضاه لعلم بعض
الغيب ليكون اخباره عن
الغيب معجزة له فانه يطلعه
على غيبه ما شاء ومن رسول
بيان لمن ارتضى والولي اذا
أخبر بشيء فظهر فهو غير
جازم عليه ولكنه أخبر بناء
على رؤيا أو بالفراسة على
ان كل كرامة للولي فهي
معجزة للرسول وذكر في
التأويلات قال بعضهم في
هذه الآية دلالة تكذيب
المنجمة وليس كذلك فان
فيهم من يصدق خبره
وكذلك المتطببة فانهم يعرفون
طبائع النبات وذا لا يعرف
بالتأمل فعلم بأنهم وقفوا على
علمه من جهة رسول انقطع
أثره وبقي علمه في الخلق
(فانه يسلك) يدخل (من
بين يديه) يدي الرسول
(ومن خلفه رصدا) حفظة
من الملائكة يحفظونه من
الشياطين ويعصمونه من
وساوسهم وتخاليطهم حتى
يبلغ الوحي (ليعلم) الله (أن)

الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع في القراءة لا يحصل فيه ذلك فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

﴿فصل﴾ (خ) عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم * عن أم سلمة رضي الله عنها وعنها انها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائي وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفي رواية أبي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته (ق) عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال اني لأقرأ المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان أقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع ان أفضل الصلاة الركوع والسجود اني لأعرف النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة وعدم التأني فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل * عن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن أخرجه الترمذي وللنسائي عن أبي ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل أجره ولا يتأجله أخرجه أبو داود أخرجه في رواية لا يجاوز تراقيهم * عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربي والعجمي فقال اقرؤا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود * عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ۞ قوله تعالى (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لأنه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا أي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول سمين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت أنه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحي يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي

(انا سنلقي عليك) سننزل عليك (قولا ثقيلا) أي القرآن لما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين أو ثقيلا على المنافقين أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف

(إن ناشئة الليل) النفس الناشئة ... قيام الليل عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو مصدر من نشأ إذا قام ونهض ...
التي تنشأ بالليل أي تحدث أو ساعات الليل  لأنها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين رضي الله عنه يصلي بين العشاءين ويقول

ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا
(م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له
وجهه وفي رواية كان إذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة
الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الأشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم أي ينفصل
عني ويفارقني وقد وعيت ما قال أي حفظت وقولها ليتفصد عرقا أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد
قوله تربد وجهه أي تغير والربدة في الألوان غبرة مع سواد ۞ وقوله تعالى (إن ناشئة الليل) أي ساعاته كلها وكل ساعة
منه ناشئة لأنها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن أبي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة
وهي عبارة عن الأمور التي تحدث وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي قيام آخر
الليل وقيل أوله وقيل أي ساعة قام الإنسان من الليل فقد نشأ روي عن زين العابدين علي بن الحسين أنه
كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة الليل
وقيل ناشئة الليل قيامه (هي أشد وطأ) قرئ بكسر الواو مع المد يعني من المواطأة والموافقة وذلك لأن
مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل أكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو
وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار لأن الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على
النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأ يقول هي أجدر أن يحصوا ما فرض
الله عليهم من القيام وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ وقيل أثبت للخير وأحفظ للقراءة من النهار
وقيل هي أوطأ للقيام وأسهل على المصلي من ساعات النهار لأنه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة
برب العباد ولأن الليل أفرغ للقلب من النهار ولا يعرض له في الليل حوائج وموانع مثل النهار وأمنع من
الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى (وأقوم قيلا) أي أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لهدأة الناس
وسكون الأصوات وقيل معناه أبين قولا بالقرآن والحاصل أن عبادة الليل أشد نشاطا وأتم إخلاصا وأبعد
عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ في الثواب وأدخل في القبول (إن لك في النهار سبحا طويلا) أي تصرفا
وتقلبا وإقبالا وإدبارا في حوائجك وأشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من
الليل (واذكر اسم ربك) أي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح (وتبتل إليه تبتيلا) قال ابن عباس
أخلص إليه إخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع إليه انقطاعا والمعنى بتل إليه نفسك واقطعها عن كل شيء
سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة
وقيل يقال للعابد إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة قد تبتل أي انقطع عن كل شيء إلا من عبادة الله وطاعته
فإن قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على مثل بتل نفسك إليه تبتيلا فوقع
المصدر موضع مقاربه في المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك إليه تبتيلا فهو كقوله والله أنبتكم من
الأرض نباتا وقيل لأن معنى تبتل بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الأصل في تبتل
أن يقال تبتلت تبتلا وبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل إليه تبتيلا وقيل إنما عدل عن هذه العبارة
لدقيقة لطيفة وهي أن المقصود إنما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا
إلى الله تعالى لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا إليه إلا أنه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر
التبتل لأنه المقصود وذكر التبتيل ثانيا إشعارا بأنه لا بد منه (رب المشرق والمغرب) يعني أن التبتل
والانقطاع لا يليق إلا لله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب (لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) أي فوض أمورك

هذه ناشئة الليل (هي أشد وطاء) وطاء شامي وأبو عمرو أي يواطئ فيها القلب اللسان وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطأ أي أثقل على المصلي من صلاة النهار لطرد النوم في وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وانقطاع الحركات (إن لك في النهار سبحا طويلا) تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك في الليل لعبادة ربك أو فراغا طويلا لنومك وراحتك (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره في الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل إليه) انقطع إلى عبادته عن كل شيء والتبتل الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله (تبتيلا) في اختلاف المصدر زيادة
تأكيد أي بتلك الله فتبتل تبتيلا أو جيء به مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع أي هو رب ... اليه
أو مبتدأ خبره (لا إله إلا هو) وبالجر شامي وكوفي غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم
نحو الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كقوله والله لا أحد في الدار إلا زيد (فاتخذه وكيلا) وليا وكفيلا بما وعدك من النصر أو إذا ...

ملك المشرق والمغرب وأن لا إله إلا هو فاتخذه كافيا لأمورك وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت في الأمور إلى الواحد لا عذر لك في الانتظار بعد الإقرار (واصبر على ما يقولون) على ما يقولون فيّ من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجرا جميلا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وذرني) أي كلهم إليّ فأنا كافيهم (والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرني أي دعني وإياهم (أولي النعمة) التنعم بالكسر الإنعام وبالضم المسرة (ومهلهم) أمهلهم (قليلا) إلى يوم بدر أو إلى يوم القيامة (إن لدينا) للكافرين في الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) أي الذي ينشب في الحلوق فلا ينساغ يعني الضريع  والزقوم (وعذابا أليما) يخلص وجعه إلى القلب وروي أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني وغيره فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما في لدينا من معنى الفعل أي استقر للكفار لدينا كذا وكذا (ترجف الأرض والجبال) أي تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (إنا أرسلنا إليكم رسولا) يعني محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعني موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) أي ذلك الرسول إذ النكرة إذا أعيدت معرفة كان الثاني عين الأول (فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا غليظا وإنما خص موسى وفرعون لأن خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون إن كفرتم يوما) هو مفعول تتقون أي كيف تتقون عذاب يوم كذا إن كفرتم أو ظرف أي فكيف لكم التقوى يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أي كيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف أي فيه (شيبا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال

إليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلا بما وعدك من النصر على الأعداء (واصبر على ما يقولون) أي من التكذيب لك والأذى (واهجرهم هجرا جميلا) أي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال (وذرني والمكذبين) أي دعني ومن كذبك لأنهم به فإني أكفيكه (أولي النعمة) أي أصحاب النعم أو الترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر (ومهلهم قليلا) يعني إلى يوم بدر فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا ببدر وقيل أراد القليل أيام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى (إن لدينا) أي عندنا في الآخرة (أنكالا) يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك أبدا وقيل أغلالا من حديد (وجحيما وطعاما ذا غصة) أي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) أي وجيعا (يوم ترجف الأرض والجبال) أي تزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) يعني رملا سائلا وهو الذي إذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده (إنا أرسلنا إليكم) يعني يا أهل مكة (رسولا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أي بالتبليغ وإيمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعني موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل إنما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الأمم والرسل لأن محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه أهل مكة واستخفوا به لأنه ولد فيهم كما أن فرعون ازدرى بموسى وآذاه لأنه رباه (فعصى فرعون الرسول فأخذناه) أي فرعون (أخذا وبيلا) أي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم) أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إن كفرتم أي في الدنيا المعنى لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه إن كفرتم في الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور

(السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة أيضاً أي السماء على عظمها وإحكامها تنفطر به [illegible]
تأويل السماء بالسقف أو السماء شيء منفطر وقوله به أي بيوم القيامة يعني أنها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به (كان
وعده) للمصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم أو الى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولا) كائنا (إن هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة)
موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أي فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية (إن ربك يعلم أنك



تقوم أدنى) أقل فاستعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك (من ثلثي الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على أدنى مكي وكوفي ومن جرهما عطف على ثلثي (وطائفة) عطف على الضمير في تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) أي ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أي ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما إلا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على أنه مختص بالتقدير ثم إنهم قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقة وفي ذلك حرج

الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله أن تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز أهل الجنة من أهل النار وأما الرقمة بفتح الراء وإسكان القاف فهي الأثرة في باطن عضد الحمار وقوله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة وثلث أهل الجنة وشطر أهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الأمة وجعلهم ربع أهل الجنة أولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم فإن إعطاء الإنسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على إنعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الأول أنه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني أنه في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لأن القيامة ليس فيها شيب وإنما هو مثل في شدة الأمر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب قال المتنبي والهم يخترم الجسيم نحافة ✱ ويشيب ناصية الصبي ويهرم ✱ فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والأحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد أن هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لأن الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة أيضا وإن السماء مع عظمها تنفطر به وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل أي بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى أي بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) أي كائنا لا محالة فيه ولا خلف (إن هذه) أي آيات القرآن (تذكرة) أي مواعظ يتذكر بها (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالإيمان والطاعة ﴿ قوله تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أي أقل من ثلثي الليل (ونصفه وثلثه) أي تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعني أن العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يعزب عنه ما يفعلون فيعلم القدر الذي يقومون من الليل والذي ينامون منه (علم أن لن تحصوه) يعني أن لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالى علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) أي فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة في

(فتاب عليكم) فخفف عليكم وأسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) في الصلاة والأمر للوجوب وذلك أو في غيرها والأمر للندب (ما تيسر) عليكم (من القرآن) روى أبو حنيفة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال من قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لأنه بعض أركانها أي فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة في النسخ وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال

(علم أن سيكون منكم) أن مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون في الأرض) يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه (٣٤٩) بالتجارة أو طلب العلم (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) سوى بين المجاهد والمكتسب لأن كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيئاً الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الي من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله (فاقرؤا ما تيسر منه) كرر الأمر بالتيسير لشدة احتياطهم (وأقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة (وأقرضوا الله) بالنوافل والقرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وإنما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالإخلاص (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه) أي ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وأعظم أجرا) وأجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيئات والتقصير في الحسنات (إن الله غفور) يستر على أهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير والله أعلم

وذلك لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة فأطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الأمة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثاني ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسة وتحصيل حفظه وأن لا يعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوي بإسناده عن أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أو ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر وذكره الشيخ محيي الدين في كتابه الأذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم أرد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل شهر مرة قال قلت يا نبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشر قال قلت يا نبي الله اني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى) يعني ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عز وجل عنه لأجل ضعفه وعجزه عنه (وآخرون يضربون في الأرض) يعني المسافرين للتجارة (يبتغون من فضل الله) أي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لأن المجاهد والمسافر مشتغل في النهار بالأعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه أسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روي عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله (فاقرؤا ما تيسر منه) أي من القرآن وإنما أعاده للتأكيد (وأقيموا الصلاة) يعني المفروضة (وآتوا الزكوة) أي الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بأن يخرجها على أحسن وجه من كسب طيب ومن أكثر الأموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) أي ثوابه وأجره (هو خيرا وأعظم أجرا) يعني ان الذي قدمتم لأنفسكم خير من الذي أخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر (واستغفروا الله) أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل (ان الله غفور رحيم) أي لجميع الذنوب والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة المدثر﴾

﴿وهي مكية قيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف حرف وعشرة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (يا أيها المدثر) (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابراً عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء بارداً فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه فإذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة شديدة (ق) عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر إلى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي وذكره وفيه قال أبو سلمة الرجز الأوثان قال ثم حمي الوحي بعد وتتابع فإن قلت دل هذا الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين أيضاً في بدء الوحي وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به حديث عائشة وقول من قال إن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن على الإطلاق ضعيف لا يعتد به وإنما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه أيضاً قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه أيضاً قوله فإذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وأيضاً قوله ثم حمي الوحي بعد وتتابع فالصواب أن أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وإن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله حمي الوحي بعد وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار إذا ازداد حرهما وقوله وصبوا علي ماء فيه أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر بثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سمي مدثراً لقوله صلى دثروني وقيل معناه يا أيها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كاللباس مجازاً (قم فأنذر) أي حذرهم من عذاب ربك إن لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك قم قيام عزم واشتغل بالإنذار الذي تحملته (وربك فكبر) أي عظم ربك عما يقوله عبدة الأوثان (ق)

﴿سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية وهي خمسون وست آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم أر شيئاً فنظرت فوقي فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة وقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقرأ (يا أيها المدثر) أي المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد وأصله المتدثر فادغم (قم) من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) خوّف قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا أو فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكراً كما يفعل المغموم فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالإنذار وإن آذاك الفجار (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم أي لا يكبر في عينك غيره وقيل عندما يعروك من غير الله أكبر وروي أنه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر فكبر وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر)

فطهر) بالماء عن النجاسة لأن الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى في غير الصلاة أو قصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول إذ
لا يؤمن معه إصابة النجاسة أو طهر نفسك مما يستقذر من الأفعال يقال  فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بالنقاء من المعايب

فطهر) فيه أربعة أوجه أحدها أن يحمل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثاني أن يحمل لفظ الثياب على
الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن يحمل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع أن يحمل
لفظ الثياب والتطهير على المجاز ٭ أما الوجه الأول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك
أن المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فأمره صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا
للمشركين ٭ الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لأن المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم
على النجاسات وفي الثوب الطويل من الخيلاء والتكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فهي عن
تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل
تكون من وجه حلال وكسب طيب ٭ الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الأصم ثيابه ٭ ليس الكريم على القنا بمحرم

يعني بدنه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لأنها تشتمل عليه
٭ الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل
معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر أما سمعت
قول غيلان بن سلمة الثقفي

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر ٭ لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر إنه لدنس الثوب والسبب في
ذلك أن الثوب كالشيء الملازم للإنسان فلهذا جعلوه كناية عن الإنسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في
إزاره وقيل إن من طهر باطنه طهر ظاهره ٭ وقوله تعالى (والرجز فاهجر) يعني اترك الأوثان ولا تقربها
وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الأعمال والأقوال
(ولا تمنن تستكثر) يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهي
مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وإنما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لأن من أعطى شيئا يسيرا وطلب منه
الزيادة عليه لا بد وأن يتواضع لذلك لدى أعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق
الأمة فيجوز لغيره من الأمة ذلك كما قيل هما رباآن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه
أكثر منها وأما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا أعط لله وأرد به وجه الله
وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله به عليك وأعطاك
قليل وقيل معناه لا تمنن على أصحابك بما تعلمهم من أمر الدين وتبلغهم من أمر الوحي كالمستكثر بذلك عليهم
أي لا تمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك أجرا تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير
أن تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فإن المن يحبط
العمل (ولربك فاصبر) أي على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على
ما أوذيت فيه وقيل معناه إنك حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل
اصبر تحت موارد القضاء لأجل الله (فإذا نقر في الناقور) أي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ
فيه إسرافيل وهي النفخة الأولى وقيل الثانية وهو الأصح (فذلك يومئذ) يعني يوم النفخة وهو يوم
(يوم عسير) أي شديد (على الكافرين) يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الأمر فيعطون كتبهم
بشمالهم وتسود وجوههم (غير يسير) أي هين فإن قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة

وفلان دنس الثياب للغادر
ولأن من طهر باطنه يطهر
ظاهره ظاهرا (والرجز)
بضم الراء يعقوب وسهل
وحفص وغيرهم بالكسر
العذاب والمراد ما يؤدي إليه
(فاهجر) أي اثبت على
هجره لأنه كان بريئا منه
(ولا تمنن تستكثر) بالرفع
وهو منصوب المحل على
الحال أي لا تعط مستكثرا
رائيا لما تعطيه كثيرا أو
طالبا أكثر مما أعطيت
فإنك مأمور بأجل الأخلاق
وأشرف الآداب وهو من
من عليه إذا أنعم عليه وقرأ
الحسن تستكثر بالسكون
جوابا للنهي (ولربك
فاصبر) ولوجه الله فاستعمل
الصبر على أوامره ونواهيه
وكل مصبور عليه ومصبور
عنه (فإذا نقر في الناقور)
نفخ في الصور وهي النفخة
الأولى وقيل الثانية
(فذلك) إشارة إلى وقت
النقر وهو مبتدأ (يومئذ)
مرفوع المحل بدل من
ذلك (يوم عسير) خبر
كأنه قيل فيوم النقر يوم
عسير والفاء في فإذا للتسبيب
وفي فذلك للجزاء كأنه
قيل اصبر على أذاهم فبين
أيديهم يوم عسير يلقون
فيه عاقبة أمرهم وتلقى

[...]ك عليه والعامل في فإذا ما دل عليه الجزاء أي فإذا نقر في الناقور عسر الأمر (على الكافرين غير يسير) وأكد بقوله غير يسير
[...]ن بأنه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا

(ذرنى ومن خلقت) أى كله الى يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وحيدا) حال من الياء فى ذرنى أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيك أمره أو من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد أو من الهاء المحذوفة أو من من أى خلقته منفردا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا (ثم يطمع أن أزيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد فى ماله وولده من غير شكر وقال الحسن أن أزيد أى أدخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال لأوتين مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتى هلك (انه كان لآياتنا) للقرآن (عنيدا) معاندا جاحدا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة المصعد وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا يعنى انه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه ما يقوله

التكرار تأكيد كقوله أما عجب الك غير مغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يسير على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين ﴿ قوله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خلقته فى بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد والمعنى ذرنى واياه فانا أكفيكه نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أى كثيرا يمد بعضه بعضا أى غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه فقيل كان ألف دينار وقيل أربعة آلاف درهم وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) أى حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا أغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا أى رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة فى قومه وكان الوليد من أكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش (ثم يطمع) أى يرجو (أن أزيد) أى أزيده مالا وولدا وتمهيدا (كلا) أى لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله وولده حتى هلك (انه كان لآياتنا عنيدا) أى معاندا والمعنى انه كان معاندا فى جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنشر منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأشده (سأرهقه صعودا) يعنى سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها ﴿ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة فى النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا وكذلك أبدا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبى الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس فى صعوده يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها فى أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أحدر الى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها يجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا ﴿ قوله عز وجل (انه فكر وقدر) أى فكر فى الامر الذى يريده ونظر فيه وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهيأ ذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر أى وقدر ذلك الكلام فى قلبه وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق حتى جلس

(فقتل) لعن (كيف قدر) تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد وثم يشعر بأن الثانية أبلغ من الأولى (ثم نظر) في وجوه الناس أو فيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (وبسر) زاد في التقبض والكلوح (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أو عن مقامه وفي مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وإيراد ثم في المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخيا (فقال إن هذا) ما



هذا (إلا سحر يؤثر) يروى عن السحرة روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد فقال أبو جهل وهو ابن أخيه أنا أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام الوليد فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه وذكر الفاء دليل على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (إن هذا إلا قول البشر) ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأن الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى (سأصليه) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما أدراك ما سقر) تهويل لشأنها (لا تبقي) أي هي لا تبقي لحما (ولا تذر) عظما أو لا تبقي شيئا يلقى فيها إلا أهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خبر مبتدإ أي هي لواحة (للبشر) جمع بشرة وهي ظاهر الجلد أي مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) على سقر (تسعة عشر) أي يلي أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا

جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي أراك حزينا يا ابن أخي فقال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وإنك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل إنه فكر أي في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام (ثم نظر) أي في طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) أي كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر في شيء يدبره (ثم أدبر) أي عن الإيمان (واستكبر) أي حين دعي إليه (فقال إن هذا) أي الذي يقوله محمد ويقرؤه (إلا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (إن هذا إلا قول البشر) يعني يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى (سأصليه) أي سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما أدراك ما سقر) أي وما أعلمك أي شيء هي سقر وإنما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لأمرها (لا تبقي ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صد عني وأعرض عني وقيل لا بد من الفرق وإلا لزم التكرار فقيل معناه لا تبقي أحدا من المستحقين للعذاب إلا أخذته ثم لا تذر من لحومهم وأولئك شيئا إلا أكلته وأهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيا أي لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شيء ملال وفترة إلا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبقي عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أي مغيرة للجلد حتى تجعله أسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الأثر أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار إن أحدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم يعني الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن تبطش بواحد منهم يعني خزنة

(وما جعلنا أصحاب النار) أي خزنتها (الا ملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لانهم أشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الا فتنة) أي ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الاشد وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب في الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل في سقر تسعة عشر دركا وقسلطا على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهي تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الا ان غيرها يتشعب عنها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا انه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن أيضا (وليقول الذين في قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكرا [استعارة] غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي معنى أراده في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره أصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص

---

جهنم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين ويروى عنه أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار وتمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) يعني لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وما جعلنا عدتهم) أي عددهم في القلة (الا فتنة للذين كفروا) أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هي قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هي قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار وأجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الآحاد أقل الاعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطي هؤلاء القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شيء قدير وان أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) يعني أن هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل أنهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن العدد كان موجودا في كتابهم وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) أي ولا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) يعني في عددهم وانما قال لا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك أبلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والكافرون) أي مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب وعلى هذا تصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض أهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعني أي شيء أراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا

(كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال و... مثل ذلك ... كور من الاضلال والهدى يعني اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة في ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذي علم منه اختيار الضلال (ويهدي من يشاء) وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبو جهل لعنه الله أما لرب محمد أعوان الا تسعة عشر نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الا هو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها (وما هي) متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها (الا ذكرى للبشر) أي تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها (كلا) انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون (والقمر) أقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) أضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هي جمع الكبرى أي لاحدى البلايا أو الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهي احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى أي انها لاحدى الدواهي انذارا كقولك هي احدى النساء عفافا وأبدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (أن يتقدم) الى الخير (أو يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ما أمر وعما نهى (كل نفس بما كسبت رهينة) هي ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن ... انه غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) أي أطفال المسلمين لانهم لا أعمال لهم يرهنون بها أو الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما ... الراهن رهنه بأداء الحق (في جنات) أي هم في جنات لا يكتنه وصفها

استعارة من المثل المضروب لانه مما غريب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى أي غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكاره وانه من أصله وانه ليس من عند الله فلهذا اسموه مثلا (كذلك) أي كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) لان الله تعالى يسمعها الهداية والاضلال (وما يعلم جنود ربك الا هو) هذا جواب لابي جهل حين قال أما لمحمد أعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزانة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وما هي) يعني النار (الا ذكرى للبشر) أي الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ما هي يعني آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها (كلا) أي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذ أدبر) أي ولى ذاهبا وقيل أدبر بمعنى أقبل تقول العرب دبر في فلان أي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار (والصبح اذا أسفر) أي أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبر) يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل أراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل أن يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر بشيء أدهى من النار وقيل يجوز أن يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى أنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذر (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أي يتقدم في الخير والطاعة أو يتأخر عنهما فيقع في الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد من آمن أو كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وأجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر ۞ قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) أي مرتهنة في النار بكسبها ومأخوذة بعملها (الا أصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم بأعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه بأداء الحق الذي عليه واختلفوا في أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقيل هم الذين كانوا ميامين أي مباركين على أنفسهم وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (في جنات) أي هم

(يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم (ماسلككم فى سقر) أدخلكم فيها ولا يقال لايطابق قوله ماسلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم لان ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم و بين المجرمين فيقولون قد قلنا لهم ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الا أنه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قالوا لم نك من المصلين) أى لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع فى الباطل أى نقول الباطل والزور فى آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين لانها للمؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين فى الحديث ان من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر (فما لهم عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة أى القرآن (معرضين) مولين حال من الضمير نحو مالك قائما (كأنهم حمر) أى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين (مستنفرة) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها و بفتح الفاء منفرة أى استنفرها غيرها (فرت من قسورة) حال وقد معها مقدرة والقسورة الرماة أو الاسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار (كلا) ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف (كلا انه تذكرة) ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال ان القرآن تذكرة بليغة كافية

فى سائلين (يتساءلون عن المجرمين) أى يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم (ماسلككم فى سقر) قيل وهذا يقوى قول من قال ان أصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التى توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ماسلككم أى يقول المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ماسلككم أى أدخلكم وقيل ماحبسكم فى سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع (قالوا) مجيبين لهم (لم نك من المصلين) أى لله فى الدنيا (ولم نك نطعم المسكين) أى لم نتصدق عليه (وكنا نخوض مع الخائضين) أى فى الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة (حتى أتانا اليقين) يعنى الموت قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يافلان فيقول ماتريد فيقول أما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يافلان فيقول ماتريد فيقول أماتذكر رجلا وهب لك وضوأ يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (فما لهم عن التذكرة معرضين) أى عن مواعظ القرآن (كأنهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرئ بالكسر أى نافرة وقرئ بالفتح أى منفرة مذعورة محمولة على النفار (فرت من قسورة) قيل القسورة جماعة الرماة لاواحد لها من لفظه وهى رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هى حبال الصياد بن وقيل معناه فرت من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم وأصواتهم وقيل القسور شدة سواد ظلمة الليل وقال أبو هريرة هى الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر فى البلادة والبله وذلك انه لايرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شئ (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يامحمد بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك (كلا) أى لايؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات (بل لايخافون الآخرة) أى لايخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت (كلا) أى حقا (انه تذكرة) يعنى انه عظة عظيمة

(فمن شاء ذكره) أي اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه (وما يذكرون الا أن يشاء الله) أي الا أن يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه ❁ عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى أنا أهل ان أتقى فمن اتقاني ولم يجعل معي الها فانا أهل ان أغفر له أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به عن ثابت والله تعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة القيامة مكية﴾

وهي أربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (لا أقسم بيوم القيامة) اتفقوا على أن المعنى أقسم واختلفوا في لفظ لا فقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامري ❁ لا يدعي القوم أني أفر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تربك والله فيجوز حذفها لكنه أبلغ في الردع اثباتها وقيل انها صلة كقوله الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في أوله وأجيب عنه بان القرآن في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه أنه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف أيضا لان القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث أي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كأنه قال لا أقسم بذلك اليوم ولا تلك النفس الا اعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا أقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته أظهر من أن يقسم عليه وروى البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال أما هذه فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك وقوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هي التي تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولم لم أفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول ياليتني لم أفعل وقال الحسن هي نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي وان الكافر يمضي ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشقية تلوم صاحبها حين تعاين أهوال يوم القيامة فتقول ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت أي مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان يوم القيامة تظهر أحوال النفس اللوامة من الشقاوة أو السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها أبدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى

(فمن شاء ذكره) أي فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل فان نفع ذلك عائد اليه (وما يذكرون) وبالتاء نافع ويعقوب (الا أن يشاء الله) الا وقت مشيئة الله أو الا بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) في الحديث هو أهل ان يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه والله أعلم

﴿سورة القيامة مكية وهي أربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) أي أقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله ❁ في بئر لا حور سرى وما شعر ❁ وكقوله تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ❁ وكاد ضمير القلب لا يتقطع وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لانكار المشركين البعث كأنه قيل ليس الامر كما تزعمون ثم قيل أقسم بيوم القيامة وقيل أصله لأقسم كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدا محذوف أي لانا أقسم ويقويه انه في الامام بغير ألف ثم أشبع فظهر من الاشباع ألف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد في الاغلب وقد يفارقه (ولا أقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على أنه قسم آخر وعن الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهي صفة ذم وعلى القسم صفة مدح أي النفس المتقية التي تلوم على التقصير في التقوى وقيل هي نفس

وقيل إنه تعالى أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكأنه قال أقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا أقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لأن النفس الكافرة أو الفاجرة لا يقسم بها فإن قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه إشكال قلت إن المحققين قالوا القسم بهذه الأشياء قسم بربها في الحقيقة فكأنه قال أقسم برب القيامة وقيل إنه تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) وقيل جواب القسم قوله (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) ومعنى أيحسب الإنسان أيظن هذا الكافر أن العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها في أباعد الأرض أن لن نجمع عظامه أي لا يمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم أن القادر على الابتداء قادر على الإعادة نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الأخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والأخنس وذلك أن عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل أيحسب الإنسان يعني هذا الكافر أن لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام وأراد بها نفسه جميعها لأن العظام قالب النفوس ولا يستوي الخلق إلا باستوائها وقيل إنما خرج على وفق قول هذا المنكر أو يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتأليفها وإعادتها إلى التركيب الأول والحالة والهيئة الأولى وعلى ما هو أعظم من ذلك وهو أن نسوي بنانه يعني أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار فلا يقدر أن يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه أظن الكافر أن لن نقدر على جمع عظامه بل نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها إلى أماكنها ونؤلف بينها حتى نستوي البنان فمن قدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها أقدر وهذا القول أقرب إلى الصواب وقيل إنما خص البنان بالذكر لأنه آخر ما يتم به الخلق ۞ قوله تعالى (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله وقيل هو طول الأمل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسئل أيان يوم القيامة) أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى (فإذا برق البصر) أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق إذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أي أظلم وذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) يعني أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى (يقول الإنسان) يعني الكافر المكذب (يومئذ) أي يوم القيامة (أين المفر) أي المهرب وهو موضع الفرار (كلا) أي لا ملجأ لهم يهربون إليه وهو قوله (لا وزر) أي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به  من الجنة وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دليله (أيحسب الإنسان) أي الكافر المنكر للبعث (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب (بلى) أوجبت ما بعد النفي أي بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير في نجمع أي نجمعها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت (على أن نسوي بنانه) أصابعه كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبارها العظام (بل يريد الإنسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال استهزاء مستبعد لقيام الساعة (فإذا برق البصر) تحير دهشا وبفتح الراء دهش شخص (وخسف القمر) أي ذهب ضوؤه أو غاب من قوله فخسفنا به وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) أي جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو جمعا في ذهاب الضوء أو يجمعان فيقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى (يقول الإنسان) الكافر (يومئذ أين المفر) هو مصدر أي الفرار من النار أو المؤمن أيضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ

(الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد أو موضع قرارهم من جنة (٣٥٩) أو نار مفوض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة

الناس الى عليا فيك ليس لنا ٭ الا السيوف وأطراف القنا وزر

ومعنى الآية انه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يسندون اليه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن شاء أدخله النار بعدله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيء وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقيل بأول عمله وآخره وهو ما عمله في أول عمره وفي آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته (بل الانسان على نفسه بصيرة) أي بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة (ولو ألقى معاذيره) يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره وقيل ان أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى الستور وأغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا ٭ قوله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به) (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنصت ثم ان علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأ وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري وقال فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا أن نجمعه في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا أنزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا أن نبينه بلسانك قال فكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه أي نجمعه في صدرك وقرآنه أي تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحالة عليه لتعجل به أي بأخذه (ان علينا جمعه) أي جمعه في صدرك وحفظك اياه (وقرآنه) أي وقراءته عليك والمعنى سنقرئك يا محمد حتى تصير لا تنساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي لا يكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من قراءته فاقرأ أنت فيها … قراءة جبريل قراءته لانه أمر من نزل بالوحي وقيل من يطع الرسول فقد أطاع الله … معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول أولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما … موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي أصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه (ثم ان علينا

ومن شاء أدخله النار (ينبأ الانسان يومئذ) يخبر (بما قدم) من عمل عمله (وأخر) ما لم يعمله (بل الانسان على نفسه بصيرة) شاهد والهاء للمبالغة كعلامة أو أنثه لانه أراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه أو هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الانسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه (ولو ألقى معاذيره) ولو أرخى ستوره والمعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر (لا تحرك به) بالقرآن (لسانك لتعجل به) وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ في القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك

ثم علل النهي عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) في صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته في لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) أي قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) أي قراءته عليك (ثم ان علينا

بيانه) أي أن نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل وقيل اذا أشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ونعلمك بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك ﴿قوله تعالى﴾ (كلا) أي حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها والخطاب لكفار مكة (وجوه يومئذ) أي يوم القيامة (ناضرة) من النضارة وهي الحسن وقال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها أن تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وأبي صالح أنهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار وقال مجاهد تنتظر من ربها الثواب قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم أعشاء صادرة * للورد طال بها حوزي وتنساسي

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الرؤية وأما قوله أنظر الى الله ثم اليك على معنى أتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا أسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

﴿فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة﴾ قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا على وقوعها في الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وأجوبتها مشهورة مستفاضة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك وأما الاحاديث الواردة في اثبات الرؤية فمنها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقال وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يرفعه عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روي بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض

---

بيانه) اذا أشكل عليك شيء من معانيه (كلا) ردع عن انكار البعث أو ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكار لها عليه وأكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قيل بل أنتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدني وكوفي (وجوه) هي وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها أو لثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه أي تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار في دار القرار

(ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوسة وهي وجوه ... (أن يفعل بها) فعل هو في شدته (فاقرة)
داهية تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة  كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا

وقت النظر إليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي * عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن أناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم سترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي وليس عنده في أوله أن أناسا قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذي وقد روي مثل هذا الحديث عن أبي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد * عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم إنما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله أجل وأعظم أخرجه أبو داود (م) عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى والأحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله أعلم قوله عز وجل (ووجوه يومئذ باسرة) أي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما أدركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين أهل الجنة والنار (تظن) أي تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (أن يفعل بها فاقرة) أن يفعل بها أمر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والأمر الشديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هي أن تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) أي حقا (إذا بلغت) يعني النفس كناية عن غير مذكور (التراقي) جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقي

(وقيل) يعني وقال من حضره (من راق) أي هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ألم برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وقيل هو من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى روحه إذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب (وظن) أي أيقن الذي بلغت روحه التراقي (أنه الفراق) يعني الخروج من الدنيا وفراق المال والأهل والولد (والتفت) أي اجتمعت (الساق بالساق) أي الشدة بالشدة يعني شدة فرقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب إلا جاءه ما هو أشد منه وقال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت إذا لفتا في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت ألا تراه كيف يضرب بإحدى رجليه على الأخرى عند النزع وإذا مات يبست ساقاه والتفت إحداهما بالأخرى (إلى ربك يومئذ المساق) أي مرجع العباد إلى الله يساقون إليه يوم القيامة ليفصل بينهم ﴿ قوله تعالى (فلا صدق ولا صلى) يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن

على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين (إذا بلغت) أي الروح وجاز وإن لم يجر لها ذكر لأن الآية تدل عليها (التراقي) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق) يقف حفص على من وقيفة أي قال حاضر والمحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب أو هو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقي من حد علم (وظن) أيقن المحتضر (أنه الفراق) أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هما همان هم الأهل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (إلى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه أي مساق العباد إلى حيث أمر الله إما إلى الجنة وإلى النار (فلا صدق) بالرسول


) الإنسان في قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه

ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) أي أعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يتبختر ويختال في مشيته وقيل أصله يتمطط أي يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه (أولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه وقيل معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه ويستوجبه قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى (ثم أولى لك فأولى) قال فقال أبو جهل أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيأ واني لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله أشد قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أي هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة (ألم يك نطفة) أي ماء قليلا (من مني يمنى) أي يصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قذر مستقذر أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقة) أي صار الانسان علقة بعد النطفة (فخلق فسوى) أي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه (فجعل منه) أي من الانسان (الزوجين) أي الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والانثى) أي خلق من مائه أولادا ذكورا واناثا (أليس ذلك) أي الذي فعل هذا وأنشأ الاشياء أول مرة (بقادر على أن يحيي الموتى) أي بقادر على اعادته بعد الموت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أبو داود ✽ وله عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضا﴾

وهي مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدني من أولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

❁ قوله عز وجل (هل أتى) أي قد أتى (على الانسان) يعني آدم عليه الصلاة والسلام (حين من الدهر) يعني مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك قوله يطيف به أي يدور حوله فلما رآه أجوف أي صاحب جوف وقيل هو الذي داخله خال وقوله عرف أنه خلق لا يتمالك أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروي في تفسير الآية ان آدم بقي أربعين سنة طينا وأربعين سنة حمأ مسنونا وأربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة (لم يكن شيأ مذكورا) أي لا يذكر ولا

---

(ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان أو فلا صدق ماله يعني فلا زكاه (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فأولى ثم أولى لك فأولى) كرر للتأكيد كأنه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك في القبر وويل لك حين البعث وويل لك في النار (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيحسب الكافر أن يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (ألم يك نطفة من مني يمنى) بالياء ابن عامر وحفص أي يراق المني في الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقة) أي صار المني قطعة دم جامد بعد أربعين يوما (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشرا سويا (فجعل منه) من الانسان (الزوجين الذكر والانثى) أي من المني الصنفين (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول سبحانك بلى والله أعلم

﴿سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) قد مضى (على الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيأ مذكورا) لم يعرف يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بأنه قد أتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيأ مذكورا النصب على الحال من الانسان أي أتى عليه حين من الدهر غير مذكور

(إنا خلقنا الإنسان) أي ولد آدم وقيل الأول ولد آدم أيضاً وحين من الدهر على هذا مدة لبثه في بطن أمه إلى أن صار شيئاً مذكوراً بين الناس (من نطفة أمشاج) نعت أو بدل منها أي من نطفة قد امتزج فيها الماءان (٣٦٣) ومشجت ومزجت بمعنى ونطفة أمشاج كبرمة أعشار فهو مفرد غير جمع ولهذا وقع صفة للمفرد (نبتليه) حال أي خلقناه مبتلين أي مريدين ابتلاءه بالأمر والنهي له (فجعلناه سميعا بصيرا) ذا سمع وبصر (إنا هديناه السبيل) بيناله طريق الخير والشر (إما شاكرا) مؤمنا (وإما كفورا) كافرا حالان من الهاء في هديناه أي إن شكر أو كفر فقد هديناه السبيل في الحالين أو من السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أعد لهما فقال (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكي وأبو عمرو وحمزة وبه لينا سب أغلالا وسعيرا إذ نحو صرف غير المنصرف للتناسب ونحوهم (وأغلالا) جمع غل (وسعيرا) نارا موقدة وقال (إن الأبرار) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وهم الصادقون في الإيمان أو الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر (يشربون من كأس) خمر فنفس الخمر تسمى كأسا وقيل الكأس الزجاجة إذا كان فيها خمر (كان مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده

---

يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا يذكر وروى عن عمر أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالإنسان جنس الإنسان وهم بنو آدم بدليل قوله (إنا خلقنا الإنسان) فالإنسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيئا مذكورا يعني أنهم كانوا نطفا في الأصلاب ثم علقا ومضغا في الأرحام لم يذكروا وقوله (إنا خلقنا الإنسان) يعني ولد آدم (من نطفة) أي من مني الرجل ومني المرأة (أمشاج) أي أخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو أمشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت أي خلطت بدم وهو دم الحيض فإذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الأمشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل إن الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج (نبتليه) أي لنختبره بالأمر والنهي (فجعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة وقيل معناه إنا خلقنا الإنسان من هذه الأمشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواس وأشرفها (إنا هديناه السبيل) أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدناه إلى الهدى لأنه لا يطلق اسم السبيل إلا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وإنزال الكتب (إما شاكرا وإما كفورا) يعني إما موحدا طائعا لله وإما مشركا بالله في علم الله وذلك أن الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الإنسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الآية إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء أي بينا له الطريق إن شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر وأوعد الكافر فقال تعالى (إنا أعتدنا) أي هيأنا في جهنم (للكافرين سلاسل) أي يشدون بها (وأغلالا) أي في أيديهم تغل بها إلى أعناقهم (وسعيرا) يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى (إن الأبرار) يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر وأصله التوسع فمعنى البر التوسع في الطاعة (يشربون من كأس) يعني فيها شراب (كان مزاجها كافورا) قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فإن قلت إن الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال أهل المعاني أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده لأن الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى أن ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لأن أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس

ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم ليمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل (عينا) بدلا من الكافور وقيل أعني عينا (يشرب بها) أي يشرب منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) أي يقودونها إلى حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم ﴿ قوله تعالى (يوفون بالنذر) لما وصف الله تعالى ثواب الأبرار في الآخرة وصف أعمالهم في الدنيا التي يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر والنذر الإيجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع والعامة أن يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك بأن يقول لله علي كذا وكذا من صدقة أو صلاة أو صوم أو حج أو عمرة يعلق ذلك بأمر يلتمسه من الله وذلك بأن يقول إن شفى الله مريضي أو قدم غائبي كان لله علي كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليف بنذره ومن نذر أن يعصي الله فلا يف به وفي رواية فليطعه ولا يعصه عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي (ق) عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فأمره أن يقضيه عنها أخرجه الجماعة وفي الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم بأداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في أهل السموات وأهل الأرض في أولياء الله وأعدائه وقيل فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفي الأرض فنسفت الجبال وغارت المياه وكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء والمعنى أنهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته ﴿ قوله عز وجل (ويطعمون الطعام على حبه) أي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة إليه فوصفهم الله تعالى بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم بالطعام ويواسون به أهل الحاجة وذلك لأن أشرف أنواع الإحسان والبر إطعام الطعام لأن به قوام الأبدان وقيل على حب الله عز وجل أي لحب الله (مسكينا) يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب (ويتيما) أي صغيرا وهو الذي لا أب له يكتسب له وينفق عليه (وأسيرا) قيل هو المسجون من أهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الأسير هو من أهل الشرك أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ أهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز إطعام الأسرى وإن كانوا على غير ديننا وأنه يرجى ثوابه ولا يجوز أن يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الأسير المملوك وقيل الأسير المرأة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان يعني أسرى وقيل غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك واختلفوا في سبب نزول الآية فقيل نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الإفطار جاءه مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة وبقي له ولأهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروي عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وذلك أنه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه وأصلحوا منه شيئا ليأكلوه فلما فرغ أتى مسكين فسأل فأعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ أتى يتيم فسأل فأعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة في كل من أطعم المسكين واليتيم والأسير لله تعالى وآثر على نفسه (إنما نطعمكم لوجه الله) أي لابتغاء وجه الله تعالى (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) قيل إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأثنى



---

(عينا) بدل منه (يشرب بها عباد الله) أي منها والباء زائدة أو هو محمول على المعنى أي يلتذ بها أو يروى بها وإنما قال أولا بحرف من وثانيا بحرف الباء لأن الكأس مبتدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأنه قيل يشرب عباد الله بها الخمر (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون بالنذر) بما أوجبوا على أنفسهم وهو جواب من عسى أن يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) منتشرا من استطار الفجر (ويطعمون الطعام على حبه) أي حب الطعام مع الاشتهاء والحاجة إليه أو على حب الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيما) صغيرا لا أب له (وأسيرا) مأسورا مملوكا أو غيره ثم عللوا إطعامهم فقالوا (إنما نطعمكم لوجه الله) أي لطلب ثوابه أو هو بيان من الله عز وجل عما في ضمائرهم لأن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وإن لم يقولوا شيئا (لا نريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكورا) ثناء وهو مصدر كالشكر

(إنا نخاف من ربنا) أي إنا لا نريد منكم المكافأة خوف عقاب الله على طلبها

مأمن من ذلك الخوف (يوما عبوسا قمطريرا) وصف اليوم صفة أهله من الأشقياء ... والعامل فيها جوابها ... وفرع

يجمع ما بين عينيه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) صانهم من شدائده (ولقاهم) أعطاهم بدل عبوس الكفار (نضرة) فلما من أيما كنزا

(وسرورا) فرحا في القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الإيثار نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ... فيه الشهادة على

أنه عنهما ... ولصوم ثلاثة أيام فاستقرض علي رضي الله عنه من يهودي ثلاثة آصع من الشعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها ... تحبيب

صاعا وخبزت فآثروا بذلك ثلاث عشيات على أنفسهم مسكينا ويتيما وأسيرا ولم يذوقوا إلا الماء في وقت الإفطار (جنة) ... آخر

هي (وحريرا) ملبسا لهم (متكئين) حال من هم في جزاهم (فيها) في الجنة **(٣٦٥)** (على الأرائك) الأسرة جمع الأريكة (لا

يرون) حال من الضمير المرفوع في متكئين غير رائين (فيها) في الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لأنه لا شمس فيها ولا زمهريرا فظلها دائم وهواؤها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر والزمهرير البرد الشديد وقيل القمر أي الجنة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) قريبة منهم ظلال أشجارها عطف على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بجنتين لأنهم وصفوا بالخوف بقوله إنا نخاف من ربنا ولمن خاف مقام ربه جنتان (وذللت) سخرت للقائم والقاعد والمتكئ وهو حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال

تذليل قطوفها عليهم أو معطوفة عليها أي ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قطوفها) ثمارها جمع قطف (تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة) أي

يدير عليهم خدمهم كؤوس الشراب والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء (وأكواب) أي من فضة جمع كوب وهو إبريق لا عروة له (كانت

قواريرا) كان تامة أي كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال (قواريرا من فضة) أي مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض

الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضي الله عنهما قوارير كل أرض من

تربتها وأرض الجنة فضة قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتنوين فيهما وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما

وابن كثير بتنوين الأول وبغير تنوين في الأول لتناسب الآي المتقدمة وإنما أخره وفي الثاني لاتباعه الأول والوقف على الأول قيل ولا يوقف به

الثاني بدل من الأول (قدروها تقديرا) صفة لقوارير من فضة أي أهل الجنة قدروها على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة

---

عليهم وقيل فعلوا ذلك مع المحتاجين من المكافأة وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك أن الإحسان إلى الغير تارة يكون لأجل الله تعالى لا يراد به غيره فهذا هو الإخلاص وتارة يكون لطلب المكافأة أو لطلب الحمد من الناس أو هما وهذان القسمان مردودان لا يتقبلهما الله تعالى لأن فيهما شركا ورياء ونفوا ذلك عنهم بقولهم إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (إنا نخاف من ربنا يوما) يعني أن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم (عبوسا) وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد أهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قمطريرا) يعني شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أي الذي يخافونه (ولقاهم نضرة) أي حسنا في وجوههم (وسرورا) أي في قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) أي على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والإيثار (جنة وحريرا) أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير (متكئين فيها) أي في الجنة (على الأرائك) جمع أريكة وهي السرر في الحجال ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما يؤذيهم في الدنيا والزمهرير أشد البرد وحكى الزمخشري قولا أن الزمهرير هو القمر وعن ثعلب وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

... ضياء لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة منهم ظلال أشجارها سخرت وقربت (قطوفها) أي ثمارها (تذليلا) أي يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ... ويتناولونها كيف شاؤوا وعلى أي حال أرادوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه (كانت قواريرا قواريرا من فضة) قال أهل التفسير أراد بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى أن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج والمعنى يرى ما في باطنها من ظاهرها قال الكلبي إن الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وإن أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل إن القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة ولكنها أصفى من الزجاج (قدروها تقديرا) أي قدروا الكؤوس على قدر ريهم وكفايتهم لا

وأبو عمرو وعلى (الا أن يشاء الله) النصب على الظرف أى الا وقت مشيئة الله وإنما

بنا) بدليله (يشرب بها عباد الله) وبالياء مكى وشامى

اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان

ف من وثانيا بعرف ... بأحوالهم (حكيما) مصيبا فى الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمته) جنته لانها

لان الكافى مثبتا ... يشرلون قد شاء أن يدخل كلا فى رحمته لانه شاء ايمان الكل والله تعالى أن يدخل

وإنما حجة على المعتزلة لانهم



عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال أهل السنة و يرد عليهم قوله عز وجل فى سياق الآية (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) أى لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع مايصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه (ان الله كان عليما) أى بأحوال خلقه ومايكون منهم (حكيما) أى حيث خلقهم مع علمه بهم (يدخل من يشاء فى رحمته) أى فى دينه وقيل فى جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق (والظالمين) يعنى المشركين (أعد لهم عذابا أليما) أى مؤلما والله سبحانه وتعالى أعلم

## ﴿تفسير سورة المرسلات﴾

مكية وهى خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) اعلم أن للمفسرين ذكروا فى هذه الكلمات الخمس وجوها ◦ الاول أن المراد بأسرها الرياح المرسلات عرفا الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أى كثيرا فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعنى الرياح اللينة وقيل هى الرياح التى أرسلها نشرا بين يدى رحمته وقيل هى الرياح التى تنشر السحاب وتأتى بالمطر فالفارقات فرقا يعنى الرياح التى تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعنى أن الرياح اذا أرسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد فى القلوب فيلجؤن الى الله تعالى و يذكرونه فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والمعرفة فى القلوب عند هبوبها ◦ الوجه الثانى ان المراد بأسرها الملائكة الذين أرسلهم الله المرسلات عرفا الملائكة الذين أرسلوا بالمعروف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى أنهم اذا نزلوا الى الارض نشروا أجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا الملائكة تلقى الذكر الى الانبياء وقيل يجوز أن يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقى جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ◦ الوجه الثالث أن المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف المأكول والناشرات نشرا يعنى أن آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى آيات القرآن وهى الذكر الذى يلقى الايمان والنور فى قلوب المؤمنين ◦ الوجه الرابع أنه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس

بهم وأولئكما ... رحمته وهو الذى ... أنه مختار الهدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (أعد لهم عذابا أليما) نحو وعد وكافأ

﴿سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن و بطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن و برياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فألقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله فى الغيث و يشكرونها واما انذارا للذين لا يشكرون و ينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية ... عرفا حال أى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا أو مفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران أو نذرا أبو عمرو و... غير أبى بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على ...

ذكرا أو على المفعول له (إن ما توعدون) إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم (فإذا النجوم طمست) محيت أو ذهب بنورها وجواب فإذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (وإذا السماء فرجت) فتحت فكانت أبوابا (وإذا الجبال نسفت) قلعت من أماكنها (وإذا الرسل أقتت) أي وقتت كقراءة أبي عمرو أبدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم (لأي يوم أجلت) أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت (ليوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لأمره وهو بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين (٣٦٩) الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لأمره (ويل) مبتدأ وإن كان نكرة لأنه في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (ألم نهلك الأولين) الأمم الخالية المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لأهل مكة أي ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين ما فعلنا بالأولين لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما أوعدنا (ألم نخلقكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) أي الماء (في قرار مكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم

(٤٧ - (خازن) - رابع)

ومحل (الى قدر معلوم) الحال أي مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو ما فوقها أو ما دونها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والأول أحق لقراءة نافع وعلي بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (ألم نجعل الأرض كفاتا) هو من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت أي تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها والتنكير فيهما للتفخيم أي تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون (وجعلنا فيها رواسي) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة

بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة فإن قلت وما الجامع بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما في القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما في القسم عذرا أو نذرا أي للإعذار والإنذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى (إن ما توعدون) أي من أمر الساعة ومجيئها (لواقع) أي لكائن نازل لا محالة وقيل معناه إن ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فإذا النجوم طمست) أي محي نورها وقيل محقت (وإذا السماء فرجت) أي شقت وقيل فتحت (وإذا الجبال نسفت) أي قلعت من أماكنها (وإذا الرسل أقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد أي جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم (لأي يوم أجلت) أي أخرت وضرب الأجل لجمعهم كأنه تعالى يتعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى (وما أدراك ما يوم الفصل) أي وما أعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) أي بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب ﴿ قوله تعالى (ألم نهلك الأولين) يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعني السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب وهم كفار قريش أي نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين) أي إنما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعني النطفة (فجعلناه في قرار مكين) يعني الرحم (الى قدر معلوم) يعني وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره (فقدرنا) قرئ بالتشديد من التقدير أي قدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) أي المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة أي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في أحسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) أي المنكرين للبعث لأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة (ألم نجعل الأرض كفاتا) يعني وعاء وأصله الضم والجمع (أحياء وأمواتا) يعني تكفتهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها في قبورهم ولذلك تسمى الأرض أما لأنها تضم الناس كالأم تضم ولدها (وجعلنا فيها) أي في الأرض (رواسي شامخات) يعني جبالا عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) يعني عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعني أن هذا كله أعجب من البعث فالقادر عليه

(انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) أي يقال للكافرين يوم القيامة سيروا الى النار التي كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرير للتوكيد (الى ظل) دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لاظليل) نعت ظل أي لامظلل من حر ذلك اليوم وحر النار (ولايغنى) فى محل الجر أي وغير مغن لهم (من اللهب) من حر اللهب شيأ (انها) أي النار (ترمى بشرر) هو ماتطاير من النار (كالقصر) فى العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة (كأنه جمالة) كوفى غير أبى بكر جمع

قادر على البعث ﴿ قوله عز وجل (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) يعنى يقال للمكذبين يوم القيامة فى الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى دخان جهنم اذا سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم (لاظليل) أي ان ذلك الظل لايظل من حر (ولايغنى من اللهب) أي لايرد عنهم من لهب جهنم والمعنى أنهم اذا استظلوا بذلك الظل لايدفع عنهم حر اللهب (انها) يعنى جهنم (ترمى بشرر) جمع شرارة وهى ماتطاير من النار (كالقصر) يعنى كالبناء العظيم ونحوه وقيل هى أصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر (كأنه) يعنى الشرر (جمالات) جمع الجمال وقال ابن عباس هى حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كأوساط الجمال (صفر) جمع أصفر يعنى ان لون ذلك الشرر أصفر وأنشد بعضهم

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم ﴿ بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء فى الحديث ان شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شئ من الصفرة وقيل هى قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كأنه شئ مجموع عليها أصفر (ويل يومئذ للمكذبين) ﴿ قوله عز وجل (هذا يوم لاينطقون) يعنى بحجة تنفعهم قيل هذا فى بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان فى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختصمون وفى بعضها يختم على أفواههم فلاينطقون (ولايؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآى بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافى والقرآن نزل على ماتستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لايكون اذن واعتذار قال الجنيد أي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر أياديه ونعمه فان قلت قد توهم أن لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر فى الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار فى الدنيا فلم يبق لهم عذر فى الآخرة ولكن ربما ظنوا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم فى ذلك العذر الفاسد (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى أنه لما تبين أنه لاعذر ولاحجة فيما أتوا به من الاعمال السيئة ولاقدرة لهم على دفع العذاب عنهم لاجرم قال فى حقهم ويل يومئذ للمكذبين (هذا يوم الفصل) يعنى بين أهل الجنة وأهل النار وقيل هو الفصل بين العباد فى الحاكمات (جمعناكم والاولين) يعنى مكذبى هذه الامة والذين كذبوا أنبياءهم من الامم الماضية (فان كان لكم كيد فكيدون) أي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون أن الحيل لاتنفع وهذا فى نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا أعقبه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين) ﴿ قوله عز وجل (ان المتقين) أي الذين اتقوا الشرك (فى ظلال) جمع ظل وهو ظل الاشجار (وعيون) أي فى ظلهم عيون (وفواكه مما يشتهون) أي يتلذذون بها (كلوا واشربوا) أي ويقال لهم كلوا واشربوا هنيأ

جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صفر) جمع أصفر أي سود وتضرب الى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (ويل يومئذ للمكذبين) بأن هذه صفتها (هذا يوم لاينطقون) وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف فى بعضها يختصمون وفى بعضها لاينطقون أو لاينطقون بما ينفعهم جعل نطقهم كلا نطق (ولايؤذن لهم) فى الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى أي لايكون لهم اذن واعتذار (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل) بين الحق والباطل والمحسن والمسئ بالجزاء (جمعناكم) يامكذبى محمد (والاولين) والمكذبين قبلكم (فان كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا على بتخليص أنفسكم من العذاب والكيد متعد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين) من عذاب الله يحتمل ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية فى الجنة (وفواكه مما يشتهون) أي انها مستلذة مشتهاة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير الـ الظرف الذى هو فى ظلال أي هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك

(هنيئا بما كنتم تعملون) فى الدنيا (انا كذلك نجزى ... (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم (قليلا) لان متاع الدنيا قليل (انكم مجرمون) كافرون أى ان كل مجرم يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى فى الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (واذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم أو واذا قيل لهم صلوا لا يصلون (ويل يومئذ للمكذبين) بالامر والنهى (فبأى حديث بعده) (٣٧١) بعد القرآن (يؤمنون) أى ان لم يؤمنوا بالقرآن مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون والله أعلم

﴿سورة النبأ مكية وهى أربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم) أصله عن ما وقرئ بها ثم ادغمت النون فى الميم فصار عما وقرئ بها ثم حذفت الالف تخفيفا لكثرة فى الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عن النبأ العظيم) أى البعث وهو بيان للشأن المفخم وتقديره عم يتساءلون يتساءلون عن النبأ العظيم (الذى هم مختلفون) فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد ويسأل استهزاء (كلا) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزؤا (سيعلمون) وعيد لهم بانهم سوف يعلمون عيانا ان ما يتساءلون (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد وثم يشعر ان الثانى أبلغ من الاول وأشد (ألم نجعل الارض) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم لم فعل هذه الحكيم لا يفعل عبثا وانكار البعث يؤدى الى انه عابث فى كل ما فعل (مهادا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها

يحتمل أن يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما أعظمها من نعمة أو يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) أى خالص اللذة لا يشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الطاعات (انا كذلك نجزى المحسنين) قيل المقصود منه تذكير الكفار ما هم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين)

﴿ قوله عز وجل (كلوا وتمتعوا قليلا) يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا الى منتهى آجالكم وهذا وان كان فى ظاهر اللفظ أمرا الا انه فى المعنى نهى بليغ وزجر عظيم (انكم مجرمون) أى مشركون بالله مستحقون للعذاب لا ليوم أتبعه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى واذا قيل لهم صلوا مع محمد وأصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من أركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون) أى بعد نزول القرآن اذا لم يؤمنوا به فبأى شئ يؤمنون والله أعلم

﴿تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل﴾

مكية وهى أربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (عم) أصله عن ما (يتساءلون) عن أى شئ يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك أى شئ زيد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عما اذا تساءلوا فقال تعالى (عن النبأ العظيم) يعنى الخبر العظيم الشأن قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به (الذى هم فيه مختلفون) فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر أو شعر أو كهانة أو نحو ذلك مما قالوه فى القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم فى القرآن (كلا) هى ردع وزجر وقيل هى نفى لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا (سيعلمون) أى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعنى فى القيامة (ثم كلا سيعلمون) وعيد على أثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر أشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا أنه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وايجاده مرة أخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى (ألم نجعل الارض مهادا) أى فراشا

(والجبال أوتادا) للارض لئلا تميد بكم (وخلقناكم أزواجا) ذكورا وأناثا (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم والسبت
القطع (وجعلنا الليل لباسا) سترا يستركم عن العيون اذا أردتم اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون في
حوائجكم ومكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أي محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل
واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيئا وقادا أي جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) أي السحائب
اذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ومنه أعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض أو الرياح لانها تنشئ السحاب
وتدر أخلافه فيصح أن يجعل مبدأ للانزال ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) بكثرة (لنخرج به) بالماء (حبا) كالبر والشعير (ونباتا) وكلأ (وجنات) بساتين (ألفافا) ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع واجذاع أو لفيف كشريف وأشراف أولا واحد له كأوزاع أو هي جمع الجمع فهي جمع لف والف جمع لفاء وهي شجرة مجتمعة ولا وقف من ألم نجعل الى ألفافا والوقف الضروري على أوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (في الصور) في القرن (فتأتون أفواجا) حال أي جماعات مختلفة أو أمما كل أمة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفي أي شقت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) أي هباء تخيل الشمس أنه ماء (ان جهنم كانت مرصادا) طريقا عليه ممر الخلق والمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد أي هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها

وبساطا تستقر عليها الاقدام (والجبال أوتادا) يعني للارض حتى لا تميد (وخلقناكم أزواجا) يعني أصنافا ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أي راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات الراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة وأصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف في الاعمال (وجعلنا الليل لباسا) أي غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته عن العيون وانما سمي الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا أراد هربا من عدو ونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) أي سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس يبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعني سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها تشقق ولا فطور على ممر الزمان الى أن يأتي أمر الله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة (وأنزلنا من المعصرات) يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء أي وأنزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هي السحاب وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرات السحابة التي حان لها أن تمطر ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) أي صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي (لنخرج به) أي بذلك الماء (حبا) أي ما يأكله الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) أي ما ينبت في الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام (وجنات ألفافا) أي ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم أخبر عنه بقوله تعالى (ان يوم الفصل) أي الحساب (كان ميقاتا) أي لما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلائق ليقضي بينهم (يوم ينفخ في الصور) يعني النفخة الاخيرة (فتأتون أفواجا) يعني زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت أبوابا) يعني فكانت ذوات أبواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) أي عن وجه الارض (فكانت سرابا) أي هباء منبثا كالسراب في عين الناظر (ان جهنم كانت مرصادا) أي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروي عن ابن عباس ان جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا

(للطاغين مآبا) للكافرين مرجعا (لابثين) ماكثين حال مقدرة من الضمير ... لبثين ... أقوى إذ اللابث من وجد
منه اللبث واللبث من شأنه اللبث والمقام في المكان (فيها) في جهنم (أحقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور
بل الأبد كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة
وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة لابثين فيها أحقابا (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي غير ذائقين حال من ضمير
لابثين فإذا انقضت هذه الأحقاب التي عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا بأحقاب أخر فيها عذاب آخر وهي أحقاب بعد
أحقاب لا انقطاع لها وقيل
هو من حقب عامنا إذا قل
مطره وخيره وحقب فلان
إذا أخطأه الرزق فهو حقب
وجمعه أحقاب فينتصب
حالا عنهم أي لابثين فيها
حقبين جهدين ولا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا تفسير له
وقوله (إلا حميما وغساقا)
استثناء منقطع أي لا
يذوقون في جهنم أو في
الأحقاب بردا روحا ينفس
عنهم حر النار أو نوما ومنه
منع البرد البرد ولا شرابا
يسكن عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميما ماء حارا
يحرق ما يأتي عليه وغساقا
ماء يسيل من صديدهم
وبالتشديد كوفي غير أبي
بكر (جزاء) جوزوا جزاء
(وفاقا) موافقا لأعمالهم
مصدر بمعنى الصفة أو ذا
وفاق ثم استأنف معللا فقال
(إنهم كانوا لا يرجون
حسابا) لا يخافون محاسبة
الله إياهم أو لم يؤمنوا بالبعث
ليرجوا حسابا (وكذبوا
بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش (وكل شيء) نصب بمضمر يفسره (أحصيناه كتابا) مكتوبا في اللوح بالحساب أو
حال أو مصدر في موضع إحصاء أو أحصيناه في معنى كتبناه لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لأن قوله (فذوقوا) مسبب
عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أي فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم إلا عذابا) في الحديث هذه
أشد ما في القرآن على أهل النار (إن للمتقين مفازا) مفعول من الفوز يصلح مصدرا أي نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب
ومكانا وهو الجنة ثم أبدل عنه بدل البعض من الكل فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وأعنابا)

---

انظروا فإن كان له تطوع أكملت به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة وقيل كانت مرصادا أي معدة لهم
وقيل هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى أن
جهنم ترصد الكفار أي تنتظرهم (للطاغين) أي الكافرين (مآبا) أي مرجعا يرجعون إليها (لابثين
فيها) أي في جهنم (أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل
يوم ألف سنة يروى ذلك عن علي بن أبي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة فإن قلت الأحقاب
وإن طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فما معنى قوله أحقابا قلت ذكروا فيه وجوها
أحدها ما روي عن الحسن قال إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو إلا
أنه إذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر إلى الأبد فليس للأحقاب عدة إلا الخلود وروي عن عبد الله بن
مسعود قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في
الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا * الوجه الثاني أن لفظ الأحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه
والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا لا يذوقون فيها أي في تلك الأحقاب بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا فهذا توقيت
لأنواع العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث أن الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم إلا عذابا
يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لا يذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا أي روحا
وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) أي يغنيهم عن عطش (إلا حميما وغساقا) أي لكن
يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق
الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أي جزيناهم جزاء وافق أعمالهم وقيل وافق
العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) أي
لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أي التي
جاءت بها الأنبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) أي تكذيبا قال الفراء
هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال وقد سألني أعرابي منهم يستفتيني الحلق أحب
إليك أم القصار يريد التقصير (وكل شيء) أي من الأعمال (أحصيناه) أي بيناه وأثبتناه (كتابا) أي
في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شيء علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى أنا عالمون بجميع
ما تفعلون من خير وشر وإنما نجازيهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم إلا
عذابا) قيل هذه الآية أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع العذاب أغيثوا بأشد منه
❁ قوله عز وجل (إن للمتقين مفازا) أي فوزا أي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة
ويحتمل أن يفسر الفوز بالأمرين جميعا لأنهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم
فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون (وأعنابا) التنكير يدل على

وكروما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لدات مستويات في السن (وكأسا دهاقا) مملوءة (لا يسمعون فيها) في الجنة حين
ضمير خبيران (لغوا) باطلا (ولا كذابا) الكسائي خفيف بمعنى مكاذبة أي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكاذبه (جزاء) مصدر أي جزاهم
جزاء (من ربك عطاء) مصدر أو بدل من جزاء (حسابا) صفة يعني كافيا وعلى حسب أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن)
بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن أو الرحمن صفته ولا يملكون خبر أو هما خبر
ان والضمير في (لا يملكون) لاهل السموات



والارض وفي (منه خطابا) لله تعالى أي لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا
بإذنه أو لا يقدر أحد أن
يخاطبه تعالى خوفا (يوم
يقوم) ان جعلته ظرفا للا
يملكون لا تقف على خطابا
وان جعلته ظرفا للا
يتكلمون تقف (الروح)
جبريل عند الجمهور وقيل
هو ملك عظيم ما خلق الله
تعالى بعد العرش خلقا
أعظم منه (والملائكة صفا)
حال أي مصطفين (لا
يتكلمون) أي الخلائق
ثم خوفا (الا من أذن له
الرحمن) في الكلام أو
الشفاعة (وقال صوابا) حقا
بأن قال المشفوع له لا اله الا
الله في الدنيا أو لا يؤذن الا
لمن يتكلم بالصواب في
أمر الشفاعة (ذلك اليوم
الحق) الثابت وقوعه (فمن
شاء اتخذ الى ربه مآبا)
مرجعا بالعمل الصالح (انا
أنذرناكم) أيها الكفار
(عذابا قريبا) في الآخرة
لأن ما هو آت قريب (يوم
ينظر المرء) الكافر لقوله
انا أنذرناكم عذابا قريبا
(ما قدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتخصيص الايدي لان أكثر
الأعمال تقع بها وان احتمل أن لا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر
أو المرء عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خير وشر أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خير وما استفهامية منصوبة
بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع في الصلة محذوف أ
كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص
من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين

تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن (أترابا) يعني مستو
في السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية (لا يسمعون) أي في ا
وقيل في حال شربهم لأن أهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حال شربهم (لغوا) أي باطلا من الكلا
(ولا كذابا) أي تكذيبا والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي
جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر أعمالهم (ر
السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) أي لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب الا باذنه وقيل
لا يملكون منه خطابا أي لا يملكون شفاعة الا باذنه في ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل
جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم ا
قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح
عظيم أعظم من السموات والارض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر
يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني
بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني
وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه أنهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل
هما سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة (لا يتكلمون) يعني الخلق كلهم اجلالا لعظمة
جل جلاله وتعالى عظمته وشأنه من هول ذلك اليوم (الا من أذن له الرحمن) أي في الكلام (وقال صوابا)
حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لا يشفعون
الا في شخص أذن الرحمن في الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله
(ذلك اليوم الحق) أي الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أي سبيلا ير
اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه (انا أنذرناكم) أي خوفناكم في الدنيا (عذابا قريبا) أي في الآ
ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) يعني من خير أو شر مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم
(ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الأد
وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القر
نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل
الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين لهم أيام حياتكم فا
الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت في الدنيا في صورة بعض
البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار

لسائر الأمم سوى الناس والجن عود وإنما يعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه أن الكافر إذا رأى ما أنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في طاعة الله في الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل إن الكافر هنا هو إبليس وذلك أنه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليه بأنه خلق من نار فإذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال أبو هريرة رضي الله عنه يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة النازعات مكية﴾

وهي ست وقيل خمس وأربعون آية ومائة وتسع وسبعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا) اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد أم لأشياء مختلفة على أوجه واتفقوا على أن المراد بقوله (فالمدبرات أمرا) وصف شيء واحد وهم الملائكة • الوجه الأول قوله تعالى والنازعات غرقا يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الإغراق أي والنازعات إغراقا قال ابن مسعود إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن أي تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وإنما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لأن بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد إذا أسرع في جريه يقال له سابح والسابقات سبقا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لأنه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل أن يموت وقال علي بن أبي طالب هي أرواح الكفار تنشط بين الجلد والأظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني أرواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها إلى الحضرة المقدسة الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير الوجه الرابع في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في أعنتها وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطا لأنها تخرج بسرعة إلى ميدانها وهي السابحات في جريها وهي السابقات سبقا لاستباقها إلى الغاية الوجه الخامس في قوله والنازعات غرقا يعني الغزاة حين تنزع قسيها في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا أي السهام في الرمي والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعني الخيل والإبل حين يخرجها أصحابها إلى الغزو • السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا فيبلغ بها غايته والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات سبحا يعني [illegible] والسابقات سبقا يعني مسابقة نفوس المؤمنين إلى الخيرات والطاعات • وأما قوله فالمدبرات أمرا

﴿سورة النازعات ست وأربعون آية مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) لا وقف إلى هنا ولزم هنا لأنه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة في ذلك اليوم أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد غرقا أي إغراقا في النزع أي تنزعها من أقاصي الأجساد من أناملها ومواضع أظفارها وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم أو بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر

أمر البلية والظفر وإسناد التدبير إليها لانها من أسبابها أو بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك
كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وجواب
القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجفة شدة الحركة (الراجفة)
النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجفة (الرادفة) النفخة
الثانية لانها تردف الاولى بينهما أربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكرى البعث (واجفة)
مضطربة من الوجيف وهو الوجيب واتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة أى يوم ترجف وجفت
القلوب وارتفاع قلوب
بالابتداء وواجفة صفتها
(أبصارها) أى أبصار
أصحابها (خاشعة) ذليلة
لهول ما ترى خبرها
(يقولون) أى منكرو
البعث فى الدنيا استهزاء
وانكار البعث (ائنا
لمردودون فى الحافرة)
استفهام بمعنى الانكار أى
أنرد بعد موتنا الى أول
الامر فنعود أحياء كما كنا
والحافرة الحالة الاولى يقال
لمن كان فى أمر فخرج منه
ثم عاد اليه رجع الى حافرته
أى الى حالته الاولى ويقال
النقد عند الحافرة أى عند
الحالة الاولى وهى الصفقة
أنكروا البعث ثم زادوا
استبعادا فقال (أئذا كنا
عظاما نخرة) بالية ناخرة
كوفى غير حفص وفعل
أبلغ من فاعل يقال نخر
العظم فهو نخر وناخر والمعنى
أنرد الى الحياة بعد أن صرنا
عظاما بالية وإذا منصوب
بمحذوف وهو نبعث (قالوا) أى منكرو البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسران أو خاسر أصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هى زجرة واحدة) متعلق بمحذوف أى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة فى قدرته فما هى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم أحياء على وجه الارض بعدما كانوا أمواتا فى جوفها وقيل الساهرة أرض بجنب بيت المقدس أو أرض مكة أو جهنم (هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشر...
لاشاما...

فاجمعوا على أنهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد
الرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا أربعة أملاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه
عزرائيل فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فوكل بقبض
الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى أقسم الله بهذه الاشياء لشرفها ولله أن يقسم بما
يشاء من خلقه أو يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن
وقيل جوابه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الراجفة) يعنى النفخة
الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شئ ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعنى النفخة الثانية ردفت
الاولى وبينهما أربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحيي كل شئ باذن الله
عز وجل وقيل الراجفة التى تزلزل الارض والجبال والرادفة التى تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة
البعث يوم القيامة روى البغوى بسند الثعلبى عن أبى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ذهب ربع الليل قام وقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قوله
عز وجل (قلوب يومئذ واجفة) أى خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن أماكنها (أبصارها
خاشعة) أى أبصار أهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعنى المنكرين
للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (أئنا لمردودون فى الحافرة) يعنى أنرد الى أول الحال
وابتداء الامر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجع فلان فى حافرته أى رجع من
حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ وأول الشئ ويقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقه التى
جاء منه يحفره بمشيته فعل بأثر قدميه حفرا فهى محفورة فى الحقيقة وقيل الحافرة الارض التى تحفر فيها
قبورهم سميت حافرة لانها مستقر عليها الحافر والمعنى أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا
نمشى عليها وقيل الحافرة النار (أئذا كنا عظاما نخرة) أى بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل
الناخرة المجوفة التى يمر فيها الريح فتنخر أى تصوت (قالوا) يعنى المنكرين للبعث اذا عاينوا أمر
القيامة (تلك اذا كرة خاسرة) أى رجعة غابنة يعنى ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما...
(فانما هى) يعنى النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) أى صيحة واحدة يجمعون بها جميعا (فاذا هم بالساهرة)
يعنى وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هى التى كثر الوطء عليها
سهرت والمعنى انهم كانوا فى بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هى أرض الشام
وقيل أرض القيامة وقيل هى أرض جهنم قوله عز وجل (هل أتاك حديث موسى) يعنى أتاك حديث موسى

(إذ ناداه ربه) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) ... (إنه طغى) تجاوز الحد في الكفر والفساد (فقل هل لك إلى أن تزكى) هل لك سبيل إلى أن ... والإيمان وبتشديد الزاي حجازي (وأهديك إلى ربك) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وعن بعض الحكماء اعرفوا الله فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الأمر من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف  في القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك في قوله تعالى فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) أي فذهب فأرى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لأنهما في حكم آية واحدة (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد في مكايدته أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع في مشيته وكان طياشا خفيفا (فحشر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) في المقام الذي اجتمعوا فيه معه (فقال أنا ربكم الأعلى) لا رب فوقي وكانت لهم أصنام يعبدونها (فأخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لأن أخذ بمعنى نكل كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة أي الإحراق



(والأولى) أي الإغراق أو نكال كلمتيه الآخرة وهي أنا ربكم الأعلى والأولى وهي ما علمت لكم من إله غيري وبينهما أربعون سنة أو ثلاثون أو عشرون (إن في ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) يا منكري البعث (أشد خلقا) خلقا وإنشاء (أم السماء) مبتدأ محذوف الخبر أي أم السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) أي الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس سراجها (والأرض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفي عام ثم فسر البسط فقال

---

يا محمد وذلك أنه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به (إذ ناداه ربه بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أي علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد أن لا إله إلا الله (وأهديك إلى ربك) أي أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعني عقابه وإنما خص فرعون بالذكر وإن كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لأن فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فأراه) أي أرى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعني اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعني فرعون بأنها من الله (وعصى) أي تمرد وأظهر التجبر (ثم أدبر) أي أعرض عن الإيمان (يسعى) يعمل الفساد في الأرض (فحشر) أي جمع قومه وجنوده (فنادى) أي لما اجتمعوا (فقال) يعني فرعون لقومه (أنا ربكم الأعلى) أي لا رب فوقي وقيل أراد أن الأصنام أرباب وهو ربها ورب ربهم (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي عاقبه فجعله عبرة لغيره بأن أغرقه في الدنيا ويدخله في النار في الآخرة وقيل أراد بالآخرة والأولى كلمتي فرعون وهما قوله ما علمت لكم من إله غيري وقوله أنا ربكم الأعلى وكان بينهما أربعون سنة (إن في ذلك) أي في الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) أي عظة (لمن يخشى) أي يخاف الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) معناه أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء عندكم في تقديركم وإن كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد لأن خلق الإنسان على صغره وضعفه إذا أضيف إلى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيرا فبين تعالى أن خلق السماء أعظم وإذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خلق السموات والأرض ولا تنكرون ذلك ثم إنه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والأرض فقال تعالى (رفع سمكها) يعني علوها وسقفها وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) أي أتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (وأغطش) أي أظلم (ليلها) والغطش الظلمة (وأخرج) أي وأظهر وأبرز (ضحاها) أي نهارها وإنما عبر عن النهار بالضحى لأنه أكمل أجزاء النهار في النور والضوء وإنما أضاف الليل والنهار إلى السماء لأنهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي في السماء ثم وصف كيفية خلق الأرض فقال تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) أي بسطها ومدها قال أمية بن أبي الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وأنت على طيها قادر

فإن قلت ظاهر هذه الآية يقتضي أن الأرض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى في حم السجدة ثم استوى إلى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معنى ثم قلت خلق الله الأرض أولا مجتمعة ثم

(أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلأها وقد المرمدخل العاطف على أخرج أو أخرج حال بإضمار قد (والجبال أرساها) أثبتها وانتصاب الارض والجبل بإضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولانعامكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم (فإذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التى تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب وهى النفخة الثانية أو الساعة التى تساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا جاءت أى اذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ما سعى) مصدرية أى سعيه أو موصولة (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء لظهورها ظهورا بينا (فأما) جواب فاذا أى اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فان الجحيم هى المأوى) المرجع أى مأواه والالف واللام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هى المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) أى علم أن له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤدى أى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هى المأوى) أى المرجع (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أى اقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم أنت من ذكراها) فى أى شىء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به أى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شىء كقولك ليس فلان من العلم فى شىء أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها أى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره أو فيم انكار لسؤالهم عنها أى فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت آخر الانبياء علامة من علاماتها لسؤالهم عنها ولا يبعد أن يوقف على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكراها متصل بالسؤال أى يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أنت من ذكراها ثم استأنف فقال الى ربك منتهاها (انما أنت منذر من يخشاها) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر أهوالها من يخاف شدائدها (كأنهم يوم يرونها) أى الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا عشية أو ضحاها) أى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم وانما أضاف الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوما كاملا ولكن أحد طرفى النهار والله أعلم

سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بعدى مدها و بسطها انا ناخصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم أى مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها) أى فجر من الارض عيونها ومرعاها أى رعيها وهو ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعى للانسان على سبيل التجوز (والجبال أرساها) أى أثبتها (متاعا لكم ولانعامكم) أى الذى أخرج من الارض هو منفعة لكم ولانعامكم ۞ قوله عز وجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعنى النفخة الثانية التى فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شىء فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ما سعى) أى ما عمل فى الدنيا من خير أو شر (وبرزت الجحيم لمن يرى) يعنى انه يكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فأما من طغى) أى كفر (وآثر الحيوة الدنيا) أى على الآخرة (فان الجحيم هى المأوى) أى لمن هذه صفته (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أى المحارم التى يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه حال الحساب فيتركها لذلك (فان الجنة هى المأوى) أى لمن هذه صفته ۞ قوله عز وجل (يسئلونك) أى يا محمد (عن الساعة أيان مرساها) أى متى ظهورها وقيامها (فيم أنت من ذكراها) أى لست فى شىء من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (الى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معنى فيم انكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال ثم قال أنت يا محمد من ذكراها أى من علاماتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (انما أنت منذر من يخشاها) أى انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعنى الكفار (يوم يرونها) أى يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) أى فى الدنيا وقيل فى قبورهم (الا عشية أو ضحاها) فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى أو ضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية أو ضحى وقيل اضافة الضحى الى اليوم اضافة الى يومها كأنه قيل الا عشية أو ضحى يومها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير

﴿تفسير سورة عبس مكية﴾

وهي احدى وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (عبس وتولى) أي كلح وقطب وجهه وتولى أي أعرض بوجهه (أن جاءه الأعمى) يعني ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن زهرة بن رواحة القرشي الفهري من بني عامر بن لؤي واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة ابن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وكان من المهاجرين الأولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففي هذا أنزلت أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (وما يدريك) أي أي شيء يجعلك داريا (لعله يزكى) أي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أو يذكر) أي يتعظ (فتنفعه الذكرى) أي الموعظة (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بما له من المال (فأنت له تصدى) أي تتعرض له وتقبل عليه وتصغي الى كلامه (وما عليك ألا يزكى) أي لا يؤمن ولا يهتدي وانما عليك البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يعني يمشي يعني ابن أم مكتوم (وهو يخشى) أي الله عز وجل (فأنت عنه تلهى) أي تتشاغل وتعرض عنه (كلا) أي لا تفعل بعدها مثلها (انها) يعني الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) أي موعظة للخلق (فمن شاء) أي من عباد الله (ذكره) أي اتعظ به يعني القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل (في صحف مكرمة) يعني القرآن في اللوح المحفوظ (مرفوعة) أي رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السماء السابعة (مطهرة) يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بأيدي سفرة) قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملائكة الكرام

﴿سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (عبس) كلح أي النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لأن جاءه ومحله نصب لأنه مفعول له والعامل فيه عبس أو تولى على اختلاف المذهبين (الأعمى) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين (وما يدريك) وأي شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى (لعله يزكى) لعل الأعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل وأصله يتزكى وأدغمت التاء في الزاي وكذا (أو يذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الأعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذكرى) ذكراك أي موعظتك أي انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك (أما من استغنى) أي من كان غنيا بالمال (فأنت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء في الصاد حجازي (وما عليك ألا يزكى) وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) الله أو الكفار أي أذاهم في اتيانك أو الكبوة كعادة العميان (فأنت عنه تلهى) تتشاغل وأصله تتلهى وروي أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وروي ان الفقراء في مجلس الثوري كانوا أمراء (كلا) ردع أي لا تعد الى مثله (انها) ان السورة أو الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) فمن شاء أن يذكره ذكره وذكر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر ألهمه الله تعالى اياه (في صحف) صفة لتذكرة أي انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح أو خبر مبتدأ محذوف أي هي في صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) في السماء أو مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة أو عما ليس من كلام الله (بأيدي سفرة) كتبة جمع سافر أي الملائكة ينسخون الكتب من اللوح

(كرام) على الله أو عن المعاصي (بررة) أتقياء جمع بار (قتل الإنسان) لعن الكافر أو هو أمية أو عتبة (ما أكفره) استفهام توبيخ أي أي شيء حمله على الكفر أو هو تعجب أي ما أشد كفره (من أي شيء خلقه) من أي شيء حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشيء فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل بإضمار يسر أي ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه أو بين له سبيل الخير والشر (ثم أماته فأقبره) جعله ذا قبر يواري فيه لا كالبهائم كرامة له قبرت الميت دفنته وأقبره الميت أمره بأن يقبره ومكنه منه (ثم إذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) ردع للإنسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان والملاعبد السم في نفسه من ابتداء حدوثه إلى أن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال (فلينظر الإنسان إلى طعامه) الذي يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أنا) بالفتح كوفي على أنه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صببنا الماء صبا) يعني المطر من السحاب (ثم شققنا الأرض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم أي الطعام والفاكهة (وقضبا) رطبة سمي بمصدر قضبه أي قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة (وزيتونا ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الأشجار جمع غلباء (وفاكهة) لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا) مصدر أي منفعة (لكم ولأنعامكم فإذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لأنها تصخ الآذان أي تصمها وجوابه محذوف لظهوره (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لاشتغاله بنفسه أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه) بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح

الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة إلى الأنبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله (كرام) أي هم كرام على الله (بررة) أي مطيعين له جمع بار ﴿ قوله عز وجل (قتل الإنسان) أي لعن الكافر وطرد (ما أكفره) أي ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب أي اعجبوا من كفره وقيل معناه أي شيء حمله على الكفر نزلت هذه الآية في عتبة ابن أبي لهب وقيل في أمية بن خلف وقيل في الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة في كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله تعالى خالقه فقال تعالى (من أي شيء خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعني خلقه أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه وقيل قدره يعني خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما أراده (ثم السبيل يسره) أي سهل له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل أحد ما خلق له وقدر عليه (ثم أماته فأقبره) أي جعل له قبرا يواري فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ممن يلقى للسباع والوحوش والطيور أو أقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبني آدم على سائر الحيوانات ﴿ ثم قال تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أي أحياه بعد موته للبعث والحساب وإنما قال بعد ثم إذا شاء أنشره لأن وقت البعث غير معلوم لأحد فهو إلى مشيئة الله تعالى متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم (كلا) ردع وزجر للإنسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره وإصراره على إنكار التوحيد وإنكار البعث والحساب (لما يقض ما أمره) أي لم يفعل ما أمره به ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فإنه موضع الاعتبار فقال تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) إلى قدرتنا فيه أي كيف قدره ربه ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل إلى مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى (أنا صببنا الماء صبا) يعني المطر (ثم شققنا الأرض شقا) أي بالنبات (فأنبتنا فيها) أي بذلك الماء (حبا) يعني الحبوب التي يتغذى بها الإنسان (وعنبا) يعني أنه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا أتبعه الحب (وقضبا) يعني القت وهو الرطب سمي بذلك لأنه يقتضب أي يقطع في كل الأيام وقيل القضب هو العلف كله الذي تعلف به الدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعني غلاظ الأشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفاكهة) يعني جميع ألوان الفاكهة (وأبا) يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والأنعام وقيل الفاكهة ما يأكله الناس والأب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام روى إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم (خ) عن أنس أن عمر قرأ وفاكهة وأبا فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ثم قال ما كلفنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هدى من الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم) يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم (ولأنعامكم) ثم ذكر أهوال القيامة فقال تعالى (فإذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة سميت صاخة لأنها تصخ أسماع الخلق أي تبالغ في أسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أي أنه لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار الـ

(لكل امرئ منهم يومئذ شأن) في نفسه (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به ويشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من قيام الليل أو من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) أي أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون  ضاحكون مسرورون (وجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها قترة) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) في حقوق الله (الفجرة) في حقوق العباد ولما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا الشمس كورت) ذهب ضوءها من كورت العمامة اذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (واذا النجوم انكدرت) تساقطت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب (واذا العشار) جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة (عطلت) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون ما دونها عطلت بالتخفيف عن اليزيدي (واذا الوحوش حشرت) جمعت من

والسبب في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالأخ يقول ما واسيتني بمالك والأبوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر هابيل من أخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من أمه وابراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقربونهم في الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كأنه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لانهما أقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهما أشد من تعلقه بالابوين (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكلفين وأنهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مشرقة مضيئة من أسفر الصبح اذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من أثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله (ضاحكة) أي عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أي بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم (ترهقها قترة) أي تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان أسفل في الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء (أولئك) أي الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

## ﴿تفسير سورة التكوير مكية﴾

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه الترمذي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اذا الشمس كورت) قال ابن عباس أظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة وأصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر مكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت من السماء وتساقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء نجوما فلا يبقى نجم الا وقع (واذا الجبال سيرت) أي عن وجه الارض فصارت هباء منثورا (واذا العشار) يعني النوق الحوامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تتم سنة وهي أنفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع أهملها أهلها الأزمين لا ذا بها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعني دواب البر (حشرت) أي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم كالطاووس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة

(واذا البحار سجرت) سجرت مكى وبصرى من سجر التنور اذا ملأه بالحطب أى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح فى الجنة والطالح مع الطالح فى النار أو قرنت الارواح بالاجساد أو بكتبها وأعمالها و نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق (سئلت) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت أو لتدل على قاتلها أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أأنت قلت للناس الآية (بأى ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بلا ذنب (واذا الصحف نشرت) نشرت وبالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم (واذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (واذا الجنة أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة ستة منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة الى ما أحضرت لان عامل النصب فى اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) أى كل نفس واضرورة (ما أحضرت) من خير وشر (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس) بالرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج (الكنس) اذ كر راجعا الى أوله والجوارى السيارة (الكنس) الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل و

قال وحشر كل شئ موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها فى بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم أهل النار وقيل سجرت أى يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة قال أبى بن كعب ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت قال تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح وعن ابن عباس قال هى اثنا عشرة خصلة ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ما ذكر بعد هذه و (واذا النفوس زوجت) روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقيل امرئ شيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوج أعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل ردت الارواح الى الاجساد (واذا الموؤدة سئلت) هى الجارية التى دفنت وهى حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أى يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية تدفن البنات خشية العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة فى الجاهلية اذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفيرة وان ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد بقاءها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الابل والغنم فى البادية واذا أراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها فى البئر ثم يهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة فى النار أخرجه أبو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبذلك افتخر به الفرزدق فى شعره

ومنا الذى منع الوائدات ❊ وأحيا الوئيد فلم يوأد

(بأى ذنب قتلت) معناه تسئل الموؤدة فيقال لها بأى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها تقول قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعنى صحائف الاعمال تنشر للحساب (واذا السماء كشطت) وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وأزيلت عمن فيها (واذا الجحيم سعرت) (واذا الجنة أزلفت) أى قربت لاولياء الله (علمت نفس ما أحضرت) من خير أو شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله عز وجل (فلا أقسم) وقد تقدم ذلك فى قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس)

والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب (والليل إذا عسعس) أقبل بظلامه أو أدبر فهو من الأضداد (والصبح إذا تنفس) امتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفساً له مجازاً وجواب القسم (انه) أي القرآن (لقول رسول) أي جبريل عليه السلام وانما أضيف القرآن اليه لانه هو الذي نزل به (كريم) عند ربه (ذي قوة) قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف (عند ذي العرش) عند الله (مكين) ذي جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) أي في السموات يطيعه من فيها أو عند ذي العرش أو عند الله يطيعه ملائكته والمقربون يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه (أمين) على الوحي (وما صاحبكم) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما زعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) بمطلع الشمس (وما هو على الغيب) وما محمد على الوحي (بضنين) ببخيل من الضن وهو البخل لا يبخل بالوحي الى الكهان رغبة في الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئاً مما علم (بظنين) مكي وأبو عمرو وعلي أي بمتهم فينتقص شيئاً مما أوحي اليه أو من الظنة وهي التهمة

(٣٨٣)

ويخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روي عن علي بن أبي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجاريها أي ترجع وراءها في الفلك وتكنس أي تستتر وقت اختفائها وقيل انها تخنس أي تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الظباء وهي رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو أن تأوي الى كناسها وهو الموضع الذي يأوي اليه الوحش (والليل إذا عسعس) أي أقبل بظلامه وقيل أدبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرفي الليل (والصبح إذا تنفس) أي أقبل وبدا أوله وقيل أسفر وفي تنفسه قولان أحدهما أن في اقبال الصبح روحاً ونسيماً فجعل ذلك نفساً على المجاز الثاني أنه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر القسم به أتبعه المقسم عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله تعالى (ذي قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه الى أقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف (عند ذي العرش مكين) أي في المنزلة والجاه (مطاع ثم) أي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) يعني على وحي الله تعالى الى أنبيائه (وما صاحبكم) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا أيضاً من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول أهل مكة وذلك أنهم قالوا انه مجنون وأن ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التي خلق فيها (بالافق المبين) يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام اني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فأين تشاء ان أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني ذلك قال فبمنى قال لا يسعني ذلك قال فبعرفات قال لا يسعني ذلك قال بحراء قال ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشياً عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله جل جلاله حتى يصير كالصعو يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته (وما هو) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائباً عنه من القصص والانباء (بظنين) قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً وهو أجرة الكاهن وقراءة الظاء أولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله

[footnote] قوله كذا في النسخ التي بأيدينا وفي الخطيب قال فبعرفات قال ذاك بالحرى ان يسعني اه مصحح

(وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين أي ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون أعاد لكم من شيء الا عندنا (ان هو الا ذكر للعالمين) ما القرآن الا عظة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (أن يستقيم) أي القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعني ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين

﴿سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) بحثت وأخرج موتاها وجواب اذا (علمت نفس) أي كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) ما عملت من الطاعة (وأخرت) وتركت ولم تعمل أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث (يا أيها الانسان) قيل الخطاب لمنكري البعث (ما غرك بربك الكريم الذي خلقك) أي شيء خدعك حتى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث أتم عليك بالخلق الصورة والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضي الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لو خوطبت أقول غرتني ستورك المرخاة وعن يحيى بن معاذ أقول غرني برك بي سالفا وآنفا (فسواك) فجعلك مستوي الخلق سالم (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الا

---

عنه تلك التهمة ولو أراد البخل لبخل وما هو بأنجب (وما هو) يعني القرآن (بقول شيطان رجيم) يعني أن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه (فأين تذهبون) فأين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم (ان هو) يعني ما في القرآن (الا ذكر للعالمين) أي موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) أي يتبع الحق ويقيم عليه ويتمسك به ثم بين أن مشيئة العبد موقوفة على مشيئته فقال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) أعلمهم الله أن المشيئة في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الانفطار مكية﴾

وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ قوله عز وجل (اذا السماء انفطرت) أي انشقت (واذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت (واذا البحار فجرت) أي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (واذا القبور بعثرت) يعني بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء (علمت نفس ما قدمت وأخرت) يعني علمت في ذلك اليوم ما قدمت من عمل صالح أو سيء وأخرت بعدها من حسنة أو سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات وأخرت من الزكوات وهذه أهوال يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أي ما خدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في أبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وأنزل الله هذه الآية وقيل الآية عامة في كل كافر وعاص يقول ما الذي غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة في أول مرة بربك الكريم أي المتجاوز عنك فهو بكرمه لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة رجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من أحد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامني بين يديه وقال ما غرك بي أقول غرني برك بي سالفا وآنفا وقال أبو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض أهل الاشارة وانما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم (الذي خلقك) أي أوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) أي جعلك سويا سالم الأعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) أي عدل خلقك في متناسبة الأعضاء فلم يجعل بعضها أطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن

أبيض وبعضها أسود وبعضها معتدل الخلق غير قبيح ولا كالبهائم وبالتخفيف كوفي وهو بمعنى اعتدلك فكنت معتدل الخلقة متناسبا (في أي صورة ماشاء ركبك) مامزيدة للتوكيد أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ماقبلها لأنها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيها أو بمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور  (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها (يعلمون ماتفعلون) لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين (ان الابرار لفي نعيم) ان المؤمنين لفي نعيم الجنة (وان الفجار لفي جحيم) وان الكفار لفي النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وما هم عنها بغائبين) أي لا يخرجون منها كقوله وما هم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) أي لاتستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن يوم بالرفع مكي وبصري أي هو أو بدل من يوم الدين ومن نصب فباذكر أو باضمار يدانون لان الدين يدل عليه (والامر يومئذ لله) أي لا أمر الالله وحده فهو القاضي فيه دون غيره ﴿سورة المطففين وهي ست وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أي اذا اخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم

الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (في أي صورة ماشاء ركبك) أي في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم وجاء في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ في أي صورة ماشاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك في صورة انسان وان شاء في صورة دابة أو حيوان وقيل في أي صورة ماشاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة وان الصانع والمدبر المختار هو الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (كلا بل تكذبون بالدين) أي بيوم الحساب والجزاء (وان عليكم لحافظين) يعني رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) أي على الله (كاتبين) أي يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ماتفعلون) يعني من خير وشر ﴿ قوله عز وجل (ان الابرار) يعني الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء مافرض الله عليهم واجتناب معاصيه (لفي نعيم) يعني نعيم الجنة (وان الفجار لفي جحيم) روى أن سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المزني ليت شعري مالنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال فأين أجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يصلونها يوم الدين) يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) أي عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى (وما أدراك مايوم الدين) قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أي شيء أعلمك به لولم نعرفك أحواله (ثم ما أدراك مايوم الدين) التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) أي لاتملك نفس كافرة لنفس كافرة شيأ من المنفعة (والامر يومئذ لله) يعني أنه لم يملك الله في ذلك أحدا شيأ كما ملكهم في الدنيا والله أعلم

﴿تفسير سورة المطففين مدنية﴾

في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهي من قوله ان الذين أجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهي قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (ويل) أي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم (للمطففين) يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لايكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشيء اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية وتحمل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون)

من الناس إ... لتة الايصر ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص أي يستوفون على الناس خاصة وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك والضمير المنصوب في (واذا كالوهم أو وزنوهم) راجع الى الناس أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل وأما المثل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم إ كيلهم يعني أن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة أدخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست ألا هذه للتنبيه وفيه انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا أنهم يبعثون ما نقصوا في الكيل والوزن وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب (يوم يقوم الناس) بمبعوثون (لرب العالمين) لامره وجزائه وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ هذا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) ردع وتنبيه أي ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة ... والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) (لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب

يعني أنهم اذا اكتالوا من الناس من وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس أي اشتروا واستوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم أو وزنوهم) يعني واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم الناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) أي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب ورد الحقوق الى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع ... أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله وأوف الكيل والوزن فان ... يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة (ألا يظن) أي ألا يعلم ويستيقن (أولئك) أي الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعني من قبورهم (لرب العالمين) أي لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال يقوم أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وروي مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من ... الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي أو ميلين قال سليم بن عامر والله ما ... ما يعني بالميل مسافة الارض أو الميل تكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم في ... فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه ۞ قوله عز وجل (كلا) قيل انه ردع ... ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) أي الذي كتبت فيه أعمالهم (لفي سجين) قال ابن عمر هي الارض السابعة السفلى وفيها أرواح الكفار وروى البغوي باسناد الثعلبي عن البراء ... رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش ... شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال أخبرني عن قول الله عز وجل ان كتاب ... سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى الارض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هي تحت الارض السابعة السفلى صخرة خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار ... آخر سلطان ابليس وجاء في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح ... لفي سجين لفي خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه في حبس وضيق شديد (وما أدراك ما سجين) أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين

مرقوم) فإن قلت قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف (٣٨٧) لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب

---

مرقوم) ليس هذا تفسير السجين وإنما هو بيان الكتاب المذكور في قوله إن كتاب الفجار والمعنى أن كتاب الفجار مرقوم أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كأنه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر وقيل مرقوم أي مختوم وهو بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين) وقيل إنه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين أي في ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) أي بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء (وما يكذب به) أي بيوم القيامة (إلا كل معتد) أي متجاوز عن نهج الحق (أثيم) هو المبالغ في الإثم وهو المرتكب الإثم والمعاصي (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أي أكاذيب الأولين قوله عز وجل (كلا) أي لا يؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأصل الران الغلبة ومعنى الآية أن الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع الله على القلب وهو أشد من الرين والإقفال أشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى أنه يغشى القلب شيء فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس كما يقولون إن لهم في الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل إن الله لا ينظر إليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف لأنا حملناه على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فإن من حجب عن الله فإن الله لا ينظر إليه برحمة ولا يزكيه والذي ذهب إليه أكثر المفسرين أنهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو [illegible] الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر أنه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقال في قوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على أن أولياء الله يرون الله عز وجل وعنه لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون

---

(ويل يومئذ) يوم يخرج المكتوب (للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء والحساب (وما يكذب به) بذلك اليوم (إلا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) مكتسب للإثم (إذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير الأولين) أي أحاديث المتقدمين وقال الزجاج أساطير أباطيل واحدها أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث (كلا) ردع للمعتدي الأثيم عن هذا القول (بل) نفي لما قالوا ووقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم أي غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصي وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبي سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما

---

[illegible] فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (إنهم عن ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج في الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم وإلا لا يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في العقبى عن رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لأنهم في الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا في الآخرة عن كرامته مجازاة والأول أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها

(ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) أى هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) ما كتب من أعمالهم والابرار المطيعون الذين لا يطغون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لا يؤذى الذر (لفى عليين) هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى به لانه سبب الارتفاع الى أعلى الدرجات فى الجنة أو لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث تسكن الكروبيون تكريما له (وما أدراك) ما الذى أعلمك يا محمد (ما عليون) أى شئ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء اذا رفع (ان الابرار لفى نعيم) تنعم فى الجنان (على الارائك) الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى أعدائهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا أمر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه أو ختامه مسك مقطعه رائحة مسك أى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه خاتمه على (وفى ذلك) الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيآت (ان ... (ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها أرفع شراب فى الجنة أو تأتيهم من فوق وتنصب فى أوانيهم (عينا) حال أو نصب على المدح (يشرب بها) أى منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين

النار فقال عز من قائل (ثم انهم لصالوا الجحيم) أى لداخلو النار (ثم يقال) أى تقول لهم الخزنة (هذا) أى هذا العذاب (الذى كنتم به تكذبون) يعنى فى الدنيا (كلا) أى ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا أى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار لفى عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) تنبيها له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا للعليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم فى عليين فيه ما أعد الله لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعليون محل الملائكة وسجين وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون أى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن ۞ قوله تعالى (ان الابرار) يعنى المطيعين لله (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهى الاسرة فى الحجال (ينظرون) أى الى ما أعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى أعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) يعنى انك اذا رأيتهم تعرف أنهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب (يسقون من رحيق) يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم) يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الايدى الى أن يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خمر والنهر لا يختم فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل أن يكون المذكور فى هذه الآية فى أوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها (ختامه مسك) أى طينته التى ... مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم أى ممزوج ختامه أى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشئ النفيس تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن ويبخل (ومزاجه من تسنيم) أى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه أعلاه وقيل ... اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (عينا يشرب بها) أى منها وقيل يشرب بها (المقربون) أى صرفا ۞ وقوله عز

(۷۷۸)

(وأذنت لربها) في انقيادها لله وعليها (وحقت) وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورة التكوير والانفطار وجوابه ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه (يا أيها الإنسان) خطاب للجنس (إنك كادح إلى ربك كدحا) جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكدح فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح إن خيرا فخير وإن شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (٣٩٠) (فأما من أوتي كتابه بيمينه) أي كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات وفي الحديث من يحاسب يعذب فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض ومن نوقش في الحساب عذب (وينقلب إلى أهله) إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين (مسرورا) فرحا (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك (ويصلى) عراقي غير علي (سعيرا) أي ويدخل جهنم (إنه كان) في الدنيا (في أهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا (إنه ظن أن لن يحور) لن يرجع إلى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت تفسيره حتى سمعت أعرابية تقول لبنيها حوري أي ارجعي (بلى) إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن (إن ربه كان به) وبأعماله لا يخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها (فلا أقسم بالشفق) فأقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (والليل وما وسق) جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم أو ما عمل فيه من التهجد وغيره (والقمر إذا اتسق) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لتركبن) أيها الناس على إرادة الجنس

الأشياء يرى الإنسان الثواب أو العقاب وقيل جوابه يا أيها الإنسان إنك كادح والمعنى إذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) أي ساع إليه في عملك سعيا والكدح عمل الإنسان وجهده في الأمر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه إنك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى أن هذا الكدح يستمر بك إلى الموت وقيل معناه إنك تكدح في دنياك كدحا تصير به إلى ربك (فملاقيه) أي فملاق جزاء عملك خيرا كان أو شرا وقيل فملاق ربك (فأما من أوتي كتابه بيمينه) يعني ديوان عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف الطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن أبي مليكة أن عائشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب (وينقلب إلى أهله) يعني في الجنة من الحور العين والآدميات (مسرورا) أي بما أوتي من الخير والكرامة (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) يعني أنه تغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعو ثبورا) يعني عند إعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم أنه من أهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه (ويصلى سعيرا) أي ويقاسي التهاب النار وحرها (إنه كان في أهله) يعني في الدنيا (مسرورا) يعني باتباع هواه وركوب شهواته (إنه ظن أن لن يحور) أي أن لن يرجع إلينا ولن يبعث والحور الرجوع (بلى) أي ليس الأمر كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ويحاسب (إن ربه كان به بصيرا) أي من يوم خلقه إلى أن يبعثه ۞ قوله عز وجل (فلا أقسم بالشفق) تقدم الكلام في تفسير لا أقسم في سورة القيامة وأما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله ودليل ذلك أنه عطف عليه الليل فيجب أن يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار قال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبي حنيفة (والليل وما وسق) أي جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد فيجوز أن يقسم به (والقمر إذا اتسق) أي اجتمع وتم نوره وذلك في الأيام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر القسم به أتبعه المقسم عليه فقال تعالى (لتركبن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى

لعطاء الطبق ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ... الطبق أي لا يطابقه ومنه قيل
أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها ... أحوال هي طبقات في الشدة بعضها
الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزا لطبق وقال مكحول في كل عشرين ... على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا للطبق أو حال من



عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه وبفتح

لتركبن يا محمد (طبقا عن طبق) يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك به ليلة أسري به فاصعده سماء بعد سماء
وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن
عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر
والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن
بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال وأمرا بعد أمر وذلك في
موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن
عباس يعني الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم
غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم (ق) عن أبي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم وأحوالهم شبرا بشبر وذراعا بذراع
حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الآية انه أراد به
السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى أخرى (فما لهم
لا يؤمنون) يعني بالبعث والحساب وحواسه بهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعني
لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة أحد سجدات
القرآن عند الشافعي ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت
فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه
ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت (بل الذين
كفروا يكذبون) يعني بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب
(فبشرهم بعذاب أليم) يعني على عنادهم وكفرهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)
يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة البروج﴾

﴿وهي مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمسة وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثني عشر واقسم بها لما فيها من عجيب
حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج
الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة
والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن
يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر الا أعاذه الله منه أخرجه الترمذي وضعفه أحد رواته من

البائكي وعلي وحمزة
والخطاب له عليه السلام
أي طبقا من طباق السماء
بعد طبق أي في المعراج
(فما لهم لا يؤمنون) فما لهم
في أن لا يؤمنوا (واذا قرئ
عليهم القرآن لا يسجدون)
لا يخضعون (بل الذين
كفروا يكذبون) بالبعث
والقرآن (والله أعلم بما
يوعون) بما يجمعون في
صدورهم ويضمرون من
الكفر وتكذيب النبي
صلى الله عليه وسلم أو بما
يجمعون في صحفهم من
أعمال السوء ويدخرون
لانفسهم من أنواع العذاب
(فبشرهم بعذاب أليم)
أخبرهم خبرا يظهر أثره على
بشرتهم (الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات) استثناء
منقطع (لهم أجر غير ممنون)
أي غير مقطوع أو غير
منقوص والله أعلم
﴿سورة البروج مكية وهي
اثنتان وعشرون آية﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(والسماء ذات البروج) هي
البروج الاثنا عشر وقيل
النجوم وعظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد
بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما في قوله علمت نفس ما أحضرت
كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت أقاويل ... ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف
المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيامة أو عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم أو أمة محمد وسائر الامم أو الحجر الاسود
والحجيج أو الايام والليالي وبنو آدم والحديث ما من يوم الا وينادي أنا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد فاغتنمني ولو غابت شمسي لم تدركني

الى يوم القيامة أو الحفظة وبنو آدم أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا أو الانبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل

عليه (قتل أصحاب الاخدود) أي  لعن كأنه قيل أقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الاخدود

وهو جمع خد أي شق عظيم في الارض روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع

يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فألقي الصبي و...

قيل حفظوه هذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود أي عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أي عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أي لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتني قال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي فقال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني انه قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني به فانك ان فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس

قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبري فإنك على الحق هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وفي هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع إلى الدين وفيه إنقاذ النفس من الهلاك والأكمه هو الذي خلق أعمى والمئشار بالياء وتخفيف الهمزة وروي بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر أعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الأولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت والصعيد هنا الأرض البارزة والسكك الطرق والأخدود الشق العظيم في الأرض وأقحموه أي ارموه فيها وتقاعست أي تأخرت وكرهت الدخول في النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه يسلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه إن رجلا كان قد بقي على دين عيسى فوقع إلى نجران فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخد الأخدود وحرق اثني عشر ألفا ثم غلب أرياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر إن خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن تامر واضعا يده على ضربة في رأسه إذا أميطت يده عنها انبعثت دما وإذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم [illegible] ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن أبزى لما انهزم أهل إسفندهار قال عمر بن الخطاب أي شيء يجري على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب فقال علي بن أبي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه المخرج منه أن تخطب الناس وتقول إن الله قد أحل نكاح الأخوات فإذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقر به ما جاءنا به من نبي ولا أنزل علينا في كتاب فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فجرد [illegible] أن يقروا به فخد لهم الأخدود وأوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب أطلقه وروي عن علي قال كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة إلى قومه ثم قرأ علي ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه أناس فقاتلهم فقتل أصحابه وأخذ من أفلت منهم فأوثقوه ثم خدوا أخدودا فملؤها نارا فمن تبع ذلك النبي رمي فيها ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا أماه قعي ولا تقاعسي وقيل كانت [illegible] ثلاثة واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار فأما التي بالشام فهو [illegible] الرومي وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون أنهم أصحاب دانيال وأما التي باليمن فذو نواس فأما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وأنزل في التي بنجران اليمن وذلك أن هذه القصة [illegible] ل مكة فذكر الله تعالى ذلك لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم بذلك الصبر وتحمل المكاره في الدين ﴿ وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لأمر تلك النار قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى

(النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بأنها عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس

(إذ) ظرف لقتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) أي الكفار على ما يدنو منها من حافات الأخدود (قعود)
جلوس على الكراسي (وهم) أي الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الإحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم
لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب وفيه حث المؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا) وما عابوا منهم
وما أنكروا إلا الإيمان كقوله * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * وقوله * ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا * وقرئ نقموا
بالكسر والفصيح هو الفتح (بالله العزيز الحميد) ذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا
منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (٣٩٤) (الذي له ملك السموات والأرض) فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع

له تقريرا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم (والله على كل شيء شهيد) وعيد لهم يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) في الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) في الدنيا لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أي بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين في الآخرة

لكفرهم ولفتنتهم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) أي الذين صبروا على عذاب
تعذيب الأخدود أو هو عام (إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد أخذ الظلمة والجبابرة
بالعذاب والانتقام (إنه هو يبدئ ويعيد) أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد أن صيرهم ترابا دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة
أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافي عن
الذنوب (الودود) المحب لأوليائه وقيل الفاعل لأهل الطاعة ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر
حمزة وعلي على أنه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فعال) خبر مبتدأ محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون
دلالة خلق أفعال العباد (هل أتاك حديث الجنود) أي قد أتاك خبر الجموع الطاغية في الأمم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود

---

من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم (إذ هم عليها قعود) أي جلوس عند الأخدود (وهم)
يعني الملك الذي خد الأخدود وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) أي من عرضهم على النار وإرادتهم أن
يرجعوا إلى دينهم (شهود) أي حضور وقيل يشهدون أن المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما
نقموا منهم) قال ابن عباس ما كرهوا منهم (إلا أن يؤمنوا بالله) وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا إلا إيمانهم
بالله (العزيز) يعني أن الذي يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذي لا يغالب ولا يدافع (الحميد)
يعني الذي يستحق أن يحمد ويثنى عليه وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذي له ملك السموات
والأرض) أي فهو المستحق للعبادة (والله على كل شيء) أي من أفعالهم بالمؤمنين (شهيد) وفيه وعد عظيم
للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين * قوله عز وجل (إن الذين فتنوا) أي عذبوا وأحرقوا (المؤمنين
والمؤمنات) أي بالنار (ثم لم يتوبوا) أي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على أنهم لو تابوا
وآمنوا لقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وأن الله تعالى يقبل منهم التوبة وأن توبة القاتل مقبولة وإنهم
إن لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعني لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق
بما أحرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين
ارتفعت إليهم من الأخدود فأحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الآخرة ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال تعالى (إن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) * قوله عز وجل (إن
بطش ربك لشديد) قال ابن عباس إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد (إنه هو يبدئ ويعيد) أي
يخلقهم أولا في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم في القيامة (وهو الغفور) يعني لذنوب
جميع المؤمنين (الودود) أي المحب لهم وقيل المحبوب أي يوده أولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود أن يغفر
وقيل هو المتودد إلى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش) أي خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على أنه صفة الله
تعالى لأن المجد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق إلا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على أنه صفة
للعرش أي السرير العظيم إذ لا يعلم صفة العرش وعظمته إلا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد
قيل إن العرش أحسن الأجسام ثم قال الله تعالى (فعال لما يريد) يعني أنه لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه شيء
وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل أولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك
مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر (هل أتاك) أي قد أتاك (حديث الجنود) أي خبر الجموع
الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعني وقومه (وثمود) وكانت قصتهم

يقرعون آباءه والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود الرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا في تكذيب) واستيجاب العذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) أي عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشيء المحيط به (بل هو) بل هذا الذي كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه أساطير الاولين (في لوح محفوظ) من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن أي من التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شيء يلوح للملائكة فيقرؤنه وعند ابن عباس رضي الله عنهما هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شيء فيه مسطور مقاتل هو على يمين العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك كريم والله أعلم

﴿سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء في أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب أي المضيء كأنه يثقب الظلام فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق أو لانه يطرق الجني يمكه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) لما ان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون ان نافية أي ما الا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة أي ان كل نفس لعليها لحافظا يحفظها من الآفات أو عملها أو رزقها وأجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيهما كانت فهي مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر ان على كل نفس حافظا أمره بالنظر في أول أمره من أين أتى ليعلم صحة اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام أي من أي شيء

عند أهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) أي من قومك يا محمد (في تكذيب) يعني لك والقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن أهلك منهم (والله من ورائهم محيط) أي عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) أي كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة (في لوح محفوظ) قرئ بالرفع على أنه نعت للقرآن يعني ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على أنه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه نسخ الكتب وسمي محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الطارق﴾

وهي مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والسماء والطارق) قيل نزلت في أبي طالب وذلك انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب أبو طالب فأنزل الله والسماء والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق ❊ نمشي على النمارق

ثم بين أنه نجم لعلوه وشرفه (وما أدراك ما الطارق) قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه بقوله (النجم الثاقب) أي المضيء المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالي وقيل هو الذي يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه أقسام أقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) يعني ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير أو شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها من المهالك والآفات الى أن يسلمها الى القدر قوله عز وجل (فلينظر الانسان) يعني نظر تفكر واعتبار (مم خلق) أي

(خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع والدفق في الحقيقة لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته
ودفق الماء بنفسه أي انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من
بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان
الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين
القدرة لا يعجز عنه كقوله اني لفقير أي لبين الفقر ونصب (يوم تبلى) أي تكشف برجعه أو بمضمر دل عليه قوله رجعه أي يرجعه يوم تبلى (السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وما أخفي من الاعمال (فما له) فما للانسان (من قوة) في نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه (والسماء ذات الرجع) أي المطر وسمي به لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل يعني انه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح (انهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعملون المكايد في
ابطال أمر الله واطفاء نور الحق (وأكيد كيدا) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون (بنم
فسمي جزاء الكيد كيدا كما سمي جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف
تعالى الا على وجه الجزاء كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فمهل الكافرين) أي لا تدع
تستعجل به (أمهلهم) انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رويدا) امهالا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة
وادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة ﴿سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية﴾

---

من أي شيء خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعني من مني (دافق) أي مدفوق
في الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما (يخرج)
يعني ذلك الماء وهو المني (من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام
الصدر والنحر قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثديي المرأة قيل ان المني يخرج
من جميع أعضاء الانسان وأكثر ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق
كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر
(انه على رجعه لقادر) يعني ان الله تعالى قادر على أن يرد النطفة في الاحليل وقيل قادر على رد الماء في
الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر
الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر
وقيل معناه ان الذي قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو أهون
القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل
تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل
من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل
ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها قال عبد الله بن
يبدي الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من أدى الفرائض كما
كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر (فما له) أي لهذا الانسان
المنكر البعث (من قوة) أي يمتنع بها من عذاب الله (ولا ناصر) أي ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر
تعالى (والسماء ذات الرجع) أي ذات المطر سمي به لانه يجيء ويرجع ويتكرر (والارض ذات الصدع)
أي تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعني القرآن
فصل) أي انه حق وجد يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) أي باللعب والباطل (انهم)
مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعني يحتالون المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا في دار
الندوة وتشاوروا فيه (وأكيد كيدا) يعني أجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا
فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار (فمهل الكافرين) أي لا تستعجل ولا تدع بهلا
ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بامهالهم بين أن ذلك الامهال قليل فقال تعالى (أ
رويدا) يعني قليلا فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة الاعلى﴾

وهي مكية وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (سبح اسم ربك الأعلى) أي قل سبحان ربي الأعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربي الأعلى ذكره البغوي بإسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الأعلى بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح أي صل بأمر ربك الأعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم أخرجه أبو داود (الذي خلق فسوى) أي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الإنسان مستوياً معتدل القامة (والذي قدر فهدى) قيل قدر الأرزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى أي عرف كيف يأتي الذكر الأنثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه إلى الخروج منه وقيل قدر السعادة والشقاوة لأقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدره عليه وقيل قدر الخير والشر وهدى إليهما وقيل قدر أي أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه وهدى الأنعام وسائر الحيوانات إلى مراعيها وهو قوله تعالى (والذي أخرج المرعى) أي أنبت العشب وما ترعاه الأنعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك (فجعله) يعني المرعى بعد الخضرة (غثاء) أي هشيماً يابساً بالياً كالغثاء الذي تراه فوق السيل (أحوى) أي أسود بعد الخضرة وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس اسود ۞ قوله عز وجل (سنقرئك) أي نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعني ما يقرأ عليك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل جبريل بالوحي لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئاً بعد ذلك (إلا ما شاء الله) يعني أن تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه إلا ما شاء الله أن تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت أسقطتهن من سورة كذا أخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسيه شيئاً (إنه يعلم الجهر) يعني من القول والفعل (وما يخفى) يعني منهما والمعنى أنه تعالى يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) أي نهون عليك أن تعمل خيراً ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الأول والمعنى أنه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل إذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤه في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) أي عظ بالقرآن (إن نفعت الذكرى) أي مدة نفع الموعظة والتذكير والمعنى عظ أنت وذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع إنما عليك البلاغ (سيذكر من يخشى) أي سيتعظ من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) أي

---

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (سبح اسم ربك الأعلى) نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة ... الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو بالمكان وقيل قل سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم (الذي خلق فسوى) أي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتاً غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم حكيم أو سواه على ما فيه منفعة ومصلحة (والذي قدر فهدى) أي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به أو فهدى وأضل ولكن حذف واكتفى كقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء قدر على (والذي أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابساً هشيماً (أحوى) أسود وأحوى صفة لغثاء (سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (إلا ما شاء الله) أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شيء إلا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوي جنيداً عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا أي فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته (إنه يعلم الجهر وما يخفى) أي إنك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما دعاك إلى الجهر أو ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله إنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة (فذكر) عظ بالقرآن (إن نفعت الذكرى) جواب إن مدلول فذكر وقيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على الإطلاق كقوله فذكر إنما أنت مذكر غير مشروط بالنفع (سيذكر) سيتعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها

الذكرى ويتباعد عنها (الاشقى) أي في علم الله تعالى (الذي يصلى النار الكبرى) أي النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) أي في النار فيستريح (ولا يحيى) أي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل (قد أفلح من تزكى) أي تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله قاله ابن عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فأخرج فانما نزلت هذه الآية في هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وأنت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدري أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو أنه كان في علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فأخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد وقوله عز وجل (بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى) يعني ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وأنتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الأشجعي كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة نعتت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان أريد بذلك الكفار فالمعنى يؤثرون الدنيا على الآخرة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة وان أريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة وهو خير وأبقى (ان هذا) أي الذي ذكر من قوله قد أفلح من تزكى الى هنا وهو أربع آيات (لفي الصحف الاولى) أي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وايثار الدنيا وان الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعني ان هذا القدر المذكور في صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في جميع صحف الأنبياء التي منها صحف ابراهيم وموسى لأن هذا القدر المذكور في هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه * عن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت المسجد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتين تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الأثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعة ركعة أخرجه الترمذي والنسائي وعن عبد العزيز بن جريج

(الاشقى) الكافر أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الذي يصلى النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة تنفعه وقيل ثم لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح (فصلى) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبي عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وأبقى) أفضل في نفسها وأدوم (ان هذا لفي الصحف الاولى) هذا اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى أي ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف أو الى ما في السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفي صحف ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه

قال سألنا عائشة بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك
الاعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائي
والترمذي وقال حديث حسن غريب والله أعلم

﴿تفسير سورة الغاشية﴾

﴿وهي مكية وست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (هل أتاك) أي قد أتاك يا محمد (حديث الغاشية) يعني القيامة سميت غاشية لأنها تغشى كل
[شيء] بأهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة
(خاشعة) يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولأن الوجه أشرف أعضاء الانسان فعبر
به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان
وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة بل يدخلون النار يوم
القيامة ومعنى النصب الدؤب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما
الرواية الاولى فانها تختص بمن أحدث في دين الاسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه
وأما الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل في دين الاسلام أو غير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن
بأمر نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة
ناصبة في النار لانهم لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن
ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار
[و]يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى (تصلى نارا حامية) قال ابن عباس قد حميت
[فهي] تتلظى على أعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم
مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيسقون اليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر
[طعامهم فقا]ل تعالى (ليس لهم طعام الا من ضريع) قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش
[الشبرق فا]ذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه
[دابة] وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في
[الحدي]ث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد
[حرا من] النار قال أبو الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من
[العذ]اب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا
[يجيزون] الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة
[ولا مري]ئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى
[وسقوا] ماء حميما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على
[الضري]ع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه ما دام رطبا فاذا يبس لا تأكله فأنزل الله تعالى (لا يسمن ولا يغني من
[جوع]) يعني أن هذا الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الانسان على أكله فهو اذا لا يسمن

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿هل
[أتاك حديث الغاشية﴾ الداهية التي تغشى] الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة وقيل النار من قوله وتغشى
وجوههم النار (وجوه [يومئذ]) أي وجوه
الكفار وانما خص الوجه
لان الحزن والسرور اذا
استحكما في المرء أثرا
في الوجه (يومئذ) يوم اذ
غشيت (خاشعة) ذليلة لما
اعترى أصحابها من الخزي
والهوان (عاملة ناصبة)
تعمل في النار عملا تتعب
فيه وهو جرها السلاسل
والاغلال وخوضها في النار
كما تخوض الابل في الوحل
وارتقاؤها دائبة في صعود
من نار وهبوطها في حدور
منها وقيل عملت في الدنيا
أعمال السوء والتذت بها
وتنعمت فهي في نصب
منها في الآخرة وقيل هم
أصحاب الصوامع ومعناه أنها
خشعت لله وعملت ونصبت
في أعمالها من الصوم
الدائب والتهجد الواصب
(تصلى نارا حامية) تدخل
نارا قد أحميت مددا طويلة
فلا حر يعدل حرها تصلى
أبو عمرو وأبو بكر (تسقى
من عين آنية) من عين ماء
قد انتهى حرها والتأنيث
في هذه الصفات والافعال
راجع الى الوجوه والمراد
أصحابها بدليل قوله (ليس
لهم طعام الا من ضريع)
وهو نبت يقال له الشبرق
فاذا يبس فهو ضريع
[وللع]ذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية
[وبين قوله ولا] طعام الا من غسلين (لا يسمن) مجرور المحل لانه وصف ضريع (ولا يغني من جوع) أي منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما
[اماطة الجو]ع وافادة السمن في البدن

(ووجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة في لين العيش (لسعيها راضية)
رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أدّاهم اليه من الكرامة والثواب (في جنة عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه
(فيها لاغية) أي لغواً أو كلمة ذات  لغو أو نفساً تلغو لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم

لا يسمع فيها لاغية مكي وأبو عمرو ولا تسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وأكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين أيديهم ليتلذذ بها بالنظر اليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة واستند الى الاخرى (وزرابي) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة أو مفرقة في المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بأن ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق
وكذا وعرض الزرابي كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه ... الخالق
الكثرة وطول النمارق هذا الطول وبسط الزرابي هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك في الدنيا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت) طويلة ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ الابل

ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية انه لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع آخر انه لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) أي متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة (لسعيها راضية) أي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حيث أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية) قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل هو العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض (لا تسمع فيها لاغية) أي ليس فيها لغو ولا باطل (فيها عين جارية) على وجه الارض في غير أخدود وقيل تجري حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها فاذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى مواضعها (وأكواب) يعني الكيزان التي لا عرى لها (موضوعة) يعني عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة (ونمارق مصفوفة) يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها بجنب بعض أينما أراد أن يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى (وزرابي) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية (مبثوثة) أي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس ۞ قوله عز وجل (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من أنفس أموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة فقال أما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا خير فيه لانه لا يركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل أعز مال للعرب وأنفسه تأكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة أو للركوب أو للحمل أو للبن أو للأكل وقد اجتمع ... جميع الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويؤكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة أيام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينها ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وا

(والى السماء كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذا الابل (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهي كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابي ويجوز أن يكون المعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل فهي أعز اموالهم وهم لها أكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهي النسل والدر والحمل والركوب والاكل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت في البراري مما لا يرعاه سائر البهائم (فذكر) هم الادلة ليتفكروا فيها (انما أنت مذكر) ليس عليك الا التبليغ (لست عليهم بمسيطر) بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار بمسيطر مدني وبصري وعلي وعاصم (الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء منقطع أي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (ان الينا ايابهم) رجوعهم وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شيء

﴿سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والفجر) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا أسفر أو بصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذي الحجة أو العشر الاول من المحرم أو الاواخر من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها

---

الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من أعظم شيء عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا فذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها من أعجب الحيوانات عندهم (والى السماء كيف رفعت) يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شيء (والى الجبال كيف نصبت) أي على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول (والى الارض كيف سطحت) أي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شيء ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (فذكر انما أنت مذكر) أي فعظ انما أنت واعظ (لست عليهم بمسيطر) أي بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال (الا من تولى وكفر) استثناء منقطع عما قبله ومعناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار أكبر من هذا كله (ان الينا ايابهم) أي رجوعهم بعد الموت (ثم ان علينا حسابهم) يعني جزاءهم بعد الرجوع الينا والله أعلم

﴿تفسير سورة الفجر وهي مكية وتسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية﴾

﴿ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والفجر) أقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها ولما فيها من الفوائد الدينية وهي انها دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معاني هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم أقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا انه صلاة الفجر والمعنى انه أقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليال عشر) قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها أيام الاشتغال بأعمال الحج وأخرج

(والشفع والوتر) شفع كل الاشياء ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها أو شفع الصلاة ووترها أو يوم النحر لانه اليوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع أو الخلق والخالق والوتر حمزة وعلى بفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح حجازى والكسر تميمى وبعدما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل) قيل أريد به ليلة القدر (اذا يسر) اذا يمضى وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لاحتى تخدمنى سنة فسأله بعد سنة فقال الليل لا يسرى انما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) أى مقسم به (لذى حجر) عقل سمى به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد هل يحق عنده ان تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها أو هل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه أو هل فى القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) أى ألم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان بأنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات

---

الترمذى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيهن أحب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هى العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وشد مئزره وأيقظ أهله يعنى للعبادة وقيل هى العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن أبى سعيد الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالى العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالى والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكأنه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذا يسر) أى اذا سار وذهب وقيل اذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هى ليلة المزدلفة وهى ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه (هل فى ذلك) أى فيما ذكرت (قسم) مقنع ومكتفى فى القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لذى حجر) أى لذى عقل سمى بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى وأصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق لانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما أقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف تقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك أى ألم تعلم وانما أطلق لفظ الرؤية على العلم لان أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم ﴿ وقوله (ألم تر) للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد (كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) المقصود منه تخويف أهل مكة وكيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء فأما عاد فهم قوم هود

ابن إرم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وأنه أهلك عادا الأولى وإرم هو جد عاد على ما ذكر في نسبه عاد وقيل إن المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بإرم اسم جدهم وقيل إرم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا إليه وهو إرم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبي إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة وكان يقال عاد إرم وثمود إرم فأهلك الله عادا وثمود وأبقى أهل السواد وأهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب إرم ذات العماد دمشق وقيل الإسكندرية وفيه ضعف لأن منازل عاد كانت من عمان إلى حضرموت وهي بلاد الرمال والأحقاف وقيل إن عادا كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فإذا هاج العود ويبس رجعوا إلى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى (التي لم يخلق مثلها في البلاد) وسموا ذات العماد لأنهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد فهو من التشبيه قال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه إلى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فبينا هو يسير في صحارى عدن إذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فإذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقة فإذا في تلك الأزقة أشجار مثمرة وتحت تلك الأشجار أنهار مطردة يجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار فلما أتاه قال له يا أبا إسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي إرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوه بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الأرض ليجدوا أرضا موافقة فوقعوا على صحراء نقية من التلال وإذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التي أمر الملك أن نبني فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليماني وأقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا يعني سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤوا للنقلة إلى إرم ذات العماد وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا إليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم [illegible] وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب [illegible] رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب إبل [illegible] ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ۞ قوله عز وجل (وثمود) أي وفعل بثمود ومثل بعاد (الذين جابوا) أي قطعوا (الصخر) أي الحجر (بالواد) يعني بوادي القرى وكانت ثمود أول من

---

وروي أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر [illegible] بذكر الجنة فقال أبني مثلها فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي مثل عاد في قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بالواد) بوادي القرى

قطعوا الصخر ونحتوه واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا (وفرعون ذي الاوتاد) سمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك كما قيل
* في ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهي امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير أبي فقالت الهي واله أبيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وأقري اني الهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على في ما كفرت بالله عز وجل فأتى بابنتها فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا في المهد صغارا أطفالا وقالت يا أماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام أن ماتت فأسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر على أحد فأيما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك وأعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال أحق ما يقول هذا قال ما رأيت مما يقول شيأ فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وان الهها والهك والهي واله السموات والارض واحد لا شريك له فمزق عليها ثيابها وضربها وأرسل الى أبيها وأمها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك اني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها أبوها آسية ألست من خير نساء العالمين وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها وأدخلها الجنة ۞ قوله عز وجل (الذين طغوا في البلاد) يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فأكثروا فيها الفساد) يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع أقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسامه

(وفرعون ذي الاوتاد) أي ذي الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية (الذين) في محل النصب على الذم أو الرفع على هم الذين أو الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا في البلاد) تجاوزوا الحد (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم

(فصب عليهم ربك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام أى عذابا مؤلما دائما (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) أى ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته فقدر شامى ويزيد (فيقول ربى أهانن) أى الواجب لان ربه بالمرصاد ان يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربى أكرمنى أى فضلنى بما أعطانى فيرى الاكرام فى كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال (٤٠٥) ربى أهاننى فيرى الهوان فى قلة الحظ من الدنيا لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) أى ليس الاكرام والاهانة فى كثرة المال وقلته بل الاكرام فى توفيق الطاعة والاهانة فى الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر فى تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربى أكرمنى وقت الابتلاء وكذا فيقول الثانى خبر لمبتدا تقديره وأما هو اذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما أنكر قوله ربى أكرمن مع أنه أثبته بقوله فأكرمه لانه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده ان الله أعطاه ما أعطاه اكراما له لاستحقاقه كقوله انما أوتيته على علم عندى وانما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) أى بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث) أى الميراث (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وتحبون المال) يقال حبه وأحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص حجازى وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال

الأثم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) يعنى لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون فى الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان أصل السوط خلط الشئ بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته أحد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وأمره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد أعمال بنى آدم والمعنى أنه لا يفوته شئ من أعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقد قيل أرصد النار على طريقهم حتى تهلكهم ﷺ قوله عز وجل (فأما الانسان اذا ما ابتلاه) أى امتحنه (ربه) أى بالنعمة (فأكرمه) أى بالمال (ونعمه) أى بما وسع عليه (فيقول ربى أكرمن) أى بما أعطانى من المال والنعمة (وأما اذا ما ابتلاه) يعنى بالفقر (فقدر عليه) أى فضيق عليه وقيل قتر (رزقه) أى وقد أعطاه ما يكفيه (فيقول ربى أهانن) أى أذلنى بالفقر قيل نزلت فى أمية بن خلف الجمحى الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) أى ليس الامر كذلك أى لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه فأخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله بل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من أصناف المال ليختبره أيشكر أم يكفر ويضيق عليه ليختبره أيصبر أم يضجر ويقلق (بل لا تكرمون اليتيم) أى لا يعطونه حقه الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر أمية ابن خلف فكان يدفعه عن حقه (ولا تحضون على طعام المسكين) أى لا يطعمون مسكينا ولا يأمرون باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (وتأكلون التراث) أى الميراث (أكلا لما) أى شديدا والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون أنصباءهم وقيل الأكل اللم الذى يأكل كل شئ يجده لا يسأل أحلال أم حرام فيأكل الذى له ولغيره (وتحبون المال حبا جما) أى كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبه (كلا) أى لا ينبغى أن يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما أمروا به من اكرام اليتيم وغيره من

(اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعد دك أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه مثل واحد من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس أمره وقضاؤه (والملك صفا صفا) أى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجئ يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو يجرى على حقيقته ففى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) أى يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة أى يا ليتنى قدمت الاعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه أحد) قال صاحب الكشاف لا يعذب أحد أحدا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحدا كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها أبو عمرو فى آخر عمره والضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (يا أيتها النفس) اكراما له كما كلم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبى يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ارجعى الى) موعد (ربك) ثواب ربك.

---

السالفين ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) أى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شئ عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شئ (وجاء ربك) اعلم ان هذه الآية من آيات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال فلا بد من تأويل الآية فقيل فى تأويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الآيات (والملك صفا صفا) أى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وجئ يومئذ) يعنى يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود فى هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعنى يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) أى يتعظ الكافر ويتوب (وأنى له الذكرى) يعنى أنه يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى) أى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة التى لا موت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى لا يعذب أحد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وثاقه أحد) يعنى لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق هو الاسر فى السلاسل والاغلال وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق وثاقه أحد وهو أمية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة) أى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التى قد أيقنت بالله تعالى وبأن الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل [illegible] وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة ابن عبد المطلب حين استشهد بأحد وقيل فى خبيب بن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى رومة وسبلها وقيل فى أبى بكر الصديق والاصح ان الآية عامة فى كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجعى الى ربك) أى الى ما وعدك ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه تحفة من الجنة فيقال اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله [illegible] اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه واذا توفى الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أى من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال [illegible]

(راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلي في عبادي) منتظمة في سلكهم (وادخلي جنتي) معهم وقال أبو عبيدة أي مع عبادي أو بين عبادي أي خواصي كما قال وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي كقراءة عبد الله بن مسعود في جسد عبدي ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل في نعشه ولما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها وقيل نزلت (٤٠٧) في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب الذي

الجنة اخرجي اليهم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي الى ربك أي الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح أن ترجع الى أجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته (راضية) أي عن الله بما أعد لك (مرضية) أي رضي الله عنها وقيل يقال لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلي في عبادي) أي في جملة عبادي الصالحين المطيعين (وادخلي جنتي) قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض أهل الاشارة في تفسير هذه الآية يا أيتها النفس [illegible] الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم

﴿تفسير سورة البلد﴾

وهي مكية وعشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (لا أقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لا أقسم في أول سورة القيامة والبلد هي مكة في قول جميع المفسرين (وأنت حل بهذا البلد) أي مقيم به نازل فيه فكأنه عظم حرمة مكة من أجل أنه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل أي حلال والمعنى أحلت لك تصنع فيها ما تريده من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها أحل الله عز وجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وأحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل في معنى قوله وأنت حل بهذا البلد أي انهم يحرمون أن يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه (ووالد وما ولد) يعني آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء الصالحين من ذريته لأن الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه أيضا في شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وأصل الكبد الشدة وقيل انه خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وعن ابن عباس أيضا قال الكبد

صلبه أهل مكة وقيل هي عامة في المؤمنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

﴿سورة البلد مكية وهي عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أي ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا أو يستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة

والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد أي وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريده من القتل والاسر وذلك أن الله تعالى أحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ونظيره قوله وأنت حل في الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على أنه للاستقبال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (ووالد وما ولد) هما آدم وولده أو كل والد وولده أو ابراهيم وولده وما بمعنى الذي (لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (في كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذي النون لم يزل

الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون للعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشى منكبا وقيل منتصبا رأسه فى بطن أمه فاذا أذن الله فى خروجه انقلب رأسه الى أسفل وقيل فى كبد أى فى قوة نزلت فى أبى الاشد أسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه و يقول من أزالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه الا قطعا و يبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه (أيحسب) يعنى أبا الاشد من قوته (أن لن يقدر عليه أحد) يعنى أيظن لشدته فى نفسه ان لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى (يقول) يعنى هذا الكافر (أهلكت) أى أنفقت (مالا لبدا) أى كثيرا من التلبيد الذى يكون بعضه فوق بعض يعنى فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (أيحسب أن لم يره أحد) يعنى أيظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وقيل كان كاذبا فى قوله انه أنفق ولم ينفق جميع ما ذكر والمعنى أيظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) يعنى ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كى يشكره وجاء فى الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه (وهديناه النجدين) قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين (فلا اقتحم العقبة) أى فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان يكون ذلك خيرا له من انفاقه فى عداوة من أرسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى أعمال الخير والبر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل فى جهنم وقيل هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة) أى وما أدراك ما اقتحام العقبة (فك رقبة) يعنى عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بأن يعتق الرجل الرقبة التى فى ملكه أو يعطى مكاتبا ما يصرفه فى فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أو ليسا واحدا قال لا عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى عتقها والمنحة الوكوف والفئ على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل فى معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التى يصير

مربوطا بحبل القضاء مسدعو الى الاثمار والانتهاء والضمير فى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أبو الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولم يقدر على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وأنه (يقول أهلكت مالا لبدا) أى كثيرا جمع لبدة وهو ما تلبد أى كثر واجتمع يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا يعنى ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يعبر به عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما ثغره و يستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريقى الخير والشر المفضيين الى الجنة والنار وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة

أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا) يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب أو اطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الانفاق على هذا الوجه مرضي نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبداً في الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضي الا مكررة وانما لم تكرر في الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاماً لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد بقوله ما العقبة اقتحامها ومعناه انك لم تدركنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة في مال الكتابة فك رقبة أو أطعم مكي وأبو عمرو وعلي على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة أو اطعام على اقتحامها فك رقبة أو اطعام والسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان قرابتي (٤٠٩) وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق

الى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار (أو اطعام في يوم ذي مسغبة) أي في يوم ذي مجاعة والسغب الجوع (يتيماً ذا مقربة) أي ذا قرابة يريد يتيماً بينك وبينه قرابة (أو مسكيناً ذا متربة) يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى انه ان كان مؤمناً تنفعه هذه القرب وكان مقتحماً العقبة وان لم يكن مؤمناً لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة (وتواصوا بالصبر) يعني وصى بعضهم بعضاً على الصبر على أداء الفرائض وجميع أوامر الله ونواهيه (وتواصوا بالمرحمة) أي برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله (أولئك) يعني أهل هذه الخصال (أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة) يعني مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

## ﴿تفسير سورة الشمس﴾

وهي مكية وخمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (والشمس وضحاها) أي اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها وهذا أضعف الاقوال (والقمر اذا تلاها) أي تبعها لان من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستديرو وذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في أول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكأنه تبعها (والنهار اذا جلاها) يعني جلا ظلمة الليل وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفاً (والليل اذا يغشاها) أي يغشى الشمس

بالتراب فيكون مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة كقولهم هم ناصب أي ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا أي داوم على الايمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) بالتراحم فيما بينهم (أولئك أصحاب الميمنة) أي الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة (والذين كفروا



بآياتنا) بالقرآن أو بدلائلنا (هم أصحاب المشأمة) أصحاب الشمال والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أي الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن (عليهم نار مؤصدة) وبالهمز أبو عمرو وحمزة وحفص أي مطبقة من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته والله أعلم ﴿سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والشمس وضحاها) وضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) تبعها في الضياء والنور وذلك في النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس وأظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم ما ترك على ظهرها من دابة (والليل اذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الاولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف على القسم قيل تمام الاول لا يجوز الا ترى انك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف ومن قال انها للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفاً على عاملين لان قوله والليل مثلاً مجرور بواو القسم واذا يغشى

منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم فلو جعلت الواو في والنهار اذا جلاها للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا جلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فمار كقولك ان في الدار زيدا والحجرة عمرا واجيب بان واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية في (والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها) أي وبنائها وطحوها أي بسطها وتسوية خلقها في أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فألهمها لما فيه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وانما نكرت النفس لانه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس أو أراد كل نفس والتنكير للتكثير كما في علمت نفس (فألهمها فجورها وتقواها) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أي أفهمها ان أحدهما حسن والآخر قبيح (قد أفلح) جواب القسم والتقدير لقد أفلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء (من زكاها) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة

حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسماء وما بناها) أي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كأنه أقسم به وبأعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر أي والسماء وبنائها (والارض وما طحاها) أي بسطها وسطحها على الماء (ونفس وما سواها) أي عدل خلقها وسوى أعضاءها هذا ان أريد بالنفس الجسد وان أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي تعم جميع من خلق من الانس والجن (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتي وما تتقي وقيل ألزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الاسود الديلي قال قال عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله اني لم أرد بما سألتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها (خ) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها وأورد على هذا القول انه يدخل في هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا لا يجوز وأجيب عنه بأن ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد أفلح من زكاها) المعنى لقد أفلح من زكاها أي فازت نفس زكاها الله أي أصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس الشيء اذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله وأضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها

أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ۞ قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) أي بطغيانها وعدوانها والمعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (إذ انبعث أشقاها) أي قام وأسرع وذلك أنهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة لفظ البخاري قوله عارم أي شديد ممتنع ۞ قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) أي ذروا ناقة الله وإنما قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالى لشرفها كبيت الله (وسقياها) أي وشربها أي ذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعني صالحا (فعقروها) يعني الناقة (فدمدم عليهم ربهم) أي فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم أحد (بذنبهم) أي فعل ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) أي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الأمة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) أي لا يخاف الله تبعة من أحد هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع إلى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع إلى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسبب ذلك والله أعلم

﴿تفسير سورة والليل﴾

وهي مكية واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ قوله عز وجل (والليل إذا يغشى) أي يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لأنه سكن لكافة الخلق يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله (والنهار إذا تجلى) أي بان وظهر بعد الظلمة لأن فيه حركة الخلق في طلب الرزق (وما خلق الذكر والأنثى) أي ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقيل أراد به جنس الذكر والأنثى وقيل هما آدم وحواء وإنما أقسم بهما لأنه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى (إن سعيكم لشتى) أي إن أعمالكم لمختلفة عامل في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله موبقها أي مهلكها ۞ قوله تعالى (فأما من أعطى) أي أنفق ماله في سبيل الله عز وجل (واتقى) أي ربه وفيه إشارة إلى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لا إله إلا الله وعنه صدق بالخلف أي أيقن أن الله سيخلف عليه طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذي وعده أن يثيبه (فسنيسره)

(كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (إذ انبعث) حين قام بعقر الناقة قدار بن سالف وكان أشقر أزرق قصيرا وإذ منصوب بكذبت أو بالطغوى (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) نصب على التحذير أي احذروا عقرها (وسقياها) كقولك الأسد الأسد (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا (فعقروها) أي الناقة أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) أهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أي فعل ذلك غير خائف أن تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لأنه فعل في ملكه وملكه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلا يخاف مدني وشامي

﴿سورة الليل احدى وعشرون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والليل إذا يغشى) المغشي إما الشمس من قوله والليل إذا يغشاها أو النهار من قوله يغشي الليل النهار أو كل شيء يواريه بظلامه من قوله إذا وقب (والنهار إذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والأنثى) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وجواب القسم (إن سعيكم لشتى) إن عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فأما من أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو المثوبة الحسنى وهي الجنة أو بالكلمة الحسنى وهي لا إله

منصوب بالفعل المقدر الذي هو أقسم فلو جعلت الواو في والنهار إذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفاً على الليل جراً وإذا تجلى معطوفاً على إذا يغشى نصباً فصار كقولك إن في الدار زيداً والحجرة عمراً وأجيب بأن واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز إبراز الفعل معها فصارت كأنها العامل لفظاً وتقديراً وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمراً وبكر خالداً فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية في (والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها) أي وبنائها وطحوها أي بسطها وتسويتها خلقها في أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فألهمها لما فيه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وإنما نكرت النفس لأنه أراد نفساً خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس أو أراد كل نفس والتنكير للتكثير كما في علمت نفس (فألهمها فجورها وتقواها) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أي أفهمهما أن أحدهما حسن والآخر قبيح (قد أفلح) جواب القسم والتقدير لقد أفلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضاً عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الأظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء (من زكاها) طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة

---

حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الأقسام الأربعة ترجع إلى الشمس في الحقيقة لأن بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسماء وما بناها) أي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كأنه أقسم بنفسه وبأعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر أي والسماء وبنائها (والأرض وما طحاها) أي بسطها وسطحها على الماء (ونفس وما سواها) أي عدل خلقها وسوى أعضاءها هذا إن أريد بالنفس الجسد وإن أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل إنما نكرها لأنه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من في الأرض من الإنس والجن (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتي وما تتقي وقيل ألزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور وذلك لأن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الأسود الديلي قال قال عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون ظلماً قال ففزعت من ذلك فزعاً شديداً وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لما فيها ومصالح العالم بها وقيل فيه إضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها وأورد على هذا القول بأنه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا لا يجوز وأجيب عنه بأن ما إن فسرت بالمصدرية فلا إشكال وإن فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد أفلح من زكاها) المعنى لقد أفلح من زكاها أي فازت نفس زكاها الله أي أصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أي وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس الشيء إذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله وأضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها

أنت خيرمن زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذبك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ﴿ قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) أى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (اذ انبعث أشقاها) أى قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى أهله مثل أبى زمعة لفظ البخارى قوله عارم أى شديد ممتنع ﴿ قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) أى ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما أضافها الى الله تعالى تشريفا كبيت الله (وسقياها) أى وشربها أى وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعنى صالحا (فعقروها) يعنى الناقة (فدمدم عليهم ربهم) أى فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم أى أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم أحد (بذنبهم) أى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) أى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) أى لا يخاف الله تبعة من أحد فى هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسبب ذلك والله أعلم

﴿ تفسير سورة والليل ﴾

وهى مكية واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (والليل اذا يغشى) أى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله (والنهار اذا تجلى) أى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق فى طلب الرزق (وما خلق الذكر والانثى) أى ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر على خلق الذكر والانثى ... أن أريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما أقسم بهما لانه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) أى ان أعمالكم لمختلفة ... فى فكاك نفسه وساع فى عطبها روى أبو مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله موبقها أى مهلكها ﴿ قوله تعالى (فأما من أعطى) أى ... ماله فى سبيل الله عز وجل (واتقى) أى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغى (وصدق ...) قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف به أى أيقن ان الله سيخلف عليه فى طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذى وعده أن يثيبه (فسنيسره)

(كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (اذ انبعث) حين قام بعقر الناقة ... سالف وكان أشقر أزرق قصيرا والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) نصب على التحذير أى احذروا عقرها (وسقياها) كقولك الاسد الاسد (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فعقروها) أسند الفعل اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) أهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أى فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يخاف مدنى وشامى

﴿ سورة الليل احدى وعشرون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والليل اذا يغشى) المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشى الليل النهار أو كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والانثى) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر من ماء واحد وجواب القسم (ان سعيكم لشتى) ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فأما من أعطى) حقوق ماله ... ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو المثوبة الحسنى وهى الجنة أو بالكلمة الحسنى وهى لا اله ... (فسنيسره)

تردى وهو الهلاك او تردى فى القبر أو فى قعر جهنم أى سقط (ان علينا للهدى) ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى أو أنهمالنا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق (فانذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (الا الاشقى الذى كذب وتولى) الا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الايمان (وسيجنبها) سيبعد منها (الاتقى) المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاة أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة. ويتزكى ان

شقية أو سعيدة فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك أو غيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق وذلك أنه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعنى سعى أبى بكر وأمية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة فرعها فى دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم وان وجدها فى فم أحدهم أدخل أصبعه فى فيه حتى يخرجها فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطينى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة فقال الرجل ان لى نخلا وما فيها أعجب الى منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعها بحش يعنى حائطا له فيه نخل فقال هى لك فأتى أبو الدحداح النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تشتريها منى بنخلة فى الجنة فقال نعم فقال هى لك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصارى صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الآية وهذا القول لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت فى أبى بكر الصديق وأمية بن خلف لان سياق الآيات يقتضى ذلك

قوله عز وجل (وما يغنى عنه ماله) أى الذى بخل به (اذا تردى) أى اذا مات وقيل هوى فى جهنم (ان علينا للهدى) أى ان علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسىء من العسرى أخبرهم أن بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه علينا الهدى والاضلال فاكتفى بذكر أحدهما والمعنى أرشد أوليائى الى العمل بطاعتى وأصرف أعدائى عن العمل بطاعتى وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للآخرة والاولى) أى لنا ما فى الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق (فانذرتكم) أى يا أهل مكة (نارا تلظى) أى تتوقد وتتوهج (لا يصلاها الا الاشقى) يعنى الشقى (الذى كذب) يعنى الرسل (وتولى) أى عن الايمان (وسيجنبها الاتقى) يعنى التقى (الذى يؤتى) أى يعطى (ماله يتزكى) أى يطلب عند الله أن يكون زاكيا

محله بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى [illegible]

قوله زاد مسلم الخ حديث مسلم ما من نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والا وقد كتبت شقية أو سعيدة الخ

لا يطلب بها بمعذرياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري أريد فنزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جمح فقال لامية ألا تتقي الله في هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فقال أبو بكر افعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على الاسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله لا أعتقهما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها وأعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء وإعتاق أبي بكر اياهم وكان اسم أبي بكر عتيقا فقال في ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه ✽ عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما في بلال بسوأة ✽ ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله ✽ شهدت بأن الله ربي على مهل
فان تقتلوني فاقتلوني فلم أكن ✽ لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس ✽ وموسى وعيسى نجني ثم لا تبل
لمن ظل يهوى الغي من آل غالب ✽ على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله عز وجل (وما لاحد) أي عند أبي بكر (من نعمة تجزى) أي من يد يكافئه عليها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) أي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته (ولسوف يرضى) أي يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم

## ﴿تفسير سورة الضحى﴾

وهي مكية واحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والضحى) اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت اني لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك ليلتين أو ثلاثا فأنزل الله عز وجل والضحى

فحل النصب قال أبو عبيدة الأشقى بمعنى الشقي وهو الكافر ... والمؤمن لانه لا يختص بالصلي أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فأراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقي يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد أن يبالغ في صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل وأبو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لا يدخل النار الا كافر (وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه) أي وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا أن يفعل فعلا يبتغي به وجه ربه فيجازيه عليه (الاعلى) هو الرفيع بسلطانه المنيع في شأنه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث المكان فذا آية الحدثان (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار

حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجداً أو النهار
كله لمقابلته بالليل في قوله (والليل اذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ما ودعك ربك وما قلى) ما تركك
منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك روي أن الوحي تأخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أياماً فقال المشركون ان محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين
الله كثيراً والذاكرات يريد والذاكراته  ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف (وللآخرة خير لك
من الاولى) أي ما أعد الله
لك في الآخرة من المقام
المحمود والحوض المورود
والخير الموعود خير مما
أعجبك في الدنيا وقيل وجه
اتصاله بما قبله انه لما كان
في ضمن نفي التوديع والقلى
ان الله مواصلك بالوحي
اليك وانك حبيب الله ولا
ترى كرامة أعظم من ذلك
أخبره أن حاله في الآخرة
أعظم من ذلك لتقدمه على
الانبياء وشهادة أمته على
الامم وغير ذلك (ولسوف
يعطيك ربك) في الآخرة
من الثواب ومقام الشفاعة
وغير ذلك (فترضى) ولما
نزلت قال صلى الله عليه
وسلم اذاً لا أرضى قط وواحد
من أمتي في النار واللام
الداخلة على سوف لام
الابتداء المؤكدة لمضمون
الجملة والمبتدأ محذوف
تقديره ولأنت سوف
يعطيك ونحوه لأقسم
فيمن قرأ كذلك لان
المعنى لأنا أقسم وهذا لانها
اذا كانت لام قسم لا تدخل
على المضارع الا مع نون
التوكيد فيتعين أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على المبتدأ او الخبر ولا بد من تقدير مبتدأ وخبر تعالى
ما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هي لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل ليؤذن
أن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لا تدخل على سوف وذكر أن الجمع بين
حرفي التأكيد والتأخير يؤذن بان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلفه
لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال

والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وأخرجه الترمذي عن جندب قال كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم في غار فدميت أصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان
المرأة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي أم جميل امرأة أبي لهب القول الثاني قال المفسرون سألت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين وأصحاب الكهف فقال سأخبركم غداً ولم يقل ان
شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن أسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه ان جرواً
كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتاً فيه كلب
ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنا عشر يوماً وقال ابن عباس خمسة عشر يوماً وقيل
أربعون يوماً فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى
اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك أشد شوقاً ولكني عبد مأمور فنزل وما نتنزل الا بامر ربك
وأنزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل أراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل كله في قوله والليل
اذا سجى وقيل وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف
والشتاء (والليل اذا سجى) قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شيء بظلامه
وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم أقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى
وجواب القسم قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) أي ما تركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك
وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الآي وقيل معناه وما قلى أحداً من أصحابك ومن هو على دينك
الى يوم القيامة (وللآخرة خير لك من الاولى) أي الذي أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من
الذي أعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل
البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هي الشفاعة في
أمته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم
أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد واسأله ما يبكيك وهو أعلم فأتى جبريل وسأله
فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك
في أمتك ولا نسوءك (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي
دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله
تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً عن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني آت
من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة ان شاء الله

تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً أخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول إنكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وإنا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيري الدنيا والآخرة معاً أولى وذلك أن الله تعالى أعطاه في الدنيا النصر والظفر على الأعداء وكثرة الأتباع والفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة وأعلى دينه وأن أمته خير الأمم وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة ثم أخبر عن حاله صغيراً وكبيراً وقبل الوحي وذكر نعمه عليه وإحسانه إليه فقال عز وجل (ألم يجدك يتيماً) أي صغيراً (فآوى) ألم يجدك الله يتيماً من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدك يتيماً صغيراً حين مات أبوك ولم يخلف لك مالاً ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوي إليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك أن عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب إلى أن قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك إليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (ووجدك ضالاً) أي عما أنت عليه اليوم (فهدى) أي فهداك إلى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها وقال ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفاً من أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة إذ جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالاً نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى إرشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لأنه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه حتى هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيراً في بيان ما أنزل الله إليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الآية ولا يلتفت إلى قول من قال إنه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله إلى الإسلام لأن نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشؤوا على التوحيد والإيمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك أن قريشاً عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك أمر الجاهلية فإنهم لم يجدوا عليه سبيلاً إذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع [illegible] به ويؤكد هذا ما روي في قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبي طالب إلى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما ويؤكده حديث شرح صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وإيماناً وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشري ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دين قومه فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء والله أعلم ۞ قوله عز وجل (ووجدك عائلاً فأغنى) يعني فقيراً فأغناك

(ألم يجدك يتيماً) وهو من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيماً حين مات أبواك (فآوى) أي فآواك إلى عمك أبي طالب وضمك إليه حتى كفلك ورباك (ووجدك ضالاً) أي غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده إلى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع في غي فقد كان عليه السلام من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوماً من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان (ووجدك عائلاً) فقيراً (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم

عالجه بعد موته من الغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عز وجل مسألة وددت أني لم أكن سألته قلت يا رب إنك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى يا رب زاد في رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب فإن قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بإنعامه على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت إنما حسن ذلك لأنه سبحانه وتعالى قصد بذلك أن يقوي قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لأن امتنان الله تعالى زيادة إنعامه كأنه قال ما لك تقطع رجاءك عني ألست الذي ربيتك وآويتك وأنت يتيم صغير أتظن أني تاركك ومضيعك كبيرا بل لا بد وأن أتم نعمتي عليك وقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فأما اليتيم فلا تقهر) أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بأصبعيه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (وأما السائل فلا تنهر) يعني السائل على الباب يقول لا تزجره إذا سألك فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك في وجهه قال إبراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل بريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم فيجب إكرامه وإسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقى بمكروه (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل أراد بالنعمة النبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن أمره أن يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكر لما ذكره من نعمه عليه في هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والإغناء بعد العيلة والفقر أمره أن يشكره على إنعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطي عطاء فليجز به إن وجد فإن لم يجد فليثن عليه فإن من أثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك أن الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله سبحانه

(فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره فابذل قليلا أو رد جميلا وعن السدي المراد طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) أي حدث بالنبوة التي آتاك الله وهي أجل النعم والصحيح أنها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

والله أعلم

﴿تفسير سورة ألم نشرح﴾

وهي مكية وثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ألم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير أي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التي تصد عن ادراك الحق وقيل معناه ألم نفتح قلبك ونوسعه ونملأه بالإيمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره (م) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره (ووضعنا عنك وزرك) أي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية وهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الحمل وقيل معناه عصمناك من الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم أن القول في عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل أو الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيئات المقربين ﴿قوله عز وجل (ورفعنا لك ذكرك) روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بأن قرن اسمه باسمه في قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة وذلك أنه كان في شدة بمكة فقال تعالى (فان مع العسر يسرا) أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به (ان مع العسر يسرا) وانما كرره تأكيدا للوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ألم نشرح لك صدرك) عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى أي فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها وقيل هو زلة لا تعرف بعينها وهي ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبياء يعاتبون عليها ووضعه عنه أن غفر له والوزر الحمل الثقيل (الذي أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعنا لك ذكرك) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد وفي غير موضع من القرآن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين وفائدة ذلك ما عرف في طريقة الإبهام والإيضاح لأنه يفهم بقوله ألم نشرح لك أن ثم مشروحا ثم أوضح بقوله صدرك وكذلك ذكرك وعنك وزرك (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) أي ان مع الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء

أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ التنكير ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر أهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن أن قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا أي لا يحزنك الذي يقولون فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم أنجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين أي ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة انما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم أبدا غير زائل أي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان أي لا يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما في الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت

أرى الموت لمن أصبح مغموما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهواء

ألا يا أيها المرء الذي الهم به برح ۞ وقد أنشد بيتا لم يزل في فكره يسنح
اذا اشتد بك العسر ۞ ففكر في ألم نشرح ۞ فعسر بين يسرين ۞ اذا أبصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عني وقال اسحق بن بهلول القاضي

فلا تيأس اذا أعسرت يوما ۞ فقد أيسرت في دهر طويل ۞ ولا تظنن بربك ظن سوء
فان الله أولى بالجميل ۞ فان العسر يتبعه يسار ۞ وقول الله أصدق كل قيل

وقال أحمد بن سليمان في المعنى

توقع لعسر دهاك سرورا ۞ ترى العسر عنك بيسر تسرى
فما الله يخلف ميعاده ۞ وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره

وكل الحادثات اذا تناهت ۞ يكون وراءها فرج قريب

۞ قوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى

المشركين يسر الجاري إياك عليهم حتى تقليهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا وجيء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة في التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر أعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر أعيد نكرة والنكرة اذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع أمير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع أمير غلاما وان مع أمير غلاما فهما أميران وغلامان كذا في شرح التأويلات (فاذا فرغت فانصب) أي فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء واختلف انه قبل السلام أو بعده ووجه الاتصال بما قبله ... والنصب

قوله وقال أحمد بن سليمان الخ كذا في بعض النسخ وفي بعض آخر وقال سليمان بن أحمد الخ اه مصححه

انما قصد وعليه نعمه الا سالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿سورة والتين مكية وهى ثمان آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والتين والزيتون) أقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روى انه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هى سواكى وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما (وطور سينين) أضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب (وهذا البلد) يعنى مكة (الامين) من أمن الرجل امانة فهو أمين وأمانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين أو الاولان قسم بمهبط الوحى على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليه السلام وجواب القسم (لقد خلقنا الانسان) وهو جنس (فى أحسن تقويم) فى تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه (ثم رددناه أسفل سافلين) أى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله

(١) قوله ونحو سينون بيرون تبع فيه صاحب الكشاف وعبارة أبى السعود وسينون كيبرون اه مصححه

والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لاكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته السبهلل الذى لا شئ معه وقيل السبهلل الباطل (والى ربك فارغب) أى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فى جميع أحوالك لا الى أحد سواه والله أعلم

﴿ تفسير سورة والتين ﴾

وهى مكية وثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة خالصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم وأما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى أغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض ألوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم المكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه أو لكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يأمن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه أقسام أقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) يعنى فى أعدل قامة وأحسن صورة وذلك أنه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فان خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى الى

وابيض شعره بعد سواده وتشنج جلده  وكل سمعه وبصره وقصر كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهادته

الهرم وأرذل العمر فيضعف بدنه وينتقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يردون الى النار أو الى أسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال العقل وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى أرذل العمر على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم وأخبرهم ان لهم أجرهم الذي عملوا وقيل أن تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذ ختم الله له بأحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع له صالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) يعني يا أيها الانسان خطابا على طريق الالتفات (بعد) أي بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) أي بالحساب والجزاء والمعنى أي الذي يلجئك أيها الانسان الى هذا الكذب ألا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى من يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يوم القيامة * عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والطور والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذي وعن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشاء الآخرة فقرأ في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا وقراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

## ﴿تفسير سورة العلق﴾

مكية وهي تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله ما لم يعلم (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها انها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة وفي رواية الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة ما لي وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة أي ابن عم اسمع من ابن

حرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين المعنيين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع أي ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب في (فما يكذبك بعد بالدين) للانسان على طريقة الالتفات أي فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء أو لرسول الله أي فمن ينسبك الى الكذب بعد هذا الدليل فما بمعنى من (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم

﴿سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية﴾

الذى خلق) محل باسم ربك النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك كأنه قيل قل باسم الله ثم اقرأ الذى خلق ولم يذكر لخلق مفعولا لان المعنى الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه أو تقديره خلق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من بعض وقوله (خلق الانسان) تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز أن يراد الذى خلق الانسان الا أنه ذكر مبهما ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) وانما جمع ولم يقل من علقة لان الانسان فى معنى الجمع (اقرأ وربك الاكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الذى علم) الكتابة (بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا أمر القلم والخط لكفى به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى) نزلت فى أبى جهل الى آخر السورة (أن رآه) ان رأى نفسه يقال فى أفعال القلوب رأيتنى وعلمتنى ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين (استغنى) هو المفعول الثانى (ان الى ربك الرجعى) تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أى ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) أى أرأيت أبا جهل ينهى محمدا عن الصلاة

القرآن مستعينا باسم ربك على ما تحمله من النبوة واعباء الرسالة (الذى خلق) يعنى جميع الخلائق وقيل الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وقيل الذى خلق كل شئ (خلق الانسان) يعنى آدم والمعنى خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه أشرفها وأحسنها خلقة (من علق) جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآى أيضا (اقرأ) كرره تأكيدا وقيل الاول اقرأ فى نفسك والثانى اقرأ للتبليغ وتعليم امتك ثم استأنف فقال تعالى (وربك الاكرم) يعنى الذى لا يوازيه كريم ولا يعادله فى الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشئ من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد أن يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض و يستحيل ذلك فى وصفه لانه أكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذى له الابتداء فى كل كرم وا هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل أن يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزى بكل حرف عشر حسنات (الذى علم بالقلم) أى الخط والكتابة التى بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه (علم الانسان ما لم يعلم) قيل يحتمل أن يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من أنواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم ۞ قوله عز وجل (كلا) أى حقا (ان الانسان ليطغى) أى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه (أن) أى لان (رآه استغنى) أى رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة أخرى فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى أبى جهل وكان قد أصاب مالا فزاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه (ان الى ربك الرجعى) أى المرجع فى الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى أبى جهل وذلك أنه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له مالك قال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دنا منى شئ لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية لا أدرى أفى حديث أبى هريرة أو شئ بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وأمره بما أمره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه (خ) عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند البيت لاطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملائكة

(زاد)

زاد الترمذي عبادا ومعنى أرأيت تعجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير في قوله عبدا الدال على أنه كامل العبودية والمعنى أرأيت الذي ينهى أشد الخلق عبودية عن العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك أيضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا أن يأذن فيه المولى والزوج (أرأيت ان كان على الهدى) يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (أو أمر بالتقوى) يعني بالاخلاص والتوحيد (أرأيت ان كذب) يعني أبا جهل (وتولى) أي عن الايمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان أي أعجب من هذا (ألم يعلم) يعني أبا جهل (بأن الله يرى) يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم (كلا) أي لا يعلم ذلك أبو جهل (لئن لم ينته) يعني عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه (لنسفعا بالناصية) أي لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشيء اذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب أي لنضربن وجهه في النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) أي صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل أتنهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال أبو جهل انك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه أي عشيرته وقومه فليستنصر بهم وأصل النادي المجلس الذي يجتمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون أهل النار اليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع (كلا) أي ليس على ما هو عليه أبو جهل (لا تطعه) أي في ترك الصلاة (واسجد) أي صل لله (واقترب) أي من الله (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وهو السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقارئ أن يسجد عند قراءتها يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت أخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

## ﴿تفسير سورة القدر﴾

مدنية وقيل انها مكية والقول الاول أصح وهو قول الاكثرين قيل انها أول ما نزل بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

(أرأيت ان كان على الهدى) أي ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد (أرأيت ان كذب وتولى) أرأيت ان كان ذلك الناهي مكذبا بالحق متوليا عنه كما تقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد وقوله الذي ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا أرأيت وجواب من الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني وهذا كقولك ان أكرمتك أتكرمني وأرأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كلا) ردع لابي جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الاصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بأنها ناصية المذكور (ناصية) بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب والخطا بقوله (كاذبة خاطئة) على الاسناد المجازي وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ (فليدع ناديه سندع الزبانية) النادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادي روي أن أبا جهل مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط واحدها زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابي جهل (لا تطعه) أي اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك بالسجود فان أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد كذا في الحديث والله أعلم

﴿سورة القدر مكية وقيل مدنية وهي خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (انا أنزلناه) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (في ليلة القدر) وذلك أن الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما أنزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الأمور والأحكام والأرزاق والآجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه أنه يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير أي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

﴿فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها﴾ (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية الى يوم القيامة • روي عن عبد الله بن حنيس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان أستقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى هكذا أبدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في أوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري وأحمد واسحق وأبو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة أبدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة وصاحبيه وروي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما انه علم انها في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء انها في رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال أبو رزين العقيلي في أول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون أنها في العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر الاحاديث الواردة في ذلك﴾

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعي الى أنها ليلة احدى وعشرين (ق) عن أبي هريرة أن أبا سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أنزلناه في ليلة القدر) عظم القرآن حيث أسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه روي أنه أنزل جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زر أن أبي بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعي الى اخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة في الجمعة ورضاه في الطاعات وغضبه في المعاصي وفي الحديث من أدركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني

صلى الله عليه وسلم العشر الأواسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع إلى معتكفه وإني أريت هذه الليلة ورأيتني أسجد في ماء وطين فلما رجع إلى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين وفي رواية نحوه إلا أنه قال حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر وورد في فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن ٢ عبد الله بن أنيس قال كنت في مجلس بني سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أرسلني إليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ثلاثا وعشرين أخرجه أبو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال إليه الشافعي أيضا (خ) عن الصنابحي أنه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في أول السبع من العشر الأواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن أنيس قال قلت يا رسول الله إن لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان أبوك يصنع قال كان يدخل المسجد إذا صلى العصر فلا يخرج لحاجة حتى يصلي الصبح فإذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق ببادية أخرجه أبو داود (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني أسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن أنها ليلة أربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في أربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس وإليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت أبي بن كعب يقول وقيل له إن عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر فقال أبي والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان يحلف ولا يستثني فوالله إني لأعلم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين أخرجه أبو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع فقال هي في كل رمضان أخرجه أبو داود وقال ويروى موقوفا عليه

(ذكر ليال مشتركة) عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت أخرجه أبو داود وعن ٣ عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في العشر الأواخر فإني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين أو في سبع يبقين أو في خمس يبقين أو في ثلاث يبقين أو آخر الشهر قال وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فإذا دخل العشر الأواخر اجتهد أخرجه الترمذي (خ) عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة

٢ قوله عبد الله بن أنيس إلى آخر الحديث كذا بالنسخ وبمراجعة أبي داود يعلم ما فيه اهـ مصححه

٣ قوله عتبة كذا في نسخة وفي أخرى عتيبة وفي الترمذي الطبع عيينة اهـ مصححه

والسابعة والثامنة قوله فتلاحى رجلان أي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وإنما أراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين أو في سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال أبو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر أنها ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعي كأن هذا عندي والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي وأقوى الروايات عندي فيها ليلة إحدى وعشرين قال البغوي وإنما أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الأعظم في القرآن في أسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه أنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره (ق) عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه ۞ قوله عز وجل (وما أدراك ما ليلة القدر) أي أي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق إلى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك إلى يوم القيامة وعن مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر أخرجه مالك في الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وإنما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير والبركة ۞ الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعني إلى الأرض وسبب هذا أتجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الأمر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعات والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا إليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا عما قالوه ويستغفروا لهم لما يرون من قد يقع من بعضهم (والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام قاله أكثر المفسرين وفي حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي وقيل إن الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر وقيل إن الروح مع الملائكة تلك الليلة (فيها) أي في ليلة القدر (بإذن ربهم) أي بأمر ربهم (من كل أمر) أي بكل أمر

(وما أدراك ما ليلة القدر) أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن النبي عليه السلام ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي (تنزل الملائكة) إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض (والروح) جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة أو الرحمة (فيها بإذن ربهم من كل أمر) أي تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وعليه وقف

من الخير والبركة وقيل بكل أمر أمره وقضاه من كل أمر الوقت الثالث من قوله تعالى

سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر وقيل الملائكة يمرون فيها كلما مروا بمؤمن ومؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ فقال تعالى سلام (هي) يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أي ان ذلك السلام أو السلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة﴾

﴿وهي مدنية في قول الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) أي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه في دينهم أما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه وأما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون أهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (منفكين) أي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تأتيهم) أي حتى أتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضي (البينة) أي الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فأنقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدي في بسيطه وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وأنا أقول وجه الاشكال أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر أنهم منفكون عماذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال فيما أظن والجواب عنه من وجوه أولها وأحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب أي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ما يقول الفاسق لمن يعظه لست بمنفك عما أنا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله

خبر ومبتدأ أي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة أو ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين فيها لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) أي الى وقت طلوع الفجر بكسر اللام حمزة وعلي وخلف وتقدم من السلام الذين كفروا والله أعلم

﴿سورة البينة مختلف فيها وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض

بعض لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم ودليله قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع كان بخلاف ما ادعوا وادعاها أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وإن جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الآن حتى لغاية حتى يتم هذا البيان من البينة في شيء وذكروها أجوبة غير هذا والمختار هو الأول ثم فسر البينة فقال تعالى (رسول من الله) أي تلك البينة رسول من الله (يتلو) أي يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم (صحفا) أي كتابا يريد ما تضمنه الصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لأنه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب (مطهرة) أي من الباطل والكذب والزور والمعنى أنها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة أي لا ينبغي أن يمسها إلا المطهرون (فيها) أي في الصحف (كتب) أي الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الأحكام (قيمة) أي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة وفيهم فهم بالامر اذا أجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) يعني في أمر محمد صلى الله عليه وسلم (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) يعني جاءتهم البينة في كتبهم أنه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال تعالى (وما أمروا) يعني هؤلاء الكفار (إلا ليعبدوا الله) أي وما أمروا إلا أن يعبدوا الله قال ابن عباس ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين له (مخلصين له الدين) الإخلاص عبارة عن النية وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلا بد وأن يكون منويا فلا بد من اعتبار النية في جميع المأمورات قال أصحاب الشافعي الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منويا فتجب النية في الوضوء وقيل الإخلاص محله القلب وهو أن يأتي بالعمل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى لو أتى بذلك لا لعمل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وإن كان لا بد من ذلك بل يعمل العبد عبادة لمحض العبودية واعترافا له عز وجل بالربوبية وقيل في معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم (حنفاء) أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام وقيل متبعين ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء أي حجاجا وإنما قدمه على الصلاة والزكاة لأن فيه صلاة وإنفاق مال وقيل حنفاء أي مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذي آمن بجميع الأنبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن بأشرف الأنبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف (ويقيموا الصلاة) أي المكتوبة في أوقاتها (ويؤتوا الزكاة) أي المفروضة عند محلها (وذلك) أي الذي أمروا به (دين القيمة) أي الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وإنما أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا إلى الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها أي وذلك دين أصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول إن الإيمان قول وعمل لأن الله تعالى ذكر الاعتقاد أولا وأتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الإسلام والإسلام هو الإيمان بدليل قوله فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين

(رسول من الله) أي محمد عليه السلام وهو بدل من البينة (يتلو) يقرأ عليهم (صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها) في الصحف (كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) فمنهم من أنكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم من آمن وإنما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أولا بينهم وبين المشركين لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف (وما أمروا) يعني في التوراة والإنجيل (إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك ونفاق (حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أي دين الملة القيمة

وجدناه بها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مآل الفريقين فقال تعالى (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فان قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم أعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث أنكروه وكذبوه وصدوا مع العلم به فكانت جنايتهم أعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب لان المشركين أنكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير أنهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفريقين في العذاب قلت لما أراد أهل الكتاب الرفعة في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أذلهم الله في الدنيا وأدخلهم أسفل ... في الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب (في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) أي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) يعني انهم بسبب أعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به أن يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضي ويدبر قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضي الله أعمالهم ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) أي هذا الجزاء والرضا (لمن خشي ربه) أي لمن خاف ربه في الدنيا وانتهى عن المعاصي (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب ان الله أمرني أن أقرئك القرآن قال الله سماني لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه ﴿شرح غريب الحديث﴾ اما بكاء أبي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة ... من وجهين أحدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة ... لم يشاركه فيها أحد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار ... والحكمة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبي فهي ان يتعلم أبي القراءة منه ألفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته ... أي ليتعلم أبي منه لا ليتعلم هو من أبي وقيل انما قرأ على أبي ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف ... الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة أبي والحث على الاخذ عنه ... في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا واماما في القراءة وغيرها وكان أحد علماء ... رضي الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

## ﴿ تفسير سورة الزلزلة ﴾

مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

(ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) وقرأ نافع بهمزهما والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (ذلك) أي الرضا (لمن خشي ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرا وهو التراب ولو كان كذلك لما قرؤا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم

﴿سورة الزلزلة مختلف فيها وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اذا زلزلت الارض زلزالها) أي حركت زلزالها الشديد الذي ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاي فالمكسور مصدر والمفتوح اسم (وأخرجت الارض أثقالها) أي كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من اذا وناصبها (تحدث) أي تحدث الخلق (أخبارها) فحذف أول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفي الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بأن ربك أوحى لها) أي تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها أي اليها وأمره اياها بالتحديث (يومئذ يصدر الناس) يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا طريق الجنة والنار (ليروا أعمالهم) أي جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة) نملة صغيرة (خيرا) تمييز (يره) أي ير جزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا في الكفار والاول في المؤمنين ويروى أن اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال خذا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبي هرشى لهن طريق الدنيا ان جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبي حسبي وهي أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (اذا زلزلت الارض زلزالها) أي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وما عوي وفي وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الاكثرين أنها في الدنيا وهي من أشراط الساعة والثاني أنها زلزلة يوم القيامة (وأخرجت الارض أثقالها) فمن قال ان الزلزلة تكون في الدنيا قال أثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها مثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا أخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها بأقطاع كبدها لان الكبد مستور في الجوف وانما خص الكبد لانها من أطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للاخراج ومن قال ان الزلزلة تكون يوم القيامة قال أثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس الثقلين لان الارض تثقل بهم أحياء وأمواتا (وقال الانسان مالها) أي مالها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان وجهان أحدهما أنه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من يجعل الزلزلة من أشراط الساعة والمعنى أنها حين وقعت لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثاني أنه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من يجعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل بجواب الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الانسان مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير أو شر فتشكو العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له (ق) عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (بأن ربك أوحى لها) أي أمرها بالكلام وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق في الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة وقوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) أي من موقف الحساب بعد العرض (أشتاتا) أي متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف أعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة) أي وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا الا أراه الله اياه يوم القيامة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وولده وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقو

اليسير في عينه وماله ويلومه على حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير قيل نزلت هذه الآية في رجلين
وذلك أنه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه وكان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة
والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشيء وإنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه وكان الآخر
يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر وليس في
هذا إثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم من اليسير
من الذنب فإنه يوشك أن يكثر والإثم الصغير في عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن
مسعود أحكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وسمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمر فقال ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية
الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة
كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت إنما كان غرضهما تعليم الغير وإلا فهما من كرماء
أصحابه رضي الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها
قال حسبي الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

## ﴿تفسير سورة العاديات﴾

وهي مكية في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس وهي إحدى عشرة
آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (والعاديات ضبحاً) فيه قولان أحدهما إنها الإبل في الحج قاله علي كرم الله وجهه هي الإبل
تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى وعنه قال كانت أول غزاة في الإسلام بدراً وما كان معنا
إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون العاديات على هذا القول يكون معنى
ضبحاً مدّ أعناقها في السير وأصله من حركة النار في العود (فالموريات قدحاً) يعني أن أخفاف الإبل ترمي
بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجراً آخر فيوري النار وقيل هي النيران بجمع (فالمغيرات صبحاً)
يعني الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة أن لا يدفع حتى يصبح والإغارة سرعة السير ومنه
قولهم أشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به نقعاً) أي هيجن بمكان سيرها غباراً (فوسطن به جمعاً) أي وسطن
بالنقع جمعاً وهو من مزدلفة فوجه القسم على هذا أن الله تعالى أقسم بالإبل لما فيها من المنافع الكثيرة
وتعريضه بإبل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فإن الكنود هو الكفور ومن لم يحج
بعد الوجوب موصوف بذلك والقول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في
سبيل الله والضبح صوت أجوافها إذا عدت قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات يضبح سوى الفرس
والكلب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من فزع أو تعب وهو من قول العرب ضبحته
النار إذا غيرت لونه فالموريات قدحاً يعني أنها تورى النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج
الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيوري أصحابها
نارهم ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما
والله لأقدحن لك ثم لأورين لك فالمغيرات صبحاً يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لأن الناس
يكونون فيه غافلين عن الاستعداد فأثرن به أي بالمكان نقعاً أي غباراً فوسطن به جمعاً أي دخلن به أي
بالنقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه
السورة أولى بالصحة وأشبه بالمعنى لأن الضبح من صفة الخيل وكذا إيراء النار بحوافرها وإثارة الغبار أيضاً

﴿سورة العاديات مختلف
فيها وهي إحدى عشرة آية﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(والعاديات ضبحاً) أقسم
بخيل الغزاة تعدو فتضبح
والضبح صوت أنفاسها إذا
عدون عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه حكاه
فقال أح أح واتصاب
ضبحاً على يضبحن
(فالموريات) تورى نار
الحباحب وهي ما ينقدح
من حوافرها (قدحاً)
قادحات صاكات بحوافرها
الحجارة والقدح الصك
والإيراء إخراج النار تقول
قدح فأورى وقدح فأصلد
وانتصب قدحاً بما انتصب
به ضبحاً (فالمغيرات)
تغير على العدو (صبحاً)
في وقت الصبح (فأثرن به
نقعاً) فهيجن بذلك الوقت
غباراً (فوسطن به) بذلك
الوقت (جمعاً) من جموع
الأعداء ووسطه بمعنى
توسطه وقيل الضمير
لمكان الغارة أو للعدو الذي
دل عليه والعاديات وعطف
فأثرن على الفعل الذي
وضع اسم الفاعل موضعه
لأن المعنى واللاتي عدون
فأورين فأغرن فأثرن
وجواب القسم

(إن الإنسان لربه لكنود) لكفور أي إنه لنعمة ربه شديد الكفران (وإنه) وإن الإنسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه أو إن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وإنه لحب الخير لشديد) وإنه لأجل حب المال لبخيل ممسك أو إنه لحب المال لقوي وهو لحب عبادة الله ضعيف (أفلا يعلم) الإنسان (إذا بعثر) بعث (ما في القبور) من الموتى وما فيها من (وحصل ما في الصدور) ميز ما فيها من الخير والشر (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذ والله أعلم

(سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدأ الأول وكان حقه ما هي وإنما ذكر تفخيما لشأنها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شيء أعلمك ما هي ومن أين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دل عليه القارعة أي تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبوغ ألوانا لأنها ألوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها (فأما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها

وإنما أقسم الله تعالى بالخيل لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الأجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أي لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقال الكلبي الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الأرض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان وضده الشكور الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة (وإنه على ذلك لشهيد) قال أكثر المفسرين وإن الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة إلى الإنسان والمعنى أنه شاهد على نفسه بما يصنع (وإنه) يعني الإنسان (لحب الخير) أي المال (لشديد) أي لبخيل والمعنى أنه من أجل حب المال لبخيل وقيل معناه وإنه لحب المال وإيثار الدنيا لقوي شديد (أفلا يعلم) يعني هذا الإنسان (إذا بعثر) أي أثير وأخرج (ما في القبور) يعني من الموتى (وحصل ما في الصدور) أي ميز وأبرز ما فيها من الخير والشر (إن ربهم بهم) إنما جمع الكناية لأن الإنسان اسم جنس (يومئذ لخبير) أي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه مجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وإنما خص أعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب فإنه لولا البواعث والإرادات التي في القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله أعلم

﴿تفسير سورة القارعة وهي مكية﴾

وثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (القارعة) أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أي شدائده والقارعة من أسماء القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت إسرافيل لأنه إذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى أنها فاقت القوارع في الهول والشدة (وما أدراك ما القارعة) معناه لا علم لك بكنهها لأنها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم أحد وكيفما قدرت أمرها فهي أعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وإنما شبه الخلق عند البعث بالفراش لأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب إلى غير جهة الأخرى فدل بهذا التشبيه على أن الخلق في البعث يفترقون فيذهب كل واحد إلى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم أيضا بالجراد فقال جراد منتشر وإنما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي كالصوف المندوف وذلك لأنه تتفرق أجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المنفوش عند الندف وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال كأنه تعالى نبه على أن تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الإنسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه) يعني رجحت موازين

قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيآت الكافر في أقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن ثقلت سيآته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته وأما الكافرون فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وروي عن أبي بكر الصديق أنه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا ۞ قوله تعالى (فهو في عيشة راضية) أي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها (وأما من خفت موازينه) أي رجحت سيآته على حسناته (فأمه هاوية) أي مسكنه النار سمي المسكن اما لان الاصل في السكون الامهات وقيل معناه فأم رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من أسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمه أي هلكت حزنا وثكلا (وما أدراك ماهيه) يعني الهاوية ثم فسرها فقال (نار حامية) أي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة التكاثر مكية ﴾

وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ قوله عز وجل (ألهاكم التكاثر) أي أشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشيء أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر بأخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال أتيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله (حتى زرتم المقابر) أي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف بن قصي وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا فأنزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر مضى فكأنه تعالى يعجبهم من أنفسهم ويقول تعجبوا من أنفسكم أكثر أنما ذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) أي ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر

(فهو في عيشة راضية) ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) باتباعه الباطل (فأمه هاوية) فمسكنه ومأواه النار وقيل المأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه (وما أدراك ماهيه) الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حاميه) بلغت النهاية في الحرارة والله أعلم

(سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ألهاكم التكاثر) شغلكم التباري في الكثرة والتباهي بها في الاموال والاولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زرتم المقابر وعددتم من في المقابر من موتاكم (كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه

وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين أن يعلم ان الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) اللام تدل على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما وعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى أنكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعني مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني ان كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما أنعم الله به عليه وأطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله وأي نعيم يسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة ٭ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي أخرجكما قوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وأخرجه الترمذي باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لا بد لكل أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه أكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله أعلم

## ﴿تفسير سورة العصر وهي مكية﴾

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

(سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) في القبور (كلا) تكرير الردع للانذار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف أي لو تعلمون ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور لما ألهاكم التكاثر أو لفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامي وعلي (ثم لترونها) كرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل أو الاول بالقلب والثاني بالعين (عين اليقين) أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم أفنيتموهما عن ابن مسعود رضي الله عنه وقيل عن التنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كن يؤويه وأثواب تواريه وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا والله أعلم

﴿سورة العصر مختلف فيها وهي ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿والعصر﴾ قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فأقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل أراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد نبه بذلك على أن زمانه أفضل الازمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى ﴿ان الانسان لفي خسر﴾ أي لفي خسران ونقصان قيل أراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في أيدي الناس أي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لا ينفك أحد من خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالانسان الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين فقال تعالى ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك ﴿وتواصوا﴾ أي أوصى بعض المؤمنين بعضا ﴿بالحق﴾ يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أي على أداء الفرائض واقامة أمر الله وحدوده وقيل أراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهل مثل قوله لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الهمزة﴾ وهي مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿ويل﴾ أي قبح وقيل هو اسم واد في جهنم ﴿لكل همزة لمزة﴾ قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب (١) وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس في غيبتهم قال الشاعر

اذا لقيتك عن كره تكاشرني * (٢) وان تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي

---

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿والعصر﴾ أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة ولان التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب وجواب القسم ﴿ان الانسان لفي خسر﴾ أي جنس الانسان لفي خسران من تجاراتهم ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ﴿وتواصوا بالحق﴾ بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده وتواصوا في الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم

(سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ويل﴾ مبتدأ خبره ﴿لكل همزة﴾ أي الذي يعيب الناس من خلفهم ﴿لمزة﴾ أي من يعيبهم

---

١ قوله وقيل معناهما واحد ظاهره ان ما قبله ليس كذلك وليس كذلك اه مصححه ٢ قوله وان تغيبت الخ كذا في بعض النسخ وفي الكشاف وان أغيب فأنت الهامز اللمزه اه مصحح

مواجهة و بناء فعيل يدل على أن ذلك عادة منه قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل
في الوليد ويجوز أن يكون السبب خاصا  والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذي) بدل من كل أو نصب على

يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومئ بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان في أنسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب وأصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف والمراد منهما الكسر من أعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس بأقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في الاخنس بن شريق بن وهب كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في أناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي أن يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى (الذي جمع مالا) وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو اعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال غيره أكثر منه كالشيء الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشيء الحقير (وعدده) أي أحصاه من العدد وقيل هو من العدة أي استعده وجعله ذخيرة وغنى له (يحسب أن ماله أخلده) أي يظن أنه يخلد في الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت (كلا) ردع عليه أي لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه حقا (لينبذن) واللام في لينبذن جواب القسم يدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن (في الحطمة) أي في النار وهو اسم من أسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا أيها الهمزة اللمزة الذي يأكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التي تأكل اللحوم وتكسر العظام (وما أدراك ما الحطمة) أي ما لها كسائر النيران (نار الله) انما أضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها (الموقدة) أي لا تخمد أبدا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة أخرجه الترمذي قال ويروى عن أبي هريرة موقوفا وهو أصح (التي تطلع على الافئدة) أي يبلغ ألمها ووجعها الى القلوب والمعنى انها تأكل كل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه ألطف شيء في بدن الانسان وانه يتألم بأدنى شيء فكيف اذا اطلعت عليه واستولت عليه ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة (انها عليهم مؤصدة) أي مطبقة مغلقة (في عمد ممددة) قال ابن عباس أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي أوتاد الاطباق التي تطبق على أهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم بأوتاد

الذم (جمع مالا) جمع شامي وحمزة وعلي بالتشديد وهو مطابق لقوله (وعدده) أي جعله عدة لحوادث الدهر (يحسب أن ماله أخلده) أي تركه خالدا في الدنيا لا يموت أو هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) أي الذي جمع (في الحطمة) في النار التي شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها (وما أدراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدأ محذوف أي هي نار الله (الموقدة) نعتها (التي تطلع على الافئدة) يعني انها تدخل في أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف اذا أطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها انها تشتمل عليها (انها عليهم)

أي النار أو الحطمة (مؤصدة) مطبقة (في عمد) بضمتين كوفي غير حفص الباقون في عمد وهما لغتان في جمع عماد كاهاب وأهب وحمار وحمر (ممددة) أي تؤصد عليهم الابواب وتمد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق في الحديث المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يبالي من أين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم

﴿سورة الفيل مكية وهي خمس آيات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم تر كيف فعل ربك) كيف في موضع نصب بفعل لا بألم تر لما في كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولي تر وفي ألم تر تعجيب أي عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى أنك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترا فقامت مقام المشاهدة (بأصحاب الفيل) روي أن أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبى جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن هرول فأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهربوا وهلكوا وما مات أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروي أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فيها فعظم في عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال أنا رب الإبل وللبيت رب

ممدودة وقيل إذا أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح ولا يخرج منها غم وقيل هي صفة العمد أي مطولة تكون أرسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفيل﴾

﴿وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) كانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي أن النجاشي ملك الحبشة كان بعث أرياط إلى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح أبو يكسوم فساخط أرياط في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع أرياط وطائفة مع أبرهة فتزاحفا فقتل أبرهة أرياط واجتمعت الحبشة لأبرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانة فخرج إليها فدخلها ليلا فتغوط فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به إليه فخرج أبرهة في الحبشة سائرا إلى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فأعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر فقال يا أيها الملك استبقني فإن بقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك إني دليل بأرض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا لك خلاف إنما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبا رغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث أبرهة رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الأسود إليه أموال أهل الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم إن أبرهة أرسل حناطة الحميري إلى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه أخبره أني لم آت لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال له إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال

ولا لنا به يدان فستخلى بينه وبين ما جاء له فإن هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فإن يمنعه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك وزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة وعشية ولكن سأبعث الى أنيس سائس الفيل فانه لى صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير يعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فأرسل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى أحب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتى الى الملك أن يرد على مائتى بعير أصابها لى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى قال فأنت وذاك فأمر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك *

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فأقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول فى رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين

الى الطريق التي جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل

فانك لو رأيت ولن تراه * لدى جنب المحصب ما رأينا

حمدت الله اذ أبصرت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا

وكلهم يسائل عن نفيل * كأن علي للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يتشجع على الحرم فنجا والفيل الآخر شجع فحصب أي رمي بالحصباء وقال بعضهم انفلت أبو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي قال أمية بن أبي الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * ما يماري فيهن الا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر أصحاب الفيل أن فتية من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فأسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان في مكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثثها في الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤوسنا قال هل تعرفها قال والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال أشباه اليعاسيب في منقارها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلهم هاجت الطير بما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم ساهرين فأصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فؤوسهم فحفر حتى أعمق في الارض فملأه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملأه ثم قال لأبي مسعود اختر ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال أبو مسعود

فاحتزل على عنقك فقال عبد المطلب إني أرى أسود التاج في حجري فهي لك وجلس كل واحد منهما حجرته ونادى عبد المطلب في الناس فراحوا أصنافا وأمر فحملهما حتى صافوا به وساد عبد المطلب بعد ذلك وأعطته العادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال ودفع الله شر وجل كعبته واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والأصح الذي عليه الأكثرون من علماء السير والتواريخ وأهل التفسير أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم. وأما التفسير فقوله عز وجل ألم تر أي ألم تعلم وذلك لأن هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل إلا أن العلم بها كان حاصلا عنده لأن الخبر بها كان مستفيضا مشهورا فإذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا ثمانية وقيل اثني عشر وإنما وحده لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذي كان يقال له محمود وقيل إنما وحده لوفق الآي وفي قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته إذ يستحيل العقل أن طيرا تأتي من قبل البحر بحجارة ترمي بها أناسا مخصوصين وفيه دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك أن الله تعالى إنما فعل ذلك لنصر من أرسله وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو الداعي إلى توحيده وإهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فإنهم كانوا كفارا لا دين لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل أن المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال الذي فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك وإذا نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك بعد ظهورك (ألم يجعل كيدهم) يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة (في تضليل) أي في خسار وإبطال ما أرادوا وأضل كيدهم فلم يصلوا إلى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع عليهم وحرقت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أبابيل أقاطيع كالإبل المؤبلة وقيل أبابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها إبالة وقيل أبيل وقيل أبول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا تصيب شيئا إلا هشمته ووجه الجمع بين هذه الأقاويل في اختلاف أجناس هذه الطير كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فأخبر كل راو بما علمه من صفاتها والله أعلم

قوله عز وجل (ترميهم بحجارة) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وإن وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وقيل سنك وكل فارسي معرب وقيل سجيل الشديد (فجعلهم كعصف مأكول) يعني كزرع وتبن أكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب إذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى أعلم

(ألم يجعل كيدهم في تضليل) في تضييع وإبطال يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لأنه ضلل ملك أبيه أي ضيعه يعني أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل كيدهم بإرسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) حزائق الواحدة إبالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه يرميهم أي الله أو الطير لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور أي الآجر (فجعلهم كعصف مأكول) زرع أكله الدود

﴿تفسير سورة قريش﴾

وهي مكية وقيل مدنية والأول أصح وأكثر وهي أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (لإيلاف قريش) اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة فقال جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش أي أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور أن هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وأنه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعل هذه السورة والسورة التي قبلها سورة واحدة بأن القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا باتفاق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وأنهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لإيلاف فقيل هي لام التعجب أي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب أعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف أي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والإيلاف من ألفت الشيء ألفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لإيلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من ألفت كذا أي لزمته وآلفنيه الله أي ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشي (م) عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم ٭ عن سعد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ٭ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لأن قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والإفضال حراصا وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشد شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر ٭ بها سميت قريش قريشا

سلطت بالعلو في لجة البحر ٭ على سائر البحور جيوشا

تأكل الغث والسمين ولا تترك ٭ فيه لذي الجناحين ريشا

هكذا في الكتاب حي قريش ٭ يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي ٭ يكثر القتل فيهم والخموشا

يملأ الأرض خيلة ورجالا ٭ يحشرون المطي حشرا كبيشا

---

متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط أي إن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة أو بما قبله أي جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش يعني أن ذلك الإتلاف لهذا الإيلاف وهذا كالتضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائي ترك التسمية بينهما والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لإيلاف قريش لإلاف قريش شامي أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته ألفا وإلافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم فسموا بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمي قصي مجمعا لذلك قال الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

﴿ وقوله تعالى (ايلافهم) هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها أدفأ ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم تكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة أهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى مكة وأهل البر حملوا على الابل والحمير فألقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة وألقوا بالابطح فامتار أهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي كان أول من حمل السمراء يعني القمح من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اكفاف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

﴿ قوله عز وجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين أحدهما دفع ضر وهو ما ذكر في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكر في هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذي أطعمهم من جوع أي من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم وأصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد وأخصبت أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد في رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله أعلم

﴿تفسير سورة الماعون﴾

وهي مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قوله عز وجل (أرأيت الذي يكذب بالدين) قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة

في البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) التنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

﴿سورة الماعون مختلف فيها وهي سبع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذي يكذب بالدين) أي هل رأيت

وقيل

وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) ولفظ أرأيت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أرأيت يا أيها الانسان أو يا أيها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم أي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل بترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف أي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره ولا يأمر غيره بالاطعام قوله تعالى (فويل للمصلين) يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراؤن وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساهون عنها لا يبالي صلى أو لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان ينساها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سها في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من أفعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن (الذين هم يراؤن) يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روي عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه الزكاة المفروضة وأدناه عارية المتاع وقال

الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف أي لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل انه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) يعني بهذا المنافقين أي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تأدية لفرض فهم يخفضون ويرفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظاهرون الناس انهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قال الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره والمراآة مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فمن حقها الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله والاخفاء في التطوع أولى فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور في العادة بين الناس من القدر والدلو والقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح والله أعلم

محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعوناً لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم

﴿تفسير سورة الكوثر﴾

وهي مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ۖ قوله عز وجل (انا أعطيناك الكوثر) الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وأمته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ان اناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم أعطي النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الاقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء أنه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث (م) عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدثوا بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فاذا طينه أو طيبه مسك أذفر شك الراوي ☆ عن أنس رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله انا أعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ أبدا زاد في رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة الكوثر وهي ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكوثر وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في الجنة أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير

حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفي رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية قال إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء (م) عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل (م) عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي ربي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي ربي أصحابي أصحابي فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي رواية ليردن علي ناس من أمتي الحديث وفي آخره فأقول سحقاً لمن بدل بعدي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلؤون عن الحوض فأقول رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا يا نبي الله أتعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون إلي فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأذودن رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض (م) عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن والذي نفسي بيده لأذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم * عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلاً فقال ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أخرجه أبو داود

*في شرح هذه الأحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض* قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وأبي برزة وسويد بن حبلة وعبد الله بن الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخاري ومسلم أيضاً من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن

عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقنا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ماسبق ذكره فى الاحاديث وفيه بيان ما اتفقنا عليه وانفرد به كل واحد منهما وأخرجا أيضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبى بكر الصديق وذكرها القاضى عياض فيمن خرج له فى غير الصحيحين قال القاضى عياض وفى بعض هذا ما يقتضى كون الحديث متواترا وأما صفة الحوض ومقداره فقد قال فى رواية حوضى مسيرة شهر وفى رواية ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح وفى رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفى رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفى رواية ان حوضى لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف فى هذه الروايات فى قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت فى حديث واحد بل فى أحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن مختلفة ضربها النبى صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس فى ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول فى آنية الحوض من أن العدد المذكور فى الاحاديث على ظاهره وانها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول فى الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضرب به مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا صريح فى ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتى فيقول ماتدرى ما أحدث بعدك وفى رواية وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا أهويت لاناولهم اختلجوا دونى فأقول أى رب أصحابى فيقول انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة فى الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء فى معناه وفى المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبى صلى الله عليه وسلم للسيما التى عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك أى لم يكونوا على ما ظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتد وابعده فى زمن أبى بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبى صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من اسلامهم فى حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام وأصحاب المعاصى الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لايقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز أن يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال أبو عمر بن عبد البر كل من أحدث فى الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا قال القاضى عياض ظاهر هذا الحديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل أن من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لايعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث أن جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما

يأخذ جنبيه الباجون منهم ما يصنعوا الشرب من الحوض منه (شرح غريب ألفاظ الأحاديث) قوله فيختلج العبد منهم أي ينتزع ويجتذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جربا وأذرح أما جربا فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصور وقد وقع عند بعض رواة البخاري فيها المد والقصر أولى وهي قرية من الشام وأما أذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب من الشوبك وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بلد بالبلقاء من أرض الشام وأما أيلة فبفتح الهمزة وإسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل وإلى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهي آخر الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فهي قاعدة اليمن وأكبر مدنه وإنما قيدها باليمن في الحديث لأن بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين أي يسيل فيه وفي الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق أي يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا قوله إني لبعقر حوضي هو بضم العين المهملة وإسكان القاف وهو موقف الإبل من الحوض إذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله أذود الناس أي أطرد الناس لأهل اليمن بعصاي حتى يرفض عليهم معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ومعنى يرفض أي يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لأهل اليمن قوله أنا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذي يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى أنا سابقكم إلى الحوض كالمهيء له قوله سحقا أي بعدا وفيه دليل لمن قال إنهم أهل الردة إذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت في حديث أنس الأول دليل لمن يقول إن سورة الكوثر مدنية وهو الأظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة يعني نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله أعلم قوله تعالى (فصل لربك وانحر) معناه أن ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي له وينحر له متقربا إلى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر أي ضع يدك اليمنى على اليسرى في الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير إلى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الآية قد أعطيتك ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم أخص به أحدا غيرك فاعبد ربك الذي أعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير وأعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على إنعامه عليك وانحر البدن متقربا إليه (إن شانئك) يعني عدوك ومبغضك (هو الأبتر) يعني هو الأقل الأذل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذاك الأبتر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل إن العاص بن وائل كان إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من قريش وذلك أنه لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال أنتم خير منه فنزلت فيه ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزلت في الذين قالوا إنه أبتر إن شانئك هو الأبتر أي المنقطع من كل خير وقيل لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور أرادوا أنه فرد ليس له ولد فإذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة

(فصل لربك) ما عبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لعبدة الأوثان لله في النحر لها (إن شانئك) أي من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم (هو الأبتر) المنقطع عن كل خير لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر إنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة قيل نزلت في العاص بن وائل سماه الأبتر والأبتر الذي لا عقب له وهو خبر إن وهو فصل

للنخلة تبدو فى أسفلها وتسمى الصنبور وقيل هى النخلة التى تخرج فى أصل أخرى لم تغرس وقيل الصنابير سعفات تنبت من جذع النخلة تضر بها ودواؤها أن تقطع تلك الصنابير فأراد كفار مكة أن محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور ينبت فى جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذى لا أهل له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فأكذبهم الله تعالى فى ذلك ورد عليهم أشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وأنت الاعز الاشرف الاعظم والله أعلم بمراده

## ﴿تفسير سورة قل يا أيها الكافرون﴾

وهى مكية وست آيات وست وعشرون كلمة وأربعة وتسعون حرفا عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل بربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهى وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك أربعة أقسام وهذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة غير الله تعالى وهى من الاعتقاد وذلك من أفعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمى والعاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى ديننا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذى جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وان كان الذى بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى أنظر ما يأتى من ربى فأنزل الله قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه أولئك الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فأتاه العباس فأخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ الرسالة بجميع ما أوحى الله اليه فلما قال الله تعالى قل يا أيها الكافرون أداه النبى صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكأنه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ جميع ما أنزل الله على وكان فيما نزل عليه قل يا أيها الكافرون وقيل ان النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا أشنع ولا أغلظ من المخاطبة بالكفر فكأنه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندى انما هو من عند الله عز وجل وقد أنزل الله على قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق فى علم الله أنهم لا يؤمنون (لا أعبد ما تعبدون) فى معنى الآية قولان أحدهما أنه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة الهى ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى ولست فى الحال بعابد معبودكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم فى الحال بعابدين لمعبودى وقيل يحتمل أن يكون الاول للحال والثانى للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما أن يكون للحال والاستقبال ولكن نخص أحدهما بالحال والثانى بالاستقبال لانه أخبر أولا عن الحال ثم أخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون

﴿سورة الكافرين ست آيات مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قل يا أيها الكافرون) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد ما تعبدون) أى لست فى حالى هذه عابدا ما تعبدون (ولا أنتم عابدون) الساعة (ما أعبد) يعنى الله (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ما عبدتم (ولا أنتم) فيما تستقبلون (عابدون ما أعبد) وذكر بلفظ ما لان المراد به الصفة أى لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق أو ذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح فى الاول من وصح فى الثانى ما بمعنى الذى

[illegible]

من السماء فقال إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في
نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة
قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم
بأبي سفيان قد جاء يشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان
بعسفان قد بعثه قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا
الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وهل أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل إلى مكة
قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه
النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم طوته عنه فقال أي بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه
شيئا ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن
الخطاب فكلمه فقال أأنا أشفع لك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم خرج
فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلام
يدب بين يديها فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما
جئت خائبا فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة فقال يا ابنة محمد هل لك أن تأمري
بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ ابني أن يجير بين الناس
وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني
قال والله لا أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك
مغنيا عني شيئا قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها
الناس إني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا
فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى
القوم ثم أتيت علي بن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك
شيئا أم لا قالوا وماذاك قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك
والله ما زاد على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه قالت نعم قال فأين
ترينه يريد قالت لا والله ما أدري ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم
بالجد والتجهز وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب
ابن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في
تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن
حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا إلى مكة لعشر مضين من

رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبي صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين
عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار
والمهاجرين عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولم يأتهم خبر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل خرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن
ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما
بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران
قال العباس بن عبد المطلب فقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة
قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلي أجد حطابا أو صاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم
بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس فوالله اني
لأسير عليها وألتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان
يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا قال يقول بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فيقول أبو سفيان خزاعة أذل
وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال يا أبا الفضل فقلت نعم
قال ما لك فداك أبي وأمي قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به
بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة
حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فردفني ورجع صاحباه فخرجت أركض به على بغلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الي ويقولون عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام الي
فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم
خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء
... البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول
الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله
اني قد أجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه الليلة أحد
دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا أنه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني
عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب
لو أسلم وما بي الا أني أعلم ان اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتني به قال فذهبت به
الى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان
ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد
ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول
الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فان في النفس منها حتى الآن شيئا فقال
له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فشهد شهادة
الحق فأسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من
دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب

لتمر بك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر
جنود الله قال فخرجت به حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه قال ومرت به القبائل
على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فأقول سليم فيقول ما لي ولسليم ثم
تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفدت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألني عنها فإذا أخبرته
عنها فيقول ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء وإنما قيل لها الخضراء
لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منها إلا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من
هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار قال ما لأحد بهؤلاء من قبل
ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك إنها النبوة قال فنعم إذا قلت الحق
الآن بقومك فحذرهم فخرج حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد
جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال
من دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ولما جاء حكيم
ابن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين
والأنصار وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك ثم إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة وإن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى إن عثنونه
ليكاد يمس واسطة الرحل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبة بأعلى مكة وأمر خالد بن
الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبني سليم أن يدخلوا من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو
الحارث بن عبد مناة ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة وأن صفوان بن أمية
وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا أناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد
والزبير حين بعثهما لا تقاتلا إلا من قاتلكما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى فقال
سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل
عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له في
قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدركه فخذ الراية فكن أنت الذي تدخل بها
فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل
مكة فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا
ولم يقتل من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما
كرز بن جابر وخنيس بن خالد من خيل خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أنه
سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإنما أمر بقتله لأنه كان
قد أسلم فارتد مشركا ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
أن اطمأن أهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وإنما أمر بقتله لأنه كان
مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا و
يصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان

يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نقيذ بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتدا وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن أبي جهل فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هانئ لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلي رجلان من أحمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل علي علي بن أبي طالب أخي فقال والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات الضحى ثم انصرف إلي فقال مرحبا وأهلا يا أم هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا يقتلهما ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها خلفة في بطونها أولادها يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقد كان الله أمكنه منهم ... أهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام إليه علي بن أبي طالب ... فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد ... إلى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا رسول الله إن صفوان بن أمية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه يا رسول الله فقال هو آمن قال يا رسول الله أعطني شيئا يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان فداك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال ويلك اغرب عني لا تكلمني قال فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال إني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان إن هذا يزعم

أنك أمتني قال صدق قال فجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر قال ابن هشام وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه مكة أرضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما أحلت لي ساعة من نهار الا وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقطع شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما أن يفتدي واما أن يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعني اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان جميع الامور مرتبة بأوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها أو تأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا ابتدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو كمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذي هو تمام النعمة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) يعني زمرا وأرسالا القبيلة بأسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا بأهل الحرم وكان قد أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا أو اثنين اثنين وقيل أراد بالناس أهل اليمن (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام وأضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله ۞ قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) يعني فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما رأيت انه كان دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما هو قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فتلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان أنزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ورأيت الناس يدخلون) هو حال من الناس على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (في دين الله أفواجا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح أي اذا جاء نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أو فصل له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس أو دم على الاستغفار (انه كان) ولم يزل (توابا) التواب الكثير القبول للتوبة وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة ويروى أن عمر رضي الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين والله أعلم

يقول من سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وقال أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فاذا رأيتها أكثرت من قول الله سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه نعيت اليه نفسه وقال الحسن أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا للمزيد في درجاتك في الدار الآخرة وفي معنى التسبيح وجهان أحدهما تنزيه ربك عما لا يليق بجلاله تعالى والثاني صل لربك لأن التسبيح جزء من أجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثماني ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يأمن كل واحد من تقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف من هو دونه وقيل هو من ترك الأفضل والأولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الأنبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى أن يكون قد وقع من تلك الأمور منك وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته وهذا الظاهر لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى أعلم

*(تفسير سورة أبي لهب)*

*(وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا)*

*(بسم الله الرحمن الرحيم)*

قوله عز وجل (تبت يدا أبي لهب) (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد جملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فأضيفت الأعمال الى اليد وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه أحدها أنه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من أهل النار ومآله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بأن يذكر بها (وتب) قيل الأول أخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أخرج مخرج الخبر أي أهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا أبي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد

*(سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات)*

(بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا أبي لهب) التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد اهلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روي انه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل أوب فقال عليه الصلاة والسلام يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان أخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم أو لكراهة

يعني به المال وتب يعني خسر أي قد أهلكت نفسه (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرباءه إلى الله تعالى قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني أفتدي نفسي بمالي وولدي فأنزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله أي أي شيء يغني عنه ماله أي ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعني من المال وكان صاحب مواش أي ما جمع من المال أو ما كسب من المال أي ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي ثم أوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أي نارا تلتهب (وامرأته) يعني أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب عمة معاوية بن أبي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (حمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فإن قلت إنها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل أنها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان بخلها يحملها على حمل الحطب بنفسها أو يحتمل أنها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى أنها تستعين في ذلك بأحد بل تفعله هي وقيل كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والآثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها كانت كالحطب في مصيرها إلى النار (في جيدها) أي عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذي كانت تحتطب به فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها وقيل هو حبل من نبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات في عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

## ﴿تفسير سورة الإخلاص﴾

﴿وهي مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا﴾

﴿فصل في فضلها﴾ (خ) عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من القرآن (م) عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم في قوله صلى الله عليه وسلم في جعل سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن أقوالا متقاربة فقيل إن القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة أقسام وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله

اسمه فاسمه عبد العزى أو لأن مآله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته أي هو جهنمي (ما أغنى عنه ماله) ما للنفي (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية أي ومكسوبه أو وكسبه أي لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي (سيصلى نارا) سيدخل سيصلى البرجمي عن أبي بكر والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لأنها عطفت على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته والتقدير أعني حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب على أنها خبر وامرأته أو هي حمالة (في جيدها حبل من مسد) حال أو خبر آخر والمسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة والله أعلم

﴿سورة الإخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لأنه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف أي هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا

ويستمع عباده ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لأن منتهى التقديس في أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا عن هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون أحد في درجته وإن لم يكن أصلا له ولا فرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجملته وتفصيله هو قولك لا إله إلا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى أسراره ولا تنقضي عجائبه وقال الإمام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه أن يكون المقصود الأشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وتنازه ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متمحضة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه أن ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشيء وتقللته وتقاللته أي عددته قليلا في بابه ونظرت إليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الإخلاص إما لأنها خالصة لله تعالى في صفته أو لأن قارئها قد أخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة أن الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الإعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما لا يليق به لأنها مع قصرها جامعة لصفات الأحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير * عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محيت عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل على يمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك إياها أدخلك الجنة أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قل هو الله أحد) عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله قل هو الله أحد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء أخرجه الترمذي وقال وقد روي عن أبي العالية أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا

والدليل على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد إما أن يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيا أو لا فإن كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج إليه وذلك نقص والناقص لا يكون إلها وإن لم يكن كافيا فهو ناقص ولأن العقل يقتضي احتياج المعلول إلى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيفضي ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود إلهين محال ولأن أحدهما إما أن يقدر على أن يستر شيئا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر فإن قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وإن لم يقدر لزم كونه عاجزا ولأنا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون إلها وإن قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون إلها وإن قدرا جميعا فإما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا إلى إعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وإن قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فإذا أوجده أحدهما فإما أن يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال وإن لم يبق فحينئذ يكون الأول مزيلا قدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون إلها فإن قلت الواحد إذا أوجد مقدوره بنفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد إذا أوجد مقدوره بنفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا وأما الشريك فقدرته زالت بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا

ربك فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب وهذا أصح وقال ابن عباس إن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر إلام تدعونا يا محمد قال إلى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله أربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله تعالى أنزل نعته في التوراة فأخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فأنزل الله هذه السورة قل هو الله أحد يعني الذي سألتموني عنه هو الله الواحد في الألوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف أحد بالأحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ودرهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها أحد والفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يدخل في الأحد ولا ينعكس وقيل إن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي تقول في الإثبات رأيت رجلا واحدا وفي النفي ما رأيت أحدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد والأحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد (الله الصمد) قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة أن الصمد الشيء المصمد الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد القارورة الصماد فإن فسر الصمد بهذا كان من صفات الأجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول أن الصمد الذي ليس بأجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء وعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على أنه تعالى بخلاف من أثبت له الإلهية وإليه الإشارة بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس بأجوف شيئان أحدهما دون الإنسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني أشرف من الإنسان وأعلى منه وهو الباري جل وعز وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأن من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في أفراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب إليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على أنه المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والإحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الأوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الأول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لأنه محتمل له فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الأسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ۞ قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك أن مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه أن من ولد كان له والد فنفى عنه إحاطة النسب من جميع الجهات فهو الأول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا أحد أي ليس له من خلقه مثيل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له كفوا أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

(الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود إليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده إذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث وكذا الثاني و[illegible] فيؤدي إلى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لأنه اسم للمركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء إلها فيفسد القول به كما فسد بإلهين أو غير متصف بها بل بأضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكافئه أحد أي لم يماثله [illegible] أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوي على صفاته تعالى فقوله هو الله إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بأنه حي لأن المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون [illegible] قال [illegible] جبار في ذلك وصفه بأنه سميع بصير مريد متكلم إلى غير ذلك من صفات الكمال إذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا بأضدادها وهي نقائص

وبما من أمارات الحدوث فمستحيل
بها المقتضيات وقوله ا ... وقوله أحد ومصعوا لوحدانية وبفي الشريك و ... ه
ني تشبيه والمجانسة وقوله ولم يولد بفي للحدوث ... والاولية وقوله ولم يكن له كفوا أحد بفي أن يماثله شئ ومن زعم ان بني الكتب
وعن المثل في الماضي لا يدل على بفيه في الحال والمستقبل يدعونه في الحال ... لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة
اذ الحادث لا يكون كفوا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول الى الاشراك (٤٥٩) والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما

قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون على من اعادته وأما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفلق وهي مدنية﴾

وقيل مكية والاول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا (م) عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن أيضا وانه من أول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الامة على هذا كله فلا خلاف فيه (خ) عن زر بن حبيش قال سألت أبي ابن كعب عن المعوذتين قلت يا أبا المنذر ان أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود وعن عبد الله بن حبيب قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فخرج فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شئ وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة فأصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل فقلت ما أقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قل أعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ما تعوذ الناس بأفضل منهما أخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعنى العطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول أبي الدرداء

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاط رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه وفي رواية انه يخيل اليه فعل الشئ وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت يا عائشة ان الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال في بئر ذروان ومن الرواة

يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل على شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة ﴿سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الصبح أو الخلق أو هو واد في جهنم أو جب فيها

قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف اذا كان مستقرا أي خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم ليعلم من أول الامر انه خبر لا فضلة وتأخيره اذا كان لغوا أي فضلة لان التأخير مستحق للفضلات وانما قدم في الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان أبو عمرو يستحب الوقف على أحد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء واذا وصل نون وكسر أو حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله كفوا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموزة حفص الباقون مثقلة مهموزة وفي الحديث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان القرآن

من فالى شرعي ر ر من مدهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم
رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين قالت يا رسول الله
فأخرجه قال اما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت ان أثير على الناس منه شرا وفي رواية البخاري أنه كان يرى
انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن أرقم قال
سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك أياما فأتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود
سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل
كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي
ولا رآه في وجهه قط أخرجه النسائي وروي انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف
الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم وأسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه إحدى
عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فأنزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس
آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله
عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروي انه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م)
عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت فقال نعم قال بسم الله
أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك

﴿فصل وقيل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وما قيل في الرقى﴾

قوله في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه صنع الشيء ولم يصنعه قال الامام
المازري مذهب أهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء
الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله
في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه اشارة الى انه مما يكفر به ...
لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة ... وروى البخاري في أفراده عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال
... هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع
أوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب
وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وذلك دال على أنه المتناهي في السودد والشرف
والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي
ليس فوقه أحد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب
فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والاولى أن يحمل لفظ
الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم
القادر على كل شيء وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير ۞ قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله
لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات
فهو الاول الذي لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك
فهو الذي لم يكن له كفوا أحد أي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له
كفوا أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

لصفات الكمال فيكون كل
جزء انما يقصد الوصول به كما
يقصد الكل أو نعبر بتصف
بها بل بأضدادها من سمات
الحدوث وهو محال (ولم
يكن له كفوا أحد) ولم
يكافئه أحد أي لم يماثله سألوه
أن يصفه لهم فأوحى اليه ما
يحتوي على صفاته تعالى
فقوله هو الله اشارة الى انه
خالق الاشياء وفاطرها وفي
طي ذلك وصفه بانه قادر عالم
لان الخلق يستدعي القدرة
والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي لان المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون قال
حيا وفي ذلك وصفه بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا بأضدادها وهي نقص

زيادات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب أي مسحور قوله وجف طلعة ذكر يروى بالباء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الإجماع على جواز ذلك إذا كان بآيات من القرآن أو إذا كانت وردت في الحديث ويدل على صحة ذلك الأحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد المتقدم أن جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول أعوذ بالله من الجان وعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الأحاديث تدل على جواز الرقية وإنما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول الأكثرين ورواية عن ابن عباس لأن الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ أن القادر على إزالة هذه الظلمة عن العالم قادر على أن يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل إن طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما أن الإنسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل إن تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لأنه وقت دعاء المضطرين وإجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه غم المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس أن الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم إذا فتح استعاذ أهل النار من حره ووجهه أن المستعيذ قال أعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروي عن ابن عباس أيضا أن الفلق الخلق ووجه هذا التأويل أن الله تعالى فلق ظلمات [illegible] تعالى [illegible] قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات حتى تعوذ بهما ثم قال ما تعوذ الناس بأفضل منهما أخرجه النسائي عن جابر [illegible] الصيف وهو قول أبي الدرداء .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه وفي رواية أنه يخيل إليه فعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال في بئر ذروان ومن الرواة

وإذا وصل نون وكسر أو حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموزة حفص الباقون مثقلة مهموزة وفي الحديث من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل يا رسول الله ... الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل أعوذ برب الفلق) أي الصبح أو الخلق أو هو واد في جهنم أو جب فيها

(من شر ما خلق) أي النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل في تأويل المصدر في موضع الجر بدل من شر أي من شر خلقه أي من خلق شر أو زائدة (ومن شر غاسق إذا وقب) الغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار إلى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه

من قال في بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يا رسول الله فأخرجه قال اما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت ان أثير على الناس منه شرا وفي رواية للبخاري انه كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن أرقم قال سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك أياما فأتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط أخرجه النسائي وروي انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم وأسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فأنزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروي انه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م) عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت فقال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك

﴿فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وما قيل في الرقى﴾ قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه قال الامام المازري مذهب أهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره أم لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع ان ما قدر لا بد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى

﴿فصل﴾ وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلائل العقلية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما لم يبعث بسببه ولا كان مفضلا من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل اليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل ما يتخيله الانسان في المنام ولا يبعد أن يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل انه يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضي عياض وقد جاءت في بعض

وزاد في هذا الحديث فيه ان السحر انما تسلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله مطبوب أي مسحور وقوله وجف طلعة ذكر يروى بالباء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقى والتعاويذ فقد نقل الاجماع على جواز ذلك اذا كان بآيات من القرآن أو اذكار وردت في الحديث ويدل على صحة الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث أبي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ يقول أعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما النهي عنها ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم وأما التفسير فقوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليلة يتفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استغاث أهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروي عن ابن عباس أيضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات عدم العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكأنه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات (من شر ما خلق) قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف وأخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للمرض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وانما أمر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد منه بنات لبيد بن الاعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وأنكر جماعة النفل والنفث في الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان

(من شر ما خلق) أي النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر بدل من شر أي شر خلقه أي من خلق شر أو زائدة (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده (ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور أثره

(ومن شر حاسد اذا حسد) أى اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بأن شر هؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصى الله به فى السماء من ابليس وفى الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات والله أعلم ﴿سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس) أى مربيهم ومصلحهم (ملك الناس) مالكهم ومدبر أمورهم (اله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس اله الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما اله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكأنه مظنة للاظهار دون الاضمار وانما أضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل مخلوق لشر يفهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم وقيل أراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لانها شغله الذى هو عاكف عليه أو ... مشترك أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى (الخناس) الذى عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (الذى يوسوس فى صدور الناس) فى محل الجر على الصفة أو الرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روى أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد بن أعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذى أروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان

---

النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب أن لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير ور بما يكون مع ذلك سعى فلذلك أمر الله تعالى بالتعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبى صلى الله عليه وسلم أو لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الناس﴾

وهى مدنية وقيل مكية والاول أصح وهى ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الناس) انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذى يعيذ من شرهم وقيل ان أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس اله الناس) انما وصف نفسه أولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على أنه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب فى تكرير لفظة الناس يقتضى مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعنى الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفى (الخناس) يعنى الرجاع الذى من عادته أن يخنس أى يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعنى الجن (والناس) وفى معنى الآية وجهان أحدهما أن الناس لفظ

مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن
وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس
يوسوس للجن كما يوسوس للانس . والوجه الثانى أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد
يكون من الانس فكما أن شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الانس
قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكأنه
تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل
أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه
وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح
عنه بيده رجاء بركتها أخرجه مالك فى الموطأ ولمسلم معناه (ق) عن ابن عمر عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو
يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه
آناء الليل وأطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله
أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل
قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب
من أول القرآن الى آخره كلما حل
ارتحل أخرجه الترمذى والله
سبحانه وتعالى أعلم
بمراده وأسرار
كتابه

السورتان فكلما قرأ
جبريل آية انحلت عقدة
حتى قام عليه السلام عند
انحلال العقدة الاخيرة
كأنما نشط من عقال وجعل
جبريل يقول باسم الله
أرقيك والله يشفيك من
كل داء يؤذيك ولهذا يجوز
الاسترقاء بما كان من
كتاب الله وكلام رسوله
عليه السلام لا بما كان
بالسريانية والعبرانية
والهندية فانه لا يحل اعتقاده
ولا الاعتماد عليه ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ومن
سيآت أعمالنا وأقوالنا
ومن شر ما عملنا وما لم نعمل
وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن
محمدا عبده ورسوله ونبيه
وصفيه أرسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى
آله مصابيح الانام وأصحابه
مفاتيح دار السلام

﴿ يقول راجي غفران المساوي رئيس لجنة التصحيح بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى محمد الزهري الغمراوي ﴾

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبيانا لكل هداية ووقاية يعتصم به من كل غوايه كتاب أحكمت آياته وبهرت بلاغته فهو المعجزة الباقيه والآية النيرة الساميه ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المرسل رحمة للعالمين والمحيي موات القلوب بنوره المستبين وعلى آله المرتشفين من بحر فضائله وأصحابه الفائزين باجتلاء محاسن شمائله ﴿ أما بعد ﴾ فإن أجل ما يدأب الانسان في تحصيله ويتنافس في استثماره فهم كلام الله المعجز للبلغاء والعلم بما انطوى في أساليبه من حكمة الحكماء وفقه الفقهاء وذلك لا يكون بغير الاطلاع على التفاسير الكاشفة لمقاصده والمتعرضة لبيان فوائده اذ التفسير وإن كان منه ما يوقف عليه بالقواعد العربية لكن لا يمكن التعويل على ذلك بغير الوقوف على الناسخ والمنسوخ والقواعد التي هي بغير المنقول منه آيبه وكان من أعظم من تعرض لبيان أسباب النزول المبين للفروع والأصول بعبارة شائقه وأساليب رائقه مع التعرض لجلب التواريخ وما ينبغي الاعتماد عليه فيها وسوق الأحاديث المبينة لأسباب النزول ومعاني بعض الآيات مع تفسير الغامض من معانيها تفسير علامة زمانه ونادرة وقته وفهامة أوانه الامام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم الخازن أسكنه الله من دار رحمته أعلى المواطن فلذلك استعيد طبعه على الهوامش بتفسير خاتمة المحققين وواسطة عقد الأئمة المدققين العلامة الامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي رحمه الله ولقاه رضاه وكان الفراغ من طبعه مع بذل الجهد في تصحيحه وحسن وضعه بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الأزهر المنير وذلك في شهر محرم الحرام سنة ١٣٢٨ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية

آمين